أنور الجندي

نجم الإسلام

مازال يصعد

محاولة لدراسة حركة الإسلام العالمية
خلال القرن الخامس عشر الهجري

دار الفضيلة

دار الفضيلة
للنشر والتوزيع والتصدير
الإدارة: القاهرة - ٢٣ شارع محمد يوسف القاضي -
كلية البنات - مصر الجديدة - ت وفاكس: ٤١٨٩٦٦٥
المكتبة: ٧ شارع الجمهورية - عابدين - القاهرة - ت ٣٩٠٩٢٣١
الإمارات: دبي - ديرة - ص ب ١٥٧٦٥ ت ٦٩٤٩٦٨ فاكس ٦٢١٢٧٦

وكيلنا في المملكة المغربية:
دار الاعتصام
للطباعة والنشر والتوزيع
الرحماني عبد الكريم
35 - 33 الشارع الملكي (الأحباس) - الدار البيضاء
الهاتف 30.42.85 - الفاكس 44.45.39





مدخل إلى البحث

قال رسول الله ﷺ :

« إن الله زوى لى الأرض (أو قال إن ربى زوى لى الأرض) فرأيت مشارقها ومغاربها وإن ملك أمتى سيبلغ ما زوى لى منها » [رواه أحمد بن حنبل ومسلم وأبو داود] .

نعم : صدق رسول الله ﷺ ، وفى هذا الإجابة الحاسمة للسؤال الذى يتردد كلما وجد المسلمون أنفسهم فى ضائقة ، أو حين تَدْلَهِمُّ حولهم الأحداث فتهز نفوسهم ، وتحاول أن تسلمهم إلى نوع من اليأس .

إن الإجابة الصحيحة تتمثل فى الإجابة عن هذا السؤال :

(لمــاذا جاء الإســلام دعــوة عالميــة)

لقد جاء الإسلام رسالة خالدة قائمة بالحق حتى يرث الله الأرض ومن عليها ليكون ختاماً لرسالات السماء التى جاءت متوالية على مدى الزمن منذ خلق الله آدم عليه السلام وتوالت الرسالات حتى ختمت بالإسلام رسالة عالمية خالدة تنشر كلمة الله فى العالمين وتقدم منهجاً اجتماعياً ربانياً لبناء الإنسان فى حياته الخاصة وفى حياته كجزء من مجتمعه الكبير .

ولقد جاءت رسالة دين الله تبارك وتعالى سمحة مرنة جامعة بين الروح والمادة والقلب والعقل تقدم شريعة كاملة ترسم للإنسان منهج حياته فى كل شئون الحياة وفى مختلف مجالات السياسة والاجتماع والاقتصاد والتربية من خلال عقيدة التوحيد الخالصة .

لقد جاء الإسلام الذى أُرسل به محمد ﷺ من خلال القرآن الكريم والسنة النبوية منهاجاً عالمياً بوصفه آخر رسالات السماء ، وخاتمها كتاب الله ورسوله الخاتم .

هذا المنهج الذى يتمثل فى شريعة الله تبارك وتعالى الكاملة الجامعة الخالدة فهى تقدم للإنسان منظومة كاملة تحقق له أشواق الروح وعطاء الفكر قائماً على

المسئولية الفردية والجزاء الأُخروى وتحقق له عطاء الإيمان الكامل وترسم منهج المعرفة جامعاً بين العقل والوحى ، على أن الإنسان لم يتوقف عن العمل لإقامة منهج حياة له ولمجتمعه من خلال منطلقه الضيق ومصادره المادية المحسوسة القاصرة عن عطاء الروح والوحى والغيب جامعاً معه المادة والعلم والعقل كلاً كاملاً لا ينشطر ولا ينقسم .



ولقد أقام أهل الغرب حضارة استمدت علومها من حضارة الإسلام التى زحفت إلى قلب أوروبا من ناحية الأندلس ، غير أنها صنعتها فى دائرة الفكر البشرى المادى القائم على مفاهيم الوثنية القاصرة التى تقف دائماً لدى حدود العقل والحس ولا يستطيع أن يتجاوزها إلى دائرة الوحى والغيب التى هى شطر المعرفة الإنسانية التى جاء بها الإسلام أساساً ، ثم جاء الغرب بعد ذلك ليطرح مفاهيمه هذه فى دائرة الإسلام فى محاولة لاحتواء الإسلام والمسلمين ظنّاً منهم أنهم قادرون على صهرهم وصهر الإسلام فى بوتقة هذه الحضارة المادية .

وقد جهل بعض المسلمين وغاب عن صناع الحضارة المادية أن الإسلام هو منهج الحياة الأصيل القائم على الإيمان بالله تبارك وتعالى ، وأن هذه الحضارة الإسلامية ـ على أساس منطلقها ـ هى الجامع .

إن أى حضارة تقوم على غير هذا الأساس الأصيل القائم على التوحيد الخالص سيكون مصيرها هو مصير الحضارات التى قامت وانهارت منذ حضارة اليونان والرومان والفرس والفراعنة ، وإن منهج الإسلام هو وحده الذى سيبقى والذى ستقوم عليه الحضارة الإنسانية العالمية .



إن الإسلام حين جاء فقد حقق قيام منهج الله تبارك وتعالى فى العالمين قياماً ممتداً لا ينقضى ، وفى تدافع قد يتراجع فيه حيناً وقد يتقدم حيناً آخر ، ولكنه سيظل قادراً على الوصول إلى كل الأقطار والأمم يقيم قواعده هنا وهناك .

ونحن الآن على قاعدة أساسية من قواعد الرحلة ؛ هى قاعدة الصحوة التى تعمل على استعادة ما قد فاتها فى المرحلة السابقة ، وهى قاعدة أصيلة ثابتة راسخة ، ستعمل على إرساء قواعد جديدة تحقق ما فاتها .

ومن المؤكد أن انطلاق الإسلام سوف يمضى إلى الغاية كما قال رسول الله ﷺ : « وإن ملك أمتى سيبلغ ما زوى لى منها » .

فعلى الذين يظنون أن الإسلام يمكن أن ينتهى أو يزول أو يتحول إلى مفهوم لاهوتى أو علمانى أو تنويرى – وكل ذلك سوف ينهار ويتحطم – أن يعلموا أنهم واهمون ، فليثق المؤمنون بأن طريقهم هو الحق وأنهم على هذا الطريق ماضون إلى غايتهم يوم يفرح المؤمنون بنصر الله .

★ ★ ★

هذه هى الحقيقة الكبرى التى يجب أن يستوعبها المسلمون ، إيماناً يقينياً بأن الإسلام سوف يصل إلى النفس الإنسانية أيّاً كانت .

أما الحقيقة الأخرى فهى أن الإسلام سوف يقيم حضارته ومنهجه الاجتماعى مهما حالت الظروف أو وقفت العقبات دون تمامها ، لابد أن يصل اليقين بالمسلم فى هذا الأمر إلى الغاية التى ليس وراءها من شك أو تردد .



إن الإسلام فى هذه المرحلة – مرحلة الصحوة منذ أهل القرن الخامس عشر الهجرى – إنما يعمل من أجل إقرار مفهوم أصيل هو : (إعادة الثقة إلى النفس المسلمة) .

فمنذ أوائل القرن الخامس عشر الهجرى والصحوة الإسلامية تقتحم الحصون

وتصل إلى علامات فارقة حيث تزداد عملية الحصار على الإسلام والفكر الإسلامى ، وتجرى عملية خطيرة هى إحياء الفكر العلمانى أو الترابط مع الفكر الماركسى فى محاولة هى أشد خطورة من محاولة الماركسية التى استمرت بضعة عشر عاماً (١٩٥٦ ـ ١٩٧٠) وخلفت آثاراً عميقة فى حجب الفكر الإسلامى عن النماء .

أما هذه المرحلة اليوم فهى أشد خطورة من المرحلة السابقة إذ تحصنت العلمانية والفلسفة المادية بالقوى المسيطرة من الصحافة والجامعة والمسرح والمسلسلات على نحو خطير يرمى إلى حجب الشباب المسلم عن الفكر الإسلامى وتدمير أصالته وتحطيم مناعته وتوجيهه وجهة تمنعه حتى من التحرك فى المجال الوسط للفكرة الإسلامية البعيدة عن كل تحديات التطرف .

وجاء التعليم ليحجب التاريخ الإسلامى وهو تاريخ يقوم على المقاومة لكل محاولات الغزو والسيطرة والزحف على مقدرات الأمة الإسلامية ، فى محاولة يخشى أن تصل إلى حد الاستسلام إزاء النفوذ الصهيونى والغربى الزاحف بشدة لاحتواء الفكر الإسلامى واختراقه .

كل هذا يستدعى ضرورة العمل على إعادة الثقة إلى النفس المسلمة وحمايتها من الانهيار فى مواجهة الأخطار والتحديات خاصة بالنسبة لوسائل الإغراء وتدمير الحصانة الأخلاقية التى هى من ثوابت الإسلام نفسه والتى تواجه (أى الأخلاق والدين) حملة شعواء ومحاولة لفرض مفاهيم العلمانية على الفكر الإسلامى .

★ ★ ★

لقد آن الأوان أن يشعر المسلمون بعد تجربتهم الطويلة مع الحضارة الغربية : إنَّ منهج الله تبارك وتعالى هو الحق الذى لا مرية فيه والنور الذى لا ريب فيه .

لقد زالت تلك الغشاوة عن العقل المسلم وعن النفس المسلمة ، وأحس المسلمون بأنهم خُدعوا طويلاً بالبريق والزخرف والزيف الذى حملته الحضارة الغربية إلى المجتمعات الإسلامية فحجبتها عن ضوء الإسلام .

وها هى الدنيا تتغير حثيثاً ، وتكشف عن الحقيقة .

إن الزمان يعود مرة أخرى إلى منهج الله تبارك وتعالى الذى لاسبيل غيره ، لقد ظهر الأمر الذى طالما خفى على المسلم تحت تأثير الغفلة التى غشيت القلوب ، والصدأ الذى سيطر على العقول .

ويمكن القول بأن الحقيقة قد ظهرت لهم منذ مطلع هذا القرن (الخامس عشر) غير أن القضية اليوم هى : (العمل على التحول من التبعية إلى الأصالة) .

★★★

(إن المسلمين اليوم على أبواب عصر جديد) .

لسنا نحن الذين نقول هذا ، ولكن أصحاب الخبرة من مفكرى الغرب هم الذين يقولون ذلك ، فقد تأكد لهم أن الإسلام هو مفتاح العصر الجديد الذى تنطلق منه البشرية إلى غايتها .

يقول دكتور مراد هوفمان : إن المشكلة تكمن فى أن الكثيرين من الأوربيين لا يدركون هذه الحقيقة التى تقول إن الحضارة الإسلامية بقيمها الإنسانية الرفيعة غير بعيدة عن الحضارة الأوربية المعاصرة بما فيها الاكتشافات العلمية والفنون الإبداعية والمناهج الهندسية وكلها تعود بجذورها إلى الإسلام وحضارته العريقة .

ولما كان الأوربيون فى الأغلب لا يدركون هذه الحقيقة فهم لا يدركون بالتالى كيف يكون الإسلام هو البديل لنمط الحياة السائد اليوم فى المجتمعات الغربية .

ويقول : لقد وجدت فى القرآن الكريم المصادر الحقيقية التى يستطيع الإنسان أن يستمد منها أسباب القوة الروحية والقدرة على الصمود فى وجه المكاره .

ثم يؤكد فى عبارة حاسمة : إن الإسلام يقدم حلولاً كثيرة للقضايا والأزمات التى تعانيها اليوم المجتمعات الغربية ، خاصة الأزمات التى تفرزها ظواهر تَفَشى المخدرات والتفكك العائلى وغير ذلك من الظواهر الاجتماعية والسلوكية التى تهدد حياة الفرد فى تلك المجتمعات بالتفكك والانهيار .

هكذا يرى هذا الرجل الغربى المنصف :

« إن الإسلام هو الحل ، إن الإسلام هو البديل » .

وهذا يعنى أن مهمة المسلمين هى الآن موضع الامتحان الشديد والاختبار الصعب ، فهذه أوروبا ، وهذا هو الغرب يفسح الطريق أمام كلمة التوحيد بعد أن حارب الإسلام الألف وأربعمائة عام حرباً طويلة .

تتمثل الصورة الآن فى هذا الوطن الإسلامى الواسع الفسيح من حدود أرخبيل الملايو إلى رباط الفتح من خلال قارات آسيا وإفريقيا لتقف على أبواب أوروبا حيث يقف البحر الأبيض المتوسط فاصلاً بين حضارتين وثقافتين ومنطلق للفتح الإسلامى .

بعد أن صهر فى بوتقته البلقان وأسبانيا الإسلامية ، حيث يعسكر فى قلب أوروبا ويتركز فى الولايات المتحدة .

إننا نتساءل ؛ هل يستطيع القرن الخامس عشر الهجرى أن يقترب من حقيقة الإسلام ؟ إن كثيراً من علماء الغرب يقولون: إن القرن العشرين الميلادى هو قرن الإسلام ، هذا القرن الذى يبدأ فى (محرم ١٤٢٠هـ) .

لقد جاء الوقت الذى لم يعد للبشرية من ملاذ إلا إلى الإسلام ، لقد قدم الله تبارك وتعالى هذا النور للبشرية منذ أربعة عشر قرناً ، جاء هذا النور ليكشف للبشرية مدى الوحل الذى اندفعت إليه جرياً وراء الأهواء والمطامع .

جاء هذا الدين ليصحح مسيرة البشرية بعد أن اختلفت الطرق ، وكان لابد أن تعود إلى منهج الله ، فجاء هذا النور ، هذا الدين ليظهره الله تبارك وتعالى على الدين كله .

وجاءت هذه الأمة لتكون خير أمة أخرجت للناس ، شاهدة على الناس جميعاً ، كاشفة عن انحرافها وها هى اليوم تعود إلى طريق الله تبارك وتعالى .



هذه الأمة الإسلامية من جاكرتا إلى رباط الفتح تنطلق الآن لتبحث قضيتها الكبرى ؛ قضية الوحدة الإسلامية الجامعة التى تسلمها إلى منهج الله تبارك تعالى: عقيدة وشريعة .

لقد أمضى المسلمون خمسمائة عام كاملة (١٤٩٦ ـ ١٩٩٦) منذ تراجع العلم فى أيديهم واستطاع العدو أن ينتصر وأن يزحف ويلتهم كل الثروات الإسلامية ويحجب منهج الله تبارك وتعالى ليفرض منهجاً بشرياً خادعاً مضللاً لم يستطع أن يحقق فى الغرب أى نجاح حقيقى لبناء الإنسان ، ومن كلا المشروعين اللذين قدمهما الغرب ؛ منهج الليبرالية ، ومنهج الماركسية ، سقطت كل القيم وعجز الغرب أن يحقق مجتمعاً متكاملاً ، فقد عاش على شطر المادة والاستعلاء والتدمير والحرب .

والواقع أن الغرب منذ اليوم الأول لإنشاء منهجه كان قاطعاً على طريق الأمم بالاستعلاء والغرور بدعوى مضللة؛ أنه هو وحده المسيطر على البشرية كلها فلم يكن الغرب يملك منهجاً أصيلاً يمكنه من قيادة العالم ولكنه كان يعمل على تدمير تكامل الوجود الإنسانى الجامع بين الروح والمادة والقلب والعقل ، وذلك بفرض مفهوم مضلل ناقص هو مفهوم العلمانية .

فمنذ اليوم الأول لنهضته فقد عمل على حجب الدين ، وحجب الأخلاق والقيم التى تقوم على أساس الوحى والغيب فى محاولة إقامة المجتمع البشرى على الفلسفة المادية وعلى معطيات العلم التجريبى ظناً منه أنه يمكن أن يكون بديلاً للدين الربانى .

ومن هنا جاءت مناهجه الليبرالية والقومية والاشتراكية عاجزة عن تحقيق أصالة المجتمع وسرعان ما انهارت هذه المناهج وأصابها العطب والتراجع واحتاجت إلى إضافة وحذف وتصحيح وتغيير ، ومع ذلك فقد استمر الغرب يطرح هذه المناهج المعطوبة فى أفق الفكر الإسلامى والمجتمعات الإسلامية ، وعلى مناهج التعليم والتربية والثقافة .

وقد أدى ذلك إلى خلق هذه الفجوة الخطيرة فى الأمة الإسلامية اليوم بين واقعها القائم المستمد منذ مائتى عام من النفوذ الغربى والحضارة الغربية وبين منهجها الربانى الأصيل القائم على الشريعة الإسلامية والعقيدة والانتماء الإسلامى الأصيل .

ومنذ أن أشرق ضوء اليقظة الإسلامية وأعلام الفكر الإسلامى يعملون على العودة إلى المنابع والارتباط بالميراث الأصيل ؛ ميراث القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة وفى عمل متصل يرمى إلى إعادة بناء منهج الإسلام على الأصالة وتحرير الخطة بحيث يتحقق قيام « منهج أهل السنة والجماعة » .

وتطبيق منهج الشريعة الإسلامية على الأمة الإسلامية كلها كمدخل إلى الوحدة الإسلامية الجامعة على أساس التقارب بين المذاهب وأن يتخفف أصحاب المذاهب فلا يكون اختلافهم إلا فى الفروع حيث لا يتصل بالتوحيد أو اليوم الآخر .

ولقد كانت حركة اليقظة الإسلامية منذ يومها الأول وإلى أن دخلت مرحلة الصحوة عاملة على إقامة الوحدة الجامعة التى تحفظ الكيان بديلاً عن العنصرية والعرق وحماية الذاتية والآنية والهوية الإسلامية .

ولقد مضت مرحلة المواجهة مع الحضارة الغربية فى طريقها ، لم تتوقف دون التسليم بالقيم المطروحة إيماناً بأن تشكيل الفكر الإسلامى يقوم على أساس التصور الإسلامى خلال العقيدة واللغة والتاريخ والتراث .

وأن تكون مقدرات الفكر الإسلامى قائمة على مقاومة أمرين :

أولاً : الفكر الباطنى والمادى والوثنى القائم على الفلسفة المادية والذى جدده اليهود بانتشار بروتوكولات صهيون والصهيونية العالمية بحيث صدرت عنه كل هذه المذاهب الفلسفية القائمة والتى تدرس فى الجامعات الإسلامية من جاكارتا إلى رباط الفتح على حد اعتراف الذين كشفوا هذه المحاولات .

ثانياً : الفكر الماركسى والعلمانى الذى طرحته الصهيونية فى أفق الفكر الإسلامى والذى يحمل الدعوة إلى مهاجمة المقدسات وإباحة المحرمات على النحو الذى يدعو إليه أدونيس ، ومحمد أركون ، ولويس عوض ، ويوسف الخال ، حتى

ليمكن أن يقال : إن الفكر الفلسفى المنتشر الآن فى العالم كله هو من صناعة الفكر اليهودى من العلمانية إلى الماركسية تحت لواء الماسونية وخلفائها من منظمات الروتارى والليونز .

فى قلب الأعاصير التى تلف أرض الإسلام وتكشف عن تحديات ومؤامرات لا يزال الإسلام وسيظل (حتى يرث الله الأرض ومن عليها) قادراً على تقديم نفسه هدى وبشرى للإنسانية فى كل عصر وجيل .

وكلما ادلهمت الخطوب وأظلم الطريق وتعددت صيحات الظالمين الذين يظنون أن التقدم المادى قد حقق لهم قوة يستطيعون بها إطفاء نور الله تبارك وتعالى ومن قلب هذه الظلمات ، ومن صميم هذه الأحداث يكشف الإسلام عن جوهره ويظهر الله نور رسالته الخاتمة التى جاءت لتهدى البشرية إلى الحق وتخرجها من الظلمات من منطلقين أساسيين :

١ ـ ليظهره على الدين كله .

٢ ـ ومهيمناً على الدين كله .

وقد تحمل الإسلام على مدى تاريخه الطويل حملات تكذيب وافتراء وتآمر وإنكار وتزييف لمفاهيمه ومغالطة لحقائقه وعمليات هدم وإبادة وانتقاص وظلم لجماعاته الموزعة فى القارات الخمس ، كما واجه انتقاصاً شديداً وزحوفاً حاقدة تتخطى حدوده وتظل تنهب وتسرق وتقتل حتى استمرت الحروب الصليبية مائتى عام لم يتوقف فيها الغزو والتدمير وسوق الحملات بين موانئ إيطاليا وفرنسا وبريطانيا وبين شواطىء الإسلام فى مصر والشام وفلسطين .

وكان المسلمون خلال تاريخهم كله علامة خير ومحبة وسماحة فقد كانت فتوحاتهم بِرّاً ورحمة لكل أهل البلاد من الشام إلى مصر إلى المغرب إلى الأندلس حيث حرروا أهل تلك الأقطار من مظالم الإمبراطورية الرومانية التى امتدت ألف عام دون أن يطلبوا من أهل الأديان شيئاً أو يفرضوا عليهم دينهم بل تركوهم حتى قبلوا ما آمنوا به عن طواعية وصدق نفس .

واليوم والمسلمون يؤكدون وجودهم ويحررون منطلقهم ويصححون مفاهيمهم

على أساس مفهوم التوحيد الخالص والإيمان بمنهج المعرفة الجامعة بين الوحى والعلم .

إنما يؤكدون أن منهجهم مختلف تماماً عن منهج الغرب ، ولكنهم لا يفرضون منهجهم على أحد ، ولا يقبلون أن يفرض أحد عليهم مفاهيمه وقيمه .

ومن هنا كان علينا أن نُظهر للغرب أن الإسلام هو وحده القادر على فتح طريق أمام المستقبل خارج النمطين الرأسمالى والماركسى اللذين لا يؤديان إلا إلى طريق مسدود .

وقد ظهر ذلك الآن بوضوح ومن أكثر من عقدين أو ثلاثة عقود أن هناك اتجاهاً واضحاً يكشف عن مقدمات التحول نحو تفهم أكثر للإسلام وصمود الأمة الإسلامية فى وجه محاولة تدميرها ، وتأكيد لحق المسلمين فى تبنى نموذجهم الحضارى طبقاً لمعتقداته وتصوراته بعد أن تبين فى شبه إجماع فشل الحلول والأيديولوجيات وفى مقدمتها الاشتراكية والماركسية والعلمانية ؛ فشلها فى مجتمعها الأول فكيف تصلح لغير ذلك من الأمم وفى مقدمتها الأمة الإسلامية التى تملك منهجاً ربانياً منذ أربعة عشر قرناً .

وبالجملة فإن فشل الأيديولوجيات فى أرضها أكبر دليل على عجزها عن العطاء للعالم .



الباب الأول

الإســـــلام المعـــــاصر

دخل المسلمون فى فجر جديد مع نكسة ١٩٦٧ فكانت منطلقاً إلى صحوة إسلامية شهدت أحداثاً فى عديد من أقطار الأمة الإسلامية وكانت مناطق آسيا، وبلاد المسلمين من غير العرب هم الذين وضحت صحوتهم ؛ فى إيران وأفغانستان وتركيا والأندلس (أسبانيا) .

ثم جاءت تجربة الجزائر والسودان تأكيداً للأصالة الإسلامية وكشفاً عن هزائم الفكر الغربى وسقوط الأيديولوجيات التى حاول إقامتها فى أرض الإسلام حيث كشف الإسلام ومنهجه عن هزيمة التجربة الغربية وعجزها عن أن تحقق للأمة الإسلامية أى أمل للتقدم .

وسرعان ما انفجرت الصحوة الإسلامية ، وانكشفت الحصون التى ظلت تعمل فى ميدان الخدمة الاجتماعية لخدمة الصهيونية العالمية ؛ أندية الروتارى ، والليونز ، وجماعات التسلخ الخلقى ، وإخوان الحرية ، وأنصار السلام .

وتكشفت خدعة الحوار بين الأديان والدعوة إلى بناء الإنسان الحر بعيداً عن رابطة الدين والمجتمع .

وانكشف تيار التحرر والإباحة والدعوة إلى الانطلاق .

كذلك فقد كشفت الحرب الأخيرة حقيقة الصراع بين العرب واليهود وأنه صراع عقائدى ، وكيف تعاونت القوى الغربية وتوابعها مع الصهيونية .

كما تبين هزيمة التيارات الخادعة التى تسمت باسم القومية والاشتراكية منذ سقطت .

ثم كانت المؤامرة الكبرى بعد نصر رمضان ممثلة فى خطة واسعة الأطراف حاكها الغرب ترمى إلى تدمير وحدة العالم الإسلامى والحيلولة دون قيام الأمة

الإسلامية بجناحيها ، والعمل على تمزيقه بين الكتلتين ، وتسلط إسرائيل ، وفى ثلاث دفعات إسلامية كانت الهزيمة للعدو :

١ ـ نصر أكتوبر .

٢ ـ معركة فتح .

٣ ـ معركة الجزائر .

٤ ـ معركة أفغانستان.

٥ ـ معركة حماس التى فتحت الباب أمام تصدع النفوذ الغربى الصهيونى ، وكانت أكبر المعارك فى الحقيقة هى هزيمة الماركسية وسقوط النظام الشيوعى فى أكبر قواعده (روسيا) .

★★★

ويمكن وضع تصور صحيح يتحقق فيه انتصار الإسلام بالرغم من القيود والأوضاع التى فرضها النفوذ الأجنبى عليه .

يتأكد هذا فى :

١ ـ حرب رمضان التى أعطت العرب والمسلمين الثقة بما حققته من تأكيد الوجود العربى الإسلامى .

٢ ـ قيام الدولة الإسلامية فى إيران وسقوط نظام التبعية وتحقيق وجود إسلامى فى هذه المنطقة على قوى الغرب .

٣ ـ انتصار المسلمين الأفغان على قوى روسيا الشيوعية مما كان أساساً لانهيار الماركسية والشيوعية حيث ضحى المسلمون بمليون شهيد .

٤ ـ سقوط الشيوعية وتحرر مسلمى وسط آسيا من نفوذ التبعية الماركسية الملحدة وتحرر هذه الأجزاء من الولاء السوفيتى .

٥ ـ قيام وجود إسلامى ينطلق من الشريعة الإسلامية فى السودان والجزائر واليمن والكويت ، ويصل إلى درجة عالية من القوة فى تركيا والأندلس (أسبانيا) .

٦ ـ قيام تجمعات إسلامية فى قلب أوروبا (فرنسا ـ ألمانيا ـ بريطانيا) ، وفى الولايات المتحدة .

٧ ـ وجود أوضاع فى حاجة إلى المعالجة بتكاتف المسلمين :

(١) خاصة فى البوسنة والهرسك حيث تتجمع القوى الأجنبية على العمل لمنع قيام وجود إسلامى حر فى أوروبا .

(٢) وفى الشيشان حيث توجد ريح الجهاد الإسلامى .

(٣) وفى فلسطين عن طريق حزب الله فى لبنان وحماس فى قلب فلسطين ، وفى كل هذه المواقع تتكشف روح الجهاد والإيمان والتضحية والفداء ، وتظل ثابتة لم تستطع القوى الأجنبية أن تزيلها أو تحجبها .

وإذا رجعنا إلى الواقع السياسى الإسلامى اليوم نجد ما يأتى :

١ ـ سبعة ملايين مسلم فى أوروبا تحتاج أوضاعهم إلى عمل كثير وإلى إنفاق من أجل استمرار جهاد المنظمات للحفاظ على الهوية الإسلامية .

٢ ـ ٧٥٠ مليون مسلم يقاومون الفقر والتنصير .

٣ ـ لا يزال الانبعاث إلى الخارج يشكل مخاطر كبيرة فى سبيل حماية الذاتية الإسلامية .

★ ★ ★

ولا يزال تعداد المسلمين فى العالم موضع خلاف كبير فلا يزال الغرب يعمل على تنقيص عدد المسلمين ؛ فمكتب السكان بالأمم المتحدة يعلن (فى يوليو ١٩٨٨) أن عدد المسلمين ١١٥٨مليون نسمة بنسبة ٢٢٫٨٪ من سكان العالم ، ومنهم :

١٧٫٩٠٠ مليون فى أوروبا .

٦٠ فى الاتحاد السوفيتى .

٦٫٥٤٠ فى أمريكا .

وما زال العرب يصدرون المال والنفط والفوسفات ويستوردون السلع الاستهلاكية الغذائية والمصنعة .

فالمال العربى فى مصارف الولايات المتحدة وأوروبا الغربية وصل إلى ٢٥٠ مليار

دولار ، والعمال العرب ذوو المهارات الذين يعملون هناك بعد هجرتهم للغرب بلغوا مليونى عامل وفنى ومتخصص بين طبيب ومهندس أى حوالى ٥ ٪ من قوة العمل العربية وما بين (٣٠ ـ ٥٠ ٪) من العقول والأدمغة التى هاجرت لأسباب سياسية واقتصادية .

أى أننا نصدر كل ما يعين الغرب على الإنتاج (نفط ـ مال ـ عقول) ، ونستورد كل ما يغرقنا أكثر وأكثر فى مستنقع الاستهلاك الآسن الراكد .

* فى عام ١٩٧٠ كان العرب ١٥ مليوناً وعام ٢٠٠٠ سيصبحون ٣٢٣ مليون نسمة (أى سيكون هناك ١٣٠ مليون طفل فى سن الالتحاق بالمدارس) .

★★★

ويقرر كثير من الباحثين :

إن فكرة القروض والمعونات الغربية تهدف إلى شل الاقتصاد الإسلامى وتحقيق أغراض اقتصادية سياسية واستعمارية .

وقد أشار دكتور روبرت . س . ولتزر إلى أن المعونات الأمريكية والسوفيتية هى ـ أساساً ـ أداة من أدوات السياسة الخارجية ، وهى تحقق الأهداف التالية :

١ ـ تدعيم التوجيه الغربى فى الدولة المغتصبة .

٢ ـ دعم النفوذ الثقافى وصيانة النظم الحاكمة .

كما تتضمن قيوداً عسكرية وتحديد التعامل مع الدول الأخرى وبشرط ألا تستعمل ضد إسرائيل أساساً .

وهناك حقيقة قائمة ، هى أن الغرب يدرس الإسلام للتعرف على مصادر قوته للقضاء عليها ، وأن ثروات المسلمين هى الهدف الأكبر، وهى يجب أن تُهدر فى الإنفاق الاستهلاكى المفرط حتى لا تتمكن الأمة الإسلامية من استغلال مواردها الطبيعية وتوجيهها لحماية وجودها ، وهم يعلمون قدرة الإسلام على الامتداد والتوسع خاصة فى مراحل الحصار حيث تتفتح الأبواب لانتصار جديد :

﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون ﴾ [الأنفال : ٤٥] .

هذا الصمود والثبات هو العمل الذى هدى إليه القرآن الكريم ، فالمسلمون سريعاً ما يكتشفون خيوط المؤامرة الغامضة أو الخطة المحبوكة فيعودون إلى المقاومة :

﴿ ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق ﴾ [البقرة : ١٠٩] .

وقد علّمت الأحداث المسلمين أن يثبتوا على موقف المقاومة حيث ما تزال مؤامرات النفوذ الأجنبى (الغربى والماركسى والصهيونى) ممتدة لا تتوقف :

﴿ ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون ﴾ [الجاثية : ١٨] .

وسيظل المسلمون فى موقف الدفاع حتى تنهار هذه القوى :

﴿ ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم قل إن هدى الله هو الهدى ﴾ [البقرة : ١٢٠] .

إنهم يحاربون المسلمين بمشروعات مضللة وخطيرة :

١ ـ ما يسمى الانفجار السكانى .

٢ ـ الوقوف أمام تطبيق الإسلام والشريعة الإسلامية .

٣ ـ التبعية والولاء الغربى .

يقول رسول الله ﷺ :

« لتتبعن سنن من كانوا قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع حتى لو أن أحدهم دخل جحر ضب لدخلتموه وراءهم ، قالوا : اليهود والنصارى ؟ **قال** : **فمن »** .

ولقد كانت الماسونية فى مقدمة المنظمات الخطيرة التى عملت على احتواء المسلمين وكان لها دورها الخطير مع أولياء النفوذ الأجنبى فى الدولة العثمانية لإسقاط الخلافة الإسلامية ، هذا بالإضافة إلى منظمات التبشير والاستشراق وخطط الحوار المسيحى الإسلامى ، حيث يتكشف الدور الذى قامت به الصهيونية لإسقاط الخلافة مع المحفل الماسونى فى سالونيك ، واليهودى قراقصوا الذى قال للسلطان عبد الحميد : سترى كم يكلفك هذا الرفض .

هذا بالإضافة إلى البهائية والقاديانية وهما من أخطر اختراقات الغزو الأجنبى للعقل الإسلامى (ويتصل بذلك بروتوكولات صهيون) .

وقد حملت البرقيات أن هناك ١٨ منظمة مشبوهة تعبث فى دول إفريقية إسلامية تحت ستار الإعاشة وهى تحارب الإسلام .

وقد افتتحت إذاعات لبث برامج فى التبشير بأكثر من خمس عشرة لغة إفريقية من بينها اللغة الفولانية تحت اسم : (صورة البشارة بدأت فى أديس أبابا عام ١٩٦٣) .

ومن ذلك مشروع ميثاق الحرية الدينية ١٩٨٢ حيث أعلن الاتحاد الدولى الديمقراطى المسيحى إقرار مشروع ميثاق (الحرية الدينية) الذى أقره المجمع المسكونى فى الفاتيكان والذى يقر :

١ ـ حرية تبديل الإيمان .

٢ ـ حرية الارتداد عن الإسلام .

٣ ـ حرية نكاح المرأة المسلمة من رجل غير مسلم .

ومن ذلك منظمة اليونسكو والمسيطرون عليها يهود ، وهى تخدم أغراض الصهيونية متذرعة باسم العلم والفن والثقافة ، ويحسن الظن بها بعض المسلمين .

وقد أشار مؤلف كتاب (خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية) إلى هذا الأمر ، وذكر مؤلف كتاب : (أوقفوا هذا السرطان)، وكتاب (حقيقة الماسونية) للدكتور سيف الدين البستانى أن (٨٠ ٪) من موظفيها يهود ، وأن ٤ آلاف موظف فى الأمم المتحدة يهود ، من بين ٥٠٠٠ موظف ، وأن السكرتارية العامة للأمم المتحدة بها (٩٠ ٪) يهود .

★ ★ ★

وكانت حركة التغريب والغزو الثقافى قد بدأت مع الحملة الفرنسية ١٧٩٨ واتسع نطاقها مع الاحتلال البريطانى ١٨٨٢ .

مع فرض القانون الأجنبى وإنشاء المحاكم المختلطة ونشر التعليم الغربى مع

حجب نفــوذ الأزهر والمحكمة الشرعية والشريعة الإسلامية ، وعمل فى مجال المقاومة جمـال الدين الأفغانى ، ومحمـد عبـده ، ورشيد رضـا ، وشكيب أرسلان ، حتى سقوط الخلافة ١٩٢٤ .

حيث بدأت الأحزاب السياسية من سعد زغلول على نهج علمانية مصطفى كمال أتاتورك ، ثم بدأت مرحلة المقاومة بظهور اليقظة الإسلامية ١٩٢٩ .

وإبّان الحرب العالمية الأولى ظهرت الشيوعية وبدأت الحركة الصهيونية بوعد بلفور ، وإقرار الوطن القومى لليهود فى وعد بلفور ١٩١٧ ، ثم سيطرة اليهود على فلسطين ١٩٤٨ ، وسقوط القدس ١٩٦٧ ، ثم ظهر العلمانيون الماسون ويهدفون إلى العمل على تدمير الأصالة الإسلامية عن طريق التبشير والاستشراق والمحافل الماسونية وبروتوكولات صهيون ، ثم الليونز والروتارى وخلفاء الماسونية ، وكان مخطط سيطرة النفوذ الغربى على الأمة الإسلامية قائماً على أربعة عمد :

أولاً : أن تسبق الجيوش التبشيرية الجيوش العسكرية .

ثانياً : الاعتماد على مسيحيى الشرق فى احتلال البلاد الإسلامية .

ثالثاً : إقامة دولة أجنبية فى قلب المنطقة العربية لفصل قارتى إفريقيا وآسيا .

رابعاً : ضرب الإسلام من الداخل .



الباب الثانى

تأكيد منهج الله وتصحيح المفهوم الإسلامى

بعد سقوط القسطنطينية فى أيدى المسلمين بدأ الغرب المؤامرة على أرض الإسلام فى مخطط جديد خطير ، وكان المسلمون قد بدأوا نهضة جديدة نحو إحياء الإسلام فى مفهومه الصحيح وإحياء اللغة العربية الفصحى باعتبارها لغة القرآن .

كانت وراء الغرب تجربة الحروب الصليبية التى انتهت بهزيمتهم ، فكان لابد من مخطط جديد ، وكان ذلك هو (تطويق عالم الإسلام) من خارجه ، والالتفاف حوله من الهند وأندونيسيا .

وكان الغرب يهدف إلى عدة أمور :

أولاً : تحطيم هذه النهضة الجديدة باحتوائها ، وكانت هذه النهضة تهدد الغرب حسب ظنهم .

ثانياً : السيطرة على التراث الفكرى الإسلامى كله وجلبه إلى الغرب بعد أن سيطروا على جامعات الأندلس وعلومها .

ثالثاً : ضرب مقومات الإسلام بإشاعة الشبهات حول الإسلام والقرآن والرسول والتاريخ والسنة واللغة العربية .

ومن هنا كانت حملة نابليون أولاً على مصر والسيطرة الفكرية عليها ثم توجيه محمد على إلى هدم دعوة التوحيد فى قلب الجزيرة العربية .

وكانوا قد أرسلوا أتباعهم يدرسون سواحل الجزيرة العربية الشرقية كما أوقعوا الدولة العثمانية فى مخالب الدولة الفارسية حتى لا تتمكن من إقامة الوحدة الإسلامية الجامعة تحت لواء الخلافة العثمانية ، ولم يمر أكثر من أربعة قرون على

فتح القسطنطينية حتى كانت رسالة التحريض التى كتبها الفيلسوف ليبنتز عام ١٦٧٢ إلى بلاط لويس الرابع عشر يحرضه للسيطرة على مصر ، فى قوله : « إنكم تضمنون بذلك بسط سلطان فرنسا وسيادتها على بلاد المشرق أى دار الإسلام إلى ما شاء الله وتكسبون عطف المسيحية وتسمعون ثناءها وهنالك لا تخسرون عطف أوروبا بل تجدونها مجمعة على الإعجاب بكم » .

وظل تقرير ليبنتز منبهاً لساسة فرنسا إلى غزو دار الإسلام فى مصر حتى جاء نابليون .

★ ★ ★

بداية الغزوة الاستعمارية للعالم الإسلامى
من الحملة الفرنسية إلى الاحتلال البريطانى ١٧٩٨ - ١٨٨٢

وجاء سقوط الخلافة ١٩٢٤ ، حيث ظهرت كوكبة من المصلحين ؛ من الشوكانى إلى جمال الدين الأفغانى ومحمد عبده ، ثم جاءت حركة اليقظة لتصحيح مفهوم الإسلام بوصفه منهج حياة ونظام مجتمع ١٩٢٦ ، والعمل على تكوين جيل جديد يفهم الإسلام فهماً صحيحاً ويعمل بتعاليمه ويوجه النهضة إليه حتى تكون مظاهر حياة الأمة مستمدة من روحه مرتكزة على قواعده وأصوله ويكون ذلك بـ :

١ ـ تقوية الفضائل الخلقية وإحياء الشعور بكرامة الأمة .

٢ ـ التحذير من الاندفاع فى حياة المتعة والترف والمادة وتقليد الغرب والتذكير بأصول الحضارة الإسلامية .

٣ ـ نشر الثقافة والتعليم والمحافظة على القرآن .

٤ ـ علاج الآفات الاجتماعية كالمخدرات والمسكرات .

٥ ـ الدفاع عن الإسلام ورد كل عدوان يراد به .

لقد عملت الدعوة الإسلامية على إنشاء قوة مقاومة تبايع الله تبارك وتعالى على المقاومة وعلى حماية الكيان وعلى مواجهة النفوذ الغربى الذى كان يهدف إلى

إسقاط الخلافة وتدمير الوحدة الإسلامية التى كان قوامها الدولة العثمانية .

كانت الدعوة كشفاً للحقيقة التى حجبها المستعمر حين ادعى أن الإسلام ليس إلا عبادة لاهوتية وليس نظام مجتمع ومنهج حياة على النحو الذى كشف عنه هاملتون فى كتابه عن المستشرقين الخمسة (وجهة الإسلام) والذى دحضت الدعوة مطمحه وهدفه .

ولكن توالت المراحل الخطيرة فى حياة الأمة الإسلامية :

أولاً : بإقامة رأس جسر فى فلسطين للصهيونية العالمية يقطع وحدة الإسلام الجامعة كقوة متكاملة بين قارتى إفريقيا وآسيا .

ثانياً : جاءت سيطرة الشيوعية على الإعلام والثقافة ، ولكن سرعان ما حققت الدعوة الإسلامية انتصارات حاسمة فى مقدمتها نصر رمضان ١٣٩٣ هـ/ أكتوبر ١٩٧٣م وحركة التصحيح الإسلامية فى إيران ١٩٨١ ، ثم كان سقوط الشيوعية ١٩٩١ مدوياً على أثر صمود أفغانستان والدول الإسلامية .

★ ★ ★

كانت مؤامرة تمزيق وحدة الأمة الإسلامية واضحة تماماً فى مقررات لجنة كامبل بترمان ١٩٠٧ حين أحس بأن الإسلام سوف يحقق نتائج إيجابية فلابد من حسمها وتدميرها ؛ يقول : « إن الإمبراطوريات تتكون وتتسع وتقوى ثم تستقر إلى حد ما ثم تنحل رويداً رويداً وتزول ، والتاريخ ملىء بمثل هذه الأمثلة وهى لا تتغير بالنسبة لأى إمبراطورية أو أمة فهناك إمبراطوريات روما وأثينا والهند والصين ، وقبلها بابل ، وآشور ، والفراعنة وغيرها .

فهل يمكن الحصول على أسباب أو وسائل تحول دون سقوط الاستعمار الأوربى وانهياره أو أن تؤخر مصيره المظلم بعد أن بلغ الآن الذروة وبعد أن أصبحت أوربا قارة قديمة استنفدت مواردها وشاخت معالمها ، بينما العالم الآخر (عالم الإسلام فيما يقصد) لا يزال فى شبابه يتطلع إلى مزيد من العلم والتنظيم والرفاهية » .

وكانت إجابة فريق من العلماء الذى تجمع من أجل هذه القضية :

أ ـ يكمن الخطر على الاستعمار فى شواطئ البحر الأبيض المتوسط جنوبه وشرقه **حيث توجد أمة تتوافر لها وحدة الدين والتاريخ واللسان** وكل مقومات التجمع والترابط فضلاً عما لها من ثروات طبيعية ونزعات ثورية ، ستكون خطراً ساحقاً على الغرب إذا استخدمت الوسائل الحديثة ، وإمكانات الصناعة الأوربية وانتشر فيها التعليم ، ستكون خطراً تحل به الضربة القاضية على الاستعمار الغربى .

ب ـ على الدول ذات المصالح المشتركة أن تعمل على استمرار « تجزُّؤ » هذه المنطقة وتأخرها وبقاء سعيها على ما هو عليه من تخلف وتفكك .

ج ـ ضرورة فصل الجزء الإفريقى بهذه المنطقة عن الآسيوى بإقامة حاجز بشرى قوى وغريب يحتل الجسر الرابط من آسيا وإفريقيا وعلى مقربة من قناة السويس ليكون قوة صديقة للاستعمار ومعادية لسكان المنطقة .

د ـ تحويل الثروات الطبيعية البكر الغنية للعالم الثالث لتصب فى الغرب ، وليعيش غرب أوربا بالذات فى رفاهية لا مثيل لها .

وكان هذا (التصور) هو المعمل الذى رسمه النفوذ الأجنبى ولم يكن ذلك بعيداً عن عقول الغيورين على وحدة الأمة الإسلامية ، وكان أكثر الناس فهماً لهذه المؤامرة السلطان عبد الحميد الذى كان ضحية هذه المؤامرة بعد ذلك .

فقد دعا السلطان عبد الحميد إلى إنشاء جامعة إسلامية توحد بين المسلمين كافة فى مشارق الأرض ومغاربها وتعبئ جهودهم للدفاع عن الخلافة الإسلامية فى وجه أعدائها من الصليبيين على وجه الخصوص ، واجتمع على تأييدها أهل الفكر ورواد الإصلاح وفى مقدمتهم جمال الدين الأفغانى ، الذى وضع أسس الدعوة فى أنحاء العالم الإسلامى للدفاع عن كيانه والحيلولة دون الانهيار وكانت النزعة الإسلامية حتى مطلع القرن العشرين تطغى على العصبية الجنسية والقومية والوطنية معاً .

من أجل هذا رحبت الشعوب الإسلامية بسلطان الخليفة التركى وسيادة الدولة العثمانية وسلطان الباب العالى .

لم يكن هناك خلاف بين المسلمين على تأييد الجامعة الإسلامية وإنما نشأ الخلاف فى شأن ارتباطها بالخلافة ومدى سيادتها على الحكومات الأخرى ، هذه الخلافة كانت لايرتضيها القائلون بإمامة قريش والداعون إلى استقلال العرب ، ولم يجد دعاة القومية العربية تناقضاً بين دعوتهم وتأييد الجامعة الإسلامية وقد سبق مؤسس الوهابية فى الدعوة إلى رد الخلافة للعرب .

★★★

نعود من جديد إلى دولة الخلافة

لقد استطاعت الدولة العثمانية أن تقتحم القسطنطينية وتقيم التضامن الإسلامى الجامع للعرب والترك والذى امتد إلى تونس والجزائر والذى أفضى إلى قيام الخلافة الإسلامية التى استطاعت أن تقتحم أوربا وتسيطر عليها ثلاثة قرون كاملة باسم الإسلام وتصل إلى أسوار فيينا مرتين .

ثم جاءت المؤامرة التى احتشدت لها البابوية وملوك أوربا من أجل إسقاط الخلافة وتقسيم الدولة العثمانية وإقامة رأس جسر فى قلب الوطن الإسلامى من خلال الصهيونية العالمية .

وكانت معركة (ليبانتو) ١٥٧١ آخر الانتصارات وأول الهزائم فقد حققت للدول الأوربية السيطرة الكاملة على البحر المتوسط ولم يتمكن أى سلطان من سلاطين آل عثمان الذين توالوا على العرش من تكوين أسطول قوى يتحدى سيطرتهم وظلت هيمنة أوربا على البحر المتوسط مستمرة بعد هذه المعركة وإلى وقتنا الحاضر نتيجة اهتمام الأوربيين بتطوير الملاحة وصناعة السفن العملاقة القادرة على الإبحار فى أعالى البحار بينما ظلت السفن العربية الإسلامية مجرد قوارب كبيرة لا تستطيع التوغل فى البحر وإن كانت كافية لحماية الشواطئ .

وقد تمسكت السفن الإسلامية باستراتيجية خوض المعارك البحرية بأسلوب المعارك البرية ، فى الوقت الذى طور أعداؤهم فيه أساليبهم ووضعوا قواعد جديدة لخوض الحروب فى البحار ، وبعد معركة (ليبانتو) أصبحت السفن الغربية أفضل

تجهيزاً من السفن الإسلامية التى ظلت ضعيفة وغير معدة لخوض معارك بحرية فى مياه المحيطات .

ويرى المؤرخون أن معركة (ليبانتو) كانت بداية القصة الدامية التى شجعت أوربا على غزو آسيا والشرق الأوسط .

فقد أخذت الدول الغربية تعبئ كل قواها ومواردها لإعداد الأساطيل البحرية الضخمة المزودة بأحدث أسلحة الفتك والدمار لإقامة المحطات والقواعد على كل السواحل الآسيوية والإفريقية .

★ ★ ★

ومن هزيمة الأتراك فى (ليبانتو) تضافرت قوى الغرب على إسقاط الدولة العثمانية خلال الحرب العالمية الأولى وتقسيم الدول العربية وإفساح المجال لقيام الوجود الصهيونى .

وقد قامت الدولة العثمانية خلال خمسة قرون بحماية الوجود الإسلامى وجاء مصطفى كمال أتاتورك ليدخل إلى الوطن الإسلامى مؤامرة العلمانية ، وحجب الشريعة الإسلامية ، وأقام القانون الغربى المعارض للمنهج الإسلامى .

وتحولت تركيا العثمانية ـ دولة الخلافة الإسلامية ـ إلى دولة غربية فى لغتها وحركتها وتوجهها رغم أنف المسلمين الذين لا يملكون قدرة على مقاومتها .

ومع مرور الأيام ظلت تركيا تحمل الإسلام وتحفظه ، يقول عصمت إنيونو الزعيم التركى وخليفة أتاتورك فى تصريح خطير له : « إننى لا أكاد أصدق ما أرى، لقد بذلنا كل ما نستطيع لانتزاع الإسلام من نفوس الأتراك وغرس مبادئ الحضارة الغربية مكانه فإذا بنا نفاجأ بما لم نكن نتوقعه ، فقد غرسنا العلمانية فأثمرت الإسلام » .

كان هدف النفوذ الغربى الاستعمارى هو حجب منهج الإسلام والاكتفاء بالعبادات بعيداً عن مقررات الإسلام فى مجال الاقتصاد أو الاجتماع أو السياسة أو التربية .

وهكذا مضى النفوذ الاستعمارى فى كل أقطار الإسلام إلى تحقيق هذه المؤامرة فى مصر ، وفى الهند ، وفى إيران ، وفى أندونيسيا وأفغانستان وتركيا نفسها .

وقد عمل المجاهدون والمصلحون المسلمون فى كل جزء من أجزاء الأمة الإسلامية على تحرير مفهوم الإسلام وإعادته إلى أصله من حيث أنه نظام جامع وليس ديناً لاهوتياً يقوم على أساس العبادات والتراتيل اللاهوتية حيث يبدو ذلك واضحاً فى خطوات المصلحين؛ الشوكانى فى اليمن ، وجمال الدين فى إيران ومصر وتركيا ، وعبد الوهاب فى الجزيرة العربية ، والمهدى فى السودان ، وابن عرفان[1] فى الهند ، وكثيرون فى قلب أفريقيا ، أما فى مصر فكان محمد عبده ، ورشيد رضا ، وشكيب أرسلان ، وعبد العزيز جاويش ، وحسن البنا ، مقنّنى الصحوة بالعودة إلى منهج رسول الله ﷺ فى التربية ، ثم جاءت الطبقة الثانية فظهر عبد الحميد بن باديس فى الجزائر وامتداد حسن البنا فى مصر والمودودى فى باكستان وأبو الحسن الندوى فى الهند كل هؤلاء جاءوا بعد سقوط الخلافة يدعون إلى حمل لواء الدعوة إلى الإسلام لمفهوم جامع قوامه منهج حياة ونظام مجتمع وجهاد ضد الدخيل وإخراجه من أرض المسلمين .

لقد ظهر فى كل قطر من أقطار المسلمين من حمل الراية ودعا إلى الله ووقف فى وجه النفوذ الأجنبى ، وكان هذا تدميراً للمؤامرة التى كشف عنها (هاملتون جب) فى كتابه (وجهة الإسلام) حيث حاول هو وزملاؤه أن يدرسوا كيف وصل التغريب بالعالم الإسلامى وما هى العوامل التى تمكن من الإجهاز عليه وتغريبه كلية وفى ذلك عبارة واضحة يتساءل جب عن المستقبل : « ما هو مستقبل التغريب؟ » .

ويقول : إلى أى مدى أصبح العالم الإسلامى غريباً ؟ ويجيب عن ذلك مستعرضاً نفوذ الثقافة الغربية فى العالم الإسلامى قطراً وراء قطر .

ثم يعقب على ذلك بقوله :

---

(١) الذين جددوا الإسلام قبل الحملة الفرنسية (البغدادى ، الجبرتى الكبير ، ابن عبد الوهاب ، المرتضى الزبيدى ، الشوكانى) .

« نستطيع أن نقول حسب سير الأمور الآن : إن العالم الإسلامى سيصبح خلال فترة قصيرة (لا دينياً) فى كل مظاهر حياته ما لم يطرأ على الأمور عوامل ليست فى الحسبان فيتغير اتجاه التيار » .

كتب هذا هاملتون جب فى الأيام نفسها التى كانت فيها اليقظة الإسلامية تشق طريقها لتواجه مختلف شبهات الاستشراق والتغريب مواجهة حاسمة ومن ثم كان لها دورها الواضح فى تصحيح ما دسته الشعوبية والعلمانية حيث علت صيحة التحرر من التبعية للنظريات الغربية الوافدة .

أولاً : كشفت اليقظة عن المراجع الزائفة : دائرة المعارف الإسلامية ، والمنجد ، والموسوعة الميسرة ، وأعلنت أن الأغانى وألف ليلة وكتب المحاضرات ورسائل إخوان الصفا كلها مراجع زائفة .

ثانياً : كشفت اليقظة أخطاء طه حسين ، سلامة موسى ، ساطع الحصرى ، جرجى زيدان ، على عبد الرازق ، أمين الخولى ، لويس عوض ، وكشفت عن فساد النظريات التى طرحوها .

ثالثاً : سقطت مدرسة جبران خليل جبران ودعوات :كتابة العربية بحروف لاتينية ، والفرعونية ، والعامية ، وفساد عبارة (التنوير) وعصر التنوير ، فهى كلمة يهودية .

رابعاً : أعيد اعتبار السلطان عبد الحميد وموقفه المشرف من مقاومة الصهيونية ، وتحرر موقف ابن خلدون والمتنبى وعمر الخيام بعد أن سبقت الاتهامات لتدمر كيانهم الأصيل .

خامساً : تكشف فساد وجهة الحضارة الغربية إلى المراكب الغارقة ، والغربيون اليوم هم الذين يقولون بانهيار الحضارة ، وقد كشف عن ذلك شبنجلر منذ أربعين عاماً ، وجاء بعده الكس كارمل وجارودى ، وتبين أن هزيمة الحضارة الغربية ترجع إلى سبب واحد : هو غياب البعد الإلهى للحضارة والعلم ، والبعد الأخلاقى للمجتمع والاقتصاد ، كما تبين وهم فكرة الحوار بين المسيحية والإسلام ؛ لأنها لم تقم على أساسها الصحيح وهو إيقاف التنصير ، كما تكشف زيف الكتب المقدسة

مصدر التبشير ، كما تظهر اعتراف الغرب بفضل حضارة الإسلام .

سادساً : تكشف هزيمة القانون الوضعى وفساد نظرية العلمانية ، وتأكد أن مفهوم الإسلام الأصيل (دين ودولة) منهج حياة ونظام مجتمع هو المفهوم الصحيح وقد سقطت قلاع الإقليمية والقومية والماركسية .

سابعاً : تبين فساد دعوى (جيل العمالقة) فقد تكشف أن هؤلاء العمالقة لم يكونوا إلا قناطر بين الفكر الغربى والفكر الإسلامى ، وأنهم لم يزيدوا على أنهم نقلوا نظريات الغرب دون أن يتبينوا صلاحيتها أو فسادها ودون أن يثبتوا فسادها أو صلاحها ودون أن يقدموا معها تقديماً يؤصلها ، كذلك فقد كذبت الوقائع أن يكون أرسطو معلماً للمسلمين كما يدعون .

ثامناً : تبين أن هناك انقطاعاً حضارياً بين الإسلام والعصر الجاهلى وأنه ليس هناك ارتباط بين الفرعونية والبابلية والفينيقية وبين عصر التوحيد الإسلامى وتبين أن أول تاريخ العصر الحديث هو ظهور الإسلام وليس سقوط الدولة الرومانية .

تاسعاً : تبين أن المنهج الفلسفى لديكارت أخذت عناصره من نظرية الإمام الغزالى التى أوردها فى كتابه (المنقذ من الضلال) وقد وجد فى النسخة المترجمة إلى الفرنسية تعليق ديكارت بما يؤكد هذا المعنى (أورد هذا عثمان الكعاك لكاتب هذه السطور) .

عاشراً : إن النظريات العالمية التى قيل إنها بنت حضارة العصر قد سقطت ؛ نظرية دارون ، نظرية ماركس ، نظرية فرويد ، نظرية دوركايم ، أما نظرية دارون فقد تجاوزتها الكشوف والحضارات بعد أن ظهرت عظام الإنسان قبل ١٧ مليون سنة شمال كينيا وهو مستقيم الجذع تماماً كما هو اليوم .

أما نظرية ماركس فقد سقطت ؛ لأنها اعتمدت على وقائع انتقائية من التاريخ، ولم يدرس ماركس الإسلام ، أما نظرية فرويد فقد ثبت فسادها ، لأنها اعتمدت على عنصر واحد هو الجنس ، أما نظرية دوركايم فقد سقطت ؛ لأنها خالفت الفطرة والعلم .



وكانت دعوة هاملتون جب التى قام بها وجماعته هى العمل على غزو العقول العربية والإسلامية بالأقطار الغربية حتى تنقطع القنوات التى تستقى كلها من نبع واحد والتى تؤدى إلى هدف واحد .

ويقول هاملتون جب : إن هذا العمل سيعمل على زلزلة بناء المجتمع الإسلامى وتقويض أركانه .

كما دعا إلى القضاء على الرابطة العامة الوثيقة بين عناصر المجتمع الإسلامى والتى نشأت من العقيدة والثقافة الدينية المشتركة وهى التى تؤلف بين الجماعات الإسلامية فى الشعور والرأى والمصلحة وكان لابد لهدم هذه الرابطة من خلق الفرق والأحزاب والهيئات ذات الولاء الغربى والشرقى والسياسى والاجتماعى مع التركيز على الأقليّات وعلى القبليات وإحياء النزعات القديمة التى انتشرت ؛ سواء الفرعونية والفينيقية والآشورية والبابلية وكذلك إدخال الفرق الجديدة كالشيوعية والوجودية والفرويدية .

يقول : ولكى نقضى على التعاطف الإسلامى الذى يجمع الشعوب ظهرت الدعوات إلى تاريخ قومى لكل قطر عربى يمتد إلى تاريخ ما قبل الإسلام مع أن الإسلام حين جاء قضى على هذا التاريخ ، وأعلن المؤرخون قيام (الانقطاع التاريخى) بين ما قبل الإسلام وما بعده .

★ ★ ★

ولقد كان تقرير هاملتون جب الذى أعده ليرسم مخططاً لحركة التغريب والذى ظهر فى عام ١٩٣٠ إنما كان يرمى فى الأساس إلى القضاء على منهج الإسلام والوحدة العقائدية الفكرية .

كان العمل الخطير الذى دعا إليه جب هو تجزئة الثقافة فى البلاد العربية والإسلامية حتى يكون لكل وطن ثقافته ، فيظل المسلمون على تمزق فى ثقافتهم الموحدة ودون حصول القدرة على التكامل الجامع أو استئناف نهضتهم ، ولكن دعوة اليقظة كانت قد بدأت فعلاً وكشفت هذه المحاولات ولم يستطع هذا المخطط المسموم أن يؤثر فى دعوة الأمة الإسلامية إلى الوحدة الجامعة .

الباب الثالث

عالمية الدعوة الإسلامية

كان إلغاء أتاتورك للخلافة الإسلامية هى أمل أعداء الإسلام فى القضاء عليه من الجذور وإلى الأبد ، وسنحت لهم فرصة ظنوها القاضية ليغيب الإسلام عن الحياة والوجود ، ولينحسر ظله عن الأذهان والعقول ، وليتقلص سلطانه على النفس والضمير ، فاقتسموا بلاده فيما بينهم غنيمة باردة ، وروجوا التيارات العلمانية المادية وناصروا النعرات القومية والوطنية معتقدين أنهم نفضوا أيديهم نهائياً من الإسلام ، ولم يلبثوا إلا قليلاً حتى أشرق فجر الدعوة إلى الله لتصحيح مفهوم الإسلام ؛ عقيدة وشريعة ونظاماً للحياة كلها ، وإلى وحدة المسلمين تحت راية الخلافة الإسلامية من جديد ، كل هذا بعد أعوام أربعة فقط من إلغاء الخلافة .

ولقد كان موقف خصوم الإسلام قد بلغ قدراً كبيراً من الغبن للإسلام فقد استطاع خصوم الإسلام أن يخدعوا عقلاء المسلمين وأن يضعوا ستاراً كثيفاً أمام أعين الغيورين منهم بتصوير الإسلام نفسه تصويراً قاصراً فى ضروب من العقائد والعبادات والأخلاق إلى جانب مجموعة من الطقوس والخرافات والمظاهر الجوفاء وأعانهم على هذه الخديعة جهل المسلمين بحقيقة دينهم حتى استراح كثير منهم إلى هذا التصوير واطمأنوا إليه ورضوا به وطال عليهم فى ذلك الأمد حتى صار من العسير أن يفهم أحدهم أن الإسلام نظام اجتماعى كامل يتناول كل شئون الحياة، ونستطيع بعد ذلك أن نقول : إن الحضارة الغربية بمبادئها المادية قد انتصرت فى هذا الصراع الاجتماعى على الحضارة الإسلامية بمبادئها القويمة الجامعة للروح والمادة معاً فى أرض الإسلام نفسه وفى حرب ضروس ميدانها نفوس المسلمين وأرواحهم وعقائدهم وعقولهم كما انتصرت فى الميدان السياسى والعسكرى .

ولا عجب فى هذا فإن مظاهر الحياة لا تتجزأ والقوة قوة فيها جميعا والضعف ضعف فيها جميعاً كذلك ، ﴿ وتلكَ الأيَّامُ نُدَاوِلها بَينَ النَّاسِ ﴾ [آل عمران : ١٤٠]وإن

كانت مبادئ الإسلام وتعاليمه ظلت قوية فى ذاتها ، فياضة بالخصب والحياة ، جذابة أخاذة بروعتها وجمالها ، وستظل كذلك ، لأنها الحق من صنع الله وفى حياطته : ﴿ **إنَّا نَحنُ نزَّلنا الذِّكرَ وإنَّا لهُ لحافظُونَ** ﴾ [الحجر : ٩] ﴿ **ويَأبَى اللَّه إلا أنْ يُتمَّ نورَهُ ولَو كَرِهَ الكَافِرونَ** ﴾ [التوبة : ٣٢] .

وكما كان لذلك العدوان السياسى أثره فى تنبيه المشاعر القومية فلقد كان لهذا الطغيان الاجتماعى أثره كذلك فى انتعاش الفكرة الإسلامية فارتفعت الأصوات فى كل مكان تطالب بالرجوع إلى الإسلام وتفهم أحكامه وتطبيق نظامه ، ولا بد أن يأتى قريباً ذلك اليوم الذى تندك فيه صروح هذه المدنية المادية على رءوس أهلها وحينئذ يشعرون بسعير الجوع الروحى تشتعل به قلوبهم وأرواحهم ولا يجدون الغذاء والشفاء والدواء إلا فى تعاليم هذا الكتاب الكريم :

﴿ **يا أيُّها الناسُ قَد جَاءتكُمْ مَوعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُم وشِفَاءٌ لما فى الصُّدُور وَهُدًى وَرَحمَةٌ للمُؤمنينَ * قل بفَضْلِ اللَّه وبرَحْمتِه فَبِذَلكَ فَلْيَفرحُوا هُوَ خَيرٌ ممَّا يَجْمَعُونَ** ﴾ [يونس : ٥٧ ، ٥٨].

وهكذا أراد الله تبارك وتعالى أن ترث هذه التركة المثقلة بالتبعات جماعة مؤمنة وأن يشرق نور الدعوة فى ثنايا هذا الظلام وأن يهيئ الله هذا النصر لإعلاء كلمته وإظهار شريعته وإقامة دولته من جديد ﴿ **وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّه مَنْ يَنْصُرُهُ إنَّ اللَّه لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ** ﴾ [الحج : ٤٠] .

وهكذا بدأ هذا الضوء الكاشف ينطلق من قلب (كنانة الله فى أرضه) التى قال عنها رسول الله ﷺ : « **ستفتح عليكم مصر من بعدى فاتخذوا منها جنداً كثيفاً فإنهم من خير أجناد الأرض** » – قال أبو بكر رضى الله عنه : ولماذا كانوا كذلك يا رسول الله ؟ قال : « **لأنهم فى رباط إلى يوم القيامة** » .

انطلقت الدعوة وامتدت شرقاً وغرباً وقدمت الأعلام الهداة فى كل مكان من أرض الوطن العربى والأمة الإسلامية حيث حملت لواء الدعوة إلى تحرير الوطن الإسلامى من كل سلطان أجنبى وإقامة نظام الإسلام فى كل مجتمع إسلامى مع تبليغ دعوته الحكيمة للناس .

وقد تحددت الغاية والوسيلة من اليوم الأول :

إن غاية الدعوة تنحصر فى تكوين جيل جديد من المؤمنين بتعاليم الإسلام الصحيح يعمل على صبغ الأمة بالصبغة الإسلامية الكاملة فى كل مظاهر حياتها ﴿ صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً ﴾ [البقرة : ١٣٨] . وأن وسيلتهم فى ذلك تنحصر فى تغيير العرف العام وتربية أنصار الدعوة على هذه التعاليم حتى يكونوا قدوة لغيرهم من التمسك بها والحرص عليها والنزول على حكمها وإنهم ساروا إلى غايتهم فى حدود وسيلتهم فوصلوا إلى درجة من النجاح يطمئنون إليها ويحمدون الله عليها .

وقد اتسعت دائرة الدعوة الإسلامية فى اتجاهين أساسيين :

(**أولهما**) فى الأقطار العربية وكان الأزهر أساساً فى ربط الشباب المسلم بالدعوة حيث قامت مراكز الدعوة فى وادى النيل وفلسطين وشرق الأردن وسوريا ولبنان والعراق والكويت واليمن وإمارات الخليج والحجاز والمغرب العربى .

(**ثانياً**) ثم امتدت الدعوة إلى أندونيسيا وسيلان والباكستان وإيران والأفغان وتركيا وأوربا وأمريكا .

ويعد عام ١٩٤٨ حداً فاصلاً بين انتشار الدعوة وقيام حركة الهجرة التى أخرجت عشرات من مثقفى الإسلام منذ عام ١٩٦٤ إلى البلاد العربية والأوربية خاصة الذين قصدوا إلى قلب أوربا وإلى أمريكا فكسبت الدعوة من ذلك أكثر مما خسرت فقد فتحت آفاق الدعوة فى مجالات جديدة أذن الله تبارك وتعالى ببلوغها لم يكن ليصل إليها دعاة القاهرة .

وفى ساحة الحج ومؤتمر منى كانت دائماً تلتقى هذه العناصر ، وفى هذه الفترة ظهرت أسماء لامعة ؛ (مصطفى السباعى ، ومصطفى الزرقا ، وعمر الأميرى ، موعروف الدواليبى ، ومحمود الصواف العراقى ، وأحمد قمر الدين الأندونيسى ، وعلى لوز ، ونتوفتش البولونى ، ومحب الدين الفقى التونسى ، ومحمد تواضع الصينى ، وعبد الحميد بن باديس الجزائرى) .

وفى قلب القاهرة تعددت الجماعات ؛ الشبان المسلمين ، الجمعية الشرعية ،

أنصار السنة ، محمود خطاب السبكى ، محمد حامد الفقى ، السيد تصدق حسين القادرى (لاهور) .

وقد أشار المؤتمر الصحفى الذى عقد بمناسبة مرور عشرين عاماً على تأسيس الدعوة (سبتمبر ١٩٤٨) أن عدد الأنصار العاملين فى وادى النيل ٥٠٠ ألف (نصف مليون) والأعضاء المنتسبين أضعاف هذا العدد ، وقد سجل عالمية الدعوة الأستاذ / أحمد حسن الزيات صاحب مجلة الرسالة فى ٧ يناير ١٩٥٢ بعد استشهاد الأستاذ البنا حيث قال : « الإخوان المسلمون هم وحدهم الذين يمثلون فى هذا المجتمع الممسوخ عقيدة الإسلام الخالص وعقلية المسلم الحق ، إنهم لا يفهمون الدين على أنه صومعة منعزلة ولا الدنيا على أنها سوق منفصلة وإنما يفهمون أن المسجد منارة السوق وأن السوق عمارة المسجد ، وكان للإخوان المسلمين فى الإرشاد لسان ، وفى الاقتصاد يد ، وفى الجهاد سلاح ، وفى السياسة رأى ، فلهم فى كل بلد من البلدان العربية أتباع ، وفى كل قطر من الأقطار الإسلامية أشياع ، وما يقظة الوعى العام فى السودان والعراق وسوريا وفى اليمن والحجاز وفى الجزائر ومراكش إلا شعاع من هذه الروح سيكون له بعد حين نبأ » .



ولقد كان الأستاذ حسن البنا قد رأى بنور إيمانه عيوب المجتمع الإسلامى فى هذه القضايا الثلاث :

١ ـ الدعوى التى تقول : إن الخلافة الإسلامية كهنوت ، وإن الإسلام ليس ديناً ودولة (على عبد الرازق) .

٢ ـ الدعوى التى تقول : إن الشعر الجاهلى الذى يفسر به القرآن منحول ـ أى مختلق ـ (طه حسين) .

٣ ـ الدعوى التى تقول : إن القوميات والإقليميات هى أساس بناء المجتمع السياسى الإسلامى ، ولذا فهى تحارب الوحدة الجامعة .

٤ ـ الدعوى التى تقول : إن لليهود حقاً فى فلسطين .

ولقد كانت كلمته الحاسمة الحكيمة واضحة أمام كل أعين الدعاة إلى الله :

« لا تصادموا نواميس الكون فإنها غلابة ولكن غالبوها واستخدموها وحولوا تيارها واستعينوا ببعضها على بعض وترقبوا ساعة النصر وما هى منكم ببعيد » .

وكان أبرز قدراته عمق فهمه للقرآن الكريم :

يقول : « فالقرآن الكريم يخاطب الفطرة الإنسانية ويحررها من كل لون صناعى ، لايخاطبها على أساس الفلسفة أو المنطق أو النظرات اللاهوتية ؛ لأن هذا كله من وضع الناس للناس .

وقد نحا القرآن فى هذا منحى عربياً لم يسبقه فيه كتاب من كتب العقيدة فأنت تجد فيه المعنى البسيط المؤثر المبنى على الفطرة الإسلامية الخالية من كل كلفة ومن كل تصنع .

ذلك أن القرآن الكريم لم يسلك فى هذا مسلك الكتب العلمية فنأى بالعقائد من ناحية ، والعبادات من ناحية ، والأخلاق من ناحية والأحكام من ناحية أخرى ذلك لأن كتاب الله تعالى لا يقصد أبداً إلى الفائدة العلمية وحدها ولم يأت ليملأ رءوس الناس وأدمغتهم وحوافظهم بكثير أو قليل من النظريات العلمية ، وإنما جاء كتاب الله ليصقل النفوس ويثير جوانبها ويزيل الغشاوات عن الأرواح فتكون أرواح الناس هذه منابع للعلم .

وبما أن النفس الإنسانية وحدة لا تتجزأ فالعقيدة مظهر من مظاهر هذه النفس والخلق أيضاً ، والعبادات حالة من حالات النفس والحكم هو الآخر يقصد للتأثير فى هذه النفس ولزجرها ، ولذلك جاءت كل الأمور على شكل جرعة واحدة لا تستغنى عنها النفس مجتمعة حتى تتولى أمرها » .

هذا فهمه للقرآن وهو فهم يؤكد ما أُطلق عليه حين سُمِّى [الرجل القرآنى] .

أما فهمه للإسلام فهو فهم أصيلٍ عميق الأصالة ، لأنه يعتمد على مفهوم الكتاب والسنة ، ولقد كان أخطر ما قدم فى ذلك الكتاب حيث حرر مفهوم الإسلام عن مفاهيم الكلام والفلسفة ، وذلك قوله :

« سبيلنا إلى التعرف على ذات الله وأسمائه وصفاته وأفعاله ، ليس علم أصول الكلام فى نزوعه إلى الفلسفة والاصطلاحات العلمية المعقدة التى تشتت الذهن وتفرق القلب ، ولا ذوق أصحاب الوجد فى انقطاعه عن منهج العلم .

وإنما سبيلنا هو العلم الصحيح الثابت فى الكتاب والسنة الموصل إلى العمل الذى تتحرك به الجوارح منفعلة بوجدان قلب عَلِمَ من ذات الله ربِّه وصفاته ما حرَّكه بالخشية والرهبة والحب وكمال الخضوع والذل » .

وهكذا يحدد موقف الدعوة بعيداً عن مقولة (المعتزلة الجدد) التى تتمثل فى التماس المنطق وأسلوب الكلام والفلسفة، وبعيداً عن الإعراض عن (ساس ويسوس) باعتبار واضح هو أن الإسلام منهج سياسى جامع .

لقد كانت المدرسة القرآنية بعيدة عن تأويلات الكلام ، قائمة على التربية وبناء الفرد المسلم على أساس التوحيد الخالص وعلى النحو الذى قام به رسول الله ﷺ فى فجر الدعوة إيماناً بأن القرآن هو الأصل الأصيل للفكر الإسلامى لأنه يستطيع أن يقدم الإجابة الحاسمة ويدحض الشبهة الزائفة .

وبذلك تحرر مفهوم الأصالة من تفسيرات الفكر الغربى على النحو الذى عرفه وتعلق به الذين ترجموا عن المستشرقين أو قرأوا لهم فأخطأوا فى مفهوم البطولة والنبوة ، ولم يعرفوا التفرقة الدقيقة بين النبوة والعبقرية وتحرر أيضاً من منهج مَن قال : إن دعوة محمد ﷺ كانت استجابة لظروف تاريخية معينة كانت تجتاح العالم فى القرن السابع .

ومنهم من تأثر بالتفسيرات المسيحية ظناً منه أنها حقائق دينية ولكن النظرة الإسلامية الأصيلة المستمدة من القرآن الكريم استطاعت أن تدحض هذا الاتجاه بالرغم من اعترافها له بأنه حاول التغريب والفكر الوافد فرضها ولكن المرحلة القرآنية كانت أكثر أصالة فقد تحررت من التفسيرات المشوبة بالفكر الغربى (مسيحياً كان أو وثنياً) .

ولقد كان التماس التفسير القرآنى بمثابة الوصول إلى السنة الجامعة بديلاً عن التفرق حول تفسيرات المعتزلة أو المتصوفة أو الفلاسفة فالسنة الجامعة هى البوتقة الناصعة التى انصهرت فيها كل الثقافات والنحل والدعوات التى طرحت فى فلك الفكر الإسلامى فاستصفتها السنة وحررتها من شبهاتها وأخذت عصارتها الطيبة فضمتها إلى كيانها .

فالسنة الجامعة هى النهر الكبير والمذاهب والفرق روافد ، وقد التقت السنة بالكلام كما التقت بالتصوف والتشيع وصهرت خير ما فى ذلك فى مضمونها الجامع الأصيل الذى يستمد حقيقة وجوده من الفهم النبوى للقرآن الكريم .

ولقد كانت « العودة إلى المنابع » هى صيحة المسلمين فى كل أزمة وكلما ادلهمّت الأحداث وأحاطت بهم ظلمات التغريب ، وكانت دعوة ابن حنبل وابن حزم ، والغزالى وابن القيم وابن عبد الوهاب هى عماد حركة اليقظة الإسلامية المعاصرة .

وقد رفض الإسلام التطور على حساب الأصالة ورفض التقدم على حساب الجذور والقيم الإسلامية كما رفض التضحية بالقيم العليا فى سبيل التقدم المادى .

كذلك فإن الأستاذ البنا هو أول من كسر خط الانبهار بالغرب وكشف عن زيفه وهاجم الحضارة الغربية هجوماً صريحاً فى عصر كان علماء المسلمين ينظرون إليها فى إعجاب ، وكان كتّاب العصر يطالبوننا بأن نقبل الحضارة الغربية لأنها وحدها التى تحررنا من نفوذ الاستعمار .

ولقد كانت فكرة عودة الإسلام إلى أصالته بوصفه نظام حياة ومشروع حضارة مكتمل فكرة تزعج الغرب الرأسمالى كما تزعج الشرق الشيوعى لأن هذا يعنى ظهور قوة ثالثة لا أحد يضمن تأثيرها على موازين القوى فى العالم .

ولقد كان المطلوب هو تعميق الخلافات بين المسلمين ، بأن يخرجوا من أكفان التاريخ قضايا خلافية مرت عليها القرون ، يعيدون إذكاءها ليتقاتل المسلمون حولها ، وهم يمدون هذه الفرق المتصارعة بالسلاح .



حاشية :

الإمام الخمينى فى الذكرى الثامنة لانتصار الثورة الإيرانية [رجب ١٤٠٧ ـ مارس ١٩٨٧] : « الثورة كانت من أجل إنقاذ الإسلام من شر القوى الكبرى وإنقاذه من الأهواء والأفكار المنحرفة فى الداخل .

إن الثورات التى حدثت فى العالم كثيرة حيث تزول حكومة وتخلفها أخرى وهنا

يجب أن نعرف الدافع من وراء كل ثورة والغاية المستهدفة منها ونتائجها .

لقد حدثت ثورات فى فرنسا وروسيا وغيرهما وغيرت بسببها أنظمة وحكومات إلا أن الدافع فى كل واحدة من هذه الثورات كان دافعاً مادياً ، والهدف منها هدف دنيوى وقس على ذلك عمل ودوافع الأنظمة القائمة حالياً فى العالم ، فكل أعمالها أعمال دنيوية ، فهى تأكل كما تأكل الأنعام ، وتتعامل فيما بينها كما تتعامل الحيوانات لهدف ودافع مادى ، وغاية دنيوية ، وفى هذا الوسط من النزاع والصراع والتزاحم تظهر دعوات الأنبياء بدوافع إلهية من أجل إصلاح الدنيا ومن أجل نشر العدالة الإلهية فى المجتمع عن طريق نشر التعاليم الإلهية وتطبيقها بين البشرية وخلاصة القول أن الدافع من وراء كل ثورة هو الذى يميز بينها وبين أى ثورة أخرى، والثورة التى قمنا بها وقام بها شعبنا ، وكما ظهر من خلال هتافات هذا الشعب منذ البداية ، هى ثورة من أجل الإسلام ولم تكن من أجل بلد معين أو شعب معين ، كما لم تكن من أجل الوصول إلى السلطة بل كانت من أجل إنقاذ الإسلام من شر القوى الكبرى وإنقاذه من شر الأهواء والأفكار المنحرفة فى الداخل .

إن الإسلام هو الدافع الذى حفز أبناء شعبنا إلى استقبال الموت بشوق ورغبة من أجل الدفاع عن قضايا الإسلام فلو سألتم أى فرد من الشعب الإيرانى ، لماذا تذهب إلى جبهة القتال ؟ لوجدتموه يقول : إنى ذاهب فى سبيل الله ومن أجل الإسلام .

بينما لو افترضنا أنكم سألتم جندياً روسياً : لماذا تذهب إلى الجبهة ؟ لواجهكم قائلاً : بأنه يذهب لاحتلال هذا البلد أو لفرض سلطته عليه . يجب علينا أن نفكر ونعلم بأننا ذقنا المر والحلو ، وما ذقناه من مر كان بسبب ما نعانيه من نقص فى معارفنا ومداركنا، انظروا إلى سيد الشهداء الحسين بن على بن أبى طالب (رضى الله عنهما) الذى كان خير خلق الله فى زمانه ، وقد استشهد خيرة الشباب من بنى هاشم وأصحابه وفارقوا هذه الدنيا ونالوا الشهادة .

وانظروا إلى ما قالته أخته زينب (رضى الله عنها) فى مجلس يزيد بصدد تلك الفاجعة العظمى إذ قالت : (ما رأينا إلا جميلاً) . وهذ يعنى بأن استشهاد إنسان كامل فى رأى أولياء الله هو شيء جميل ليس لأنه حارب وقُتل بل لأنه جاهد لله فى سبيل الله ، أنتم ترون وتسمعون أن إيران تتعرض كل يوم للقصف الجوى ويستشهد ويجرح نتيجة ذلك الكثير من المدنيين الأبرياء ، بما فيهم الأطفال والنساء والشيوخ وتهدم بيوتهم على

رؤوسهم ولكن مع كل ذلك يرفع الأحياء منهم رؤوسهم من تحت الأنقاض وهم يصرخون ويهتفون : يجب أن نحارب حتى تحقيق النصر . وما حدث كل ذلك إلا بسبب الدافع الذى وحد بين شبابنا .

إننى فى الواقع أقف حائراً مندهشاً أمام ما نشاهده من الاندفاع للشباب إلى جبهات القتال فى شوق وسرور بالغين .

أوصيكم بأن يكون سعيكم فى سبيل إيجاد دوافع إلهية فاعملوا بين شعوبكم ليس من أجل خلق مثل هذه الدوافع الدنيوية التى تحث على الاحتلال والنفوذ والتى ترسخ حب الدنيا فى النفوس ، إن الدنيا فانية ولا يبقى للإنسان شىء إلا ما كان لله ﴿ مَا عندكُم يَنْفد وَمَا عندَ اللَّه باق ﴾ [النحل : ٩٦] .

أدعو الله أن يوفق الشباب الإيرانى المؤمن الموفق ليواصل تواجده فى ساحة الأحداث حتى ينتصر الإسلام ويتخلص من ربقة التسلط الأجنبى والانحرافات الفكرية ومن أجل أن يحقق هذا الشباب الإيرانى المؤمن حكومة العدل الإسلامى ويعنى العدل الإسلامى هذا أن تحكم جميع الحكومات وفق المعايير الإسلامية ، وأتمنى من الله أن يهبنا الأرضية الإسلامية لذلك لتتحقق الحكومة الإسلامية العادلة الكبرى على الأرض ، وتتحول جميع الحكومات إلى حكومات عادلة ، وأدعو الله أن ينقذ المسلمين من التسلط الأجنبى » .



الباب الرابع
تجــربـــة إيـــران

كانت الحركة الإسلامية فى إيران والتى بدأت عام ١٩٧٩ حدثاً خطيراً ، فقد أسقطت الحكم الإمبراطورى الذى كان مسيطراً على هذا القطر سيطرة كاملة ، والذى زلزلت قواعده وانتهت بقيام الجمهورية الإسلامية بقيادة الإمام الخمينى حيث غيرت موازين الحكم والاجتماع وأحدثت اضطراباً شديداً في أجزاء مختلفة من العالم الإسلامى ، وكان أبرز عوامل هذه التجربة أن الحكم الإسلامى يقوم لأول مرة فى العصر الحديث من خلال مذهب أهل الشيعة الذى يمثل الأغلبية المطلقة فى هذا القطر مما جدد البحث والنقاش حول قيام جماعة الشيعة منذ العصر الأول ، ومما أثار كثيراً من أوجه الخلاف والصراع بين القوى المختلفة وأهمها دعاة القومية وغيرها من الأنظمة العصرية .

وقد تشكل التصور الشيعى الإسلامى منذ وقت طويل على نحو يختلف مع التصور السنى فى بعض المواقف والأوضاع وإن كان يتفق معه فى الأصول العليا للإسلام وهى التوحيد والنبوة والقرآن مع اختلافات فى نظام الحكم وقضايا الشريعة وما يتعلق بقضايا المجتمع .

وقد جرت فى العقود الماضية محاولات كثيرة للتقريب بين المذهبى السنى والمذهب الاثنا عشرى الشيعى ، خاصة فى مسائل الخلاف الكبرى :

١ ـ ولاية الفقيه .

٢ ـ الخلاف حول الخلفاء الراشدين الثلاثة .

٣ ـ عصمة الأئمة .

ولقد كانت تجربة إقامة نظام إسلامى فى إيران عملية خطيرة وقد هزت جميع دوائر السياسة العالمية والعربية نتيجة لأن الظن أن هذا العمل سيتحقق فى المجتمع العربى ، وقد وقف العرب من هذا التحول موقفًا مختلفًا ، أثار كثيراً من المراجعات

التاريخية القديمة نتيجة الخلافات التى وقعت فى القرون السابقة فى هذه المنطقة ، خاصة بين الترك والإيرانيين والعرب .

ولقد كان من الضرورى أن ينظر الباحثون إلى الأمة الإسلامية والعمل على حمايتها والحيلولة دون تمزقها أو صراعها ، خاصة وقد سبقت محاولات كثيرة فى هذا الصدد وصلت فى قمتها إلى أن قرر الأزهر (وهو المؤسسة الإسلامية الكبرى فى العالم كله) دراسة الفقه الشيعى والتقريب بين المذاهب .

ولقد كان إقامة نظام إسلامى فى إيران بعد سنوات طوال من التبعية للنظام الغربى من الأعمال التى يجب النظر إليها بالحيدة وتصوير مدى الأثر الذى يحدثه فى تطبيق الشريعة الإسلامية بعد أن سيطرت القوى الأجنبية الغازية أكثر من مائتى عام .

ولقد قبل المجتمع الإيرانى المسلم المواجهة مع الغرب وتحمل أخطر محاولة لاحتوائه وصمد فى ذلك اليوم خمسة عشر عاماً حتى انكشفت الغمة ، وحين ظن البعض أن النظام الإسلامى فى إيران فى طريقه إلى الانهيار ، ظهر على عكس ذلك تماماً .

ويكفى أن تشهد صلاة الجمعة فى طهران على سبيل المثال مع مئات الألوف من الرجال والنساء من مختلف الأعمار ومختلف الفئات الاجتماعية ، يكفى أن نرى منظر هؤلاء الذين يحتشدون فوق الجليد وفى الميادين المكشوفة لسماع خطاب سياسى من أحد القادة إلى جانب الصلاة ، يكفى أن تشهد هذا لكى تدرك عمق الأساس الذى يرتكز إليه النظام الإيرانى .

ولقد كان لقيام هذا النظام الإسلامى فى إيران أمر بعيد الأثر فى مراجعة سياسات الأقطار الغربية والعربية على السواء بعد هذه الفترة الممتدة التى خضعت للقانون الوضعى ، وما اتصل بالدعوة الإسلامية فى العمل بعدد من الأقطار العربية لتحقيق هدف كبير هو « تقنين الشريعة » وهو ما جرى العمل له سنوات عديدة خاصة فى مصر [على على منصور وعبد الحليم الجندى وعشرات من الفقهاء والباحثين الذين عملوا فترة تزيد على عشرين عاماً فى هيئة أطلق عليها (تجلية الشريعة)] .

وكذلك قامت فى عدد من الأقطار العربية جماعات تقنين الشريعة وخاصة فى ليبيا ودولة الإمارات وفى الكويت مؤخراً ، وكان العاملون فى مجال الدعوة الإسلامية قد أحسوا لأول مرة بتحقق منهج النهضة الإسلامية والإصلاح الاجتماعى لأول مرة فى أحد أقطار الإسلام فى محاولة للخروج من التبعية والولاء الغربى ، فقد عملت إيران الإسلامية على إقامة تطبيق إسلامى لكل قضايا السياسة والاجتماع والاقتصاد.

وقد كان لانقضاء خمسة عشر عاماً على استمرار هذه التجربة وتناميها وتحقيق كثير من أهداف الأسلمة خاصة في مجال الاقتصاد والاجتماع مما يؤكد صلاحية المنهج أساساً ، كما كشف عن القدرة على التطبيق على النحو الذى قامت به فى فتح عديد من الجامعات المتخصصة للتربية الإسلامية والاقتصاد بما يحقق ترسيخ إسلامية المجتمع .

ويلاحظ الزائر ـ كما يقول الأستاذ عادل حسين ـ تراجع التغريب وعودة الرايات الإسلامية والأصالة الحضارية إلى هذا البلد العريق يقول : « نعم لقد أعز الله الإسلام بأهل إيران وأعز أهل إيران بالإسلام ، وإن المرء ليمتلئ بالزهو وهو يلحظ أن الجميع يريدون التحاور معك باللغة العربية ، وإن أغلب من تتحدث إليه يرفض أن يتفاهم معك عبر اللغة الإنجليزية أو الفرنسية التى يجيد الحديث بها مباشرة ، فهو يصر على أن يكون الحديث مع العرب بلغة القرآن حتى لو تطلب ذلك وجود وسيط يقوم بالترجمة » .



ويتحدث الذين زاروا إيران عن صورة الإسلام الواضحة فى المجتمع الإيرانى سواء من خلال الشباب أو من خلال المرأة بعيداً عن التحلل أو الرخاوة .

فالمرأة لا تعرف إلا زيها (الشادور) : الزى الأسود الفضفاض الذى لا يكشف إلا الوجه والكفين مع طابع الاحتشام ، حيث لا يكشف إلا ما أذن الله تبارك وتعالى بكشفه (الوجه والكفان) .

وأنه بعد سنوات من بدء الإسلام ومبدأ الاحتكام إليه صارت الدعوة إلى تعاليمه تتم بالموعظة الحسنة ، ويتم عمل المرأة فى المجال الاجتماعى والسياسى فى ضوء هذه

الحشمة ووفق الضوابط الشرعية على حرية المرأة بعيداً عن مظاهر الانحلال ولكنها لم تمنع من المشاركة فى صنع الأحداث الكبرى .

وتقوم معاهد جديدة من أجل تطوير التعليم الدينى للنساء ، والمرأة فى التليفزيون ترتدى الشادور وتعمل مقدمة للبرامج وتقرأ الأخبار ، كما أنها تشترك فى تمثيل الأفلام التليفزيونية والسينمائية .

ولقد أعلن الإمام الخمينى أنه مع الفن ومع الموسيقى والسينما ، ولكنه ضد الفساد ويقول : إن الفن الوحيد المقبول من لدن القرآن الكريم ، هو ذلك الفن الذى يبلور الإسلام المحمدى الأصل ؛ إسلام الفقراء والبائسين ، إسلام الحفاة ، إسلام المضطهدين ، إننا نريد فناً جميلاً ونزيهاً يضرب الرأسماليين الجدد والشيوعيين مصاصى الدماء ، ويقضى على إسلام الترف واللهو ، وإسلام المساومة والذل والخذلان ، وإسلام المرفهين الفارغين من كل هم .

نريد فناً يقضى على الإسلام الأمريكى ويكشف عن النقاط الغامضة والمعضلات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والعسكرية ، وتقوم مدرسة جديدة فى الفنون الإسلامية تشق طريقها فى إيران حيث يجرى تدريب كوادر جديدة قادرة على التعبير الفنى عن رسالة الإسلام .

★ ★ ★

وقد أعدت عدة لتجديد الأوضاع وتغيير المواقف وخاصة ما يتعلق بالتليفزيون والشطرنج حيث يقول الإمام الخمينى : إن الشطرنج وسيلة لتنشيط الذهن وليس فيها ما يضر أو يدعو إلى المقاطعة .

وتبدو اليوم روح المرونة والممارسات الاجتماعية فى كل المواقع حيث يقول رافسنجانى : إن الفكر الإسلامى فى المدرسة الجوزية لم يكن يعرف مشاكل الناس والمجتمع كما نعرفها الآن ، إن الأفكار والأحكام التى ورثناها عن صدر الإسلام لم تكن تكفينا ،كذلك فنحن نسعى لإقامة أول دولة إسلامية فى العصر الحديث وافتتح لدينا مجلس شورى للبحث ، وهذا يتطلب اجتهاداً .

ولقد دخلت (إيران المسلمة) فى مرحلة جديدة ، وهى مرحلة الإعمار والتنمية والاستقلال الاقتصادى ، وإصلاح ذات البين مع الجيران ، وهى قد وضعت

للمجتمع الإسلامى الضوابط وفق الشريعة الإسلامية ، فإنها تقوم الآن على أسلمة معاملات الاقتصاد والمصارف والتجارة ووضع الضوابط .

ويمكن القول: إن التعامل الاقتصادى الفردى قد تحدد ، أما التعامل مع الاقتصاد الخارجى فهو فى حاجة إلى مجهود ، ولعل من أهم مقررات أسلمة المجتمع هى إنشاء هيئة المحافظة على الدستور ، ومن حق هذا المجلس أن يعترض على أى مشروع يقره البرلمان أو تصدره الحكومة إذا رأى أن هذا المشروع يتعارض مع أحكام الشريعة الإسلامية .

ويقول على أكبر ولاياتى : لو قلنا : إن هناك مداً إسلامياً فى مصر والجزائر وإيران ولبنان فليس معنى هذا أن تلك ظاهرة سياسية بحتة بقدر ما هى خيبة آمال المسلمين التابعين للنموذج الغربى ، وثبوت فشله فى المجتمعات الإسلامية التى لديها من التراث الروحى والإنسانى والتجارب السياسية الإسلامية التى يغنيها عن فلسفات التصور الغربى ، وهذا يؤكد أيضاً أن ما من دولة تستطيع أن تحرك كل هذا المد الإسلامى الذى فى هذه الأقطار وفى ذات الاتجاه ينطبق هذا الأمر .

إن إحياء وإنعاش القيم الإسلامية والتفكير الإسلامى لا يمكن لأحد أن يتجاهله ولا أحد يستطيع أو يريد أن يفعل ذلك وقد بدت علامات ذلك واضحة فى كل مكان ، حتى إننا نرى أن من كانوا يشجعون التيار العلمانى فى دول إسلامية يستهلون كلامهم الآن بالبسملة ، كما لوحظ ازدياد عدد النساء المسلمات اللائى يرتدين الحجاب خلال السنوات الأخيرة ، وهذا ليس دليل تطرف ولكن الدول الغربية تحاول إيقاف هذا التطور وعندما يعود المسلمون إلى أحكام دينهم ، ويقال : إن إيران أجبرتهم على الالتزام بذلك فإن هذا يمثل إهانة لهم .

نحن لا نؤمن بأن الإسلام يتلخص فى أنه دين الاعتكاف فى المساجد ، بدليل أن النبى ﷺ أقام حكماً عملياً وفعلياً ، ولا نستطيع أن نقول لهؤلاء الذين يحكمون فى مكة : احكموا ونحن نصلى فقط . إذا كنا نتبع سنة الرسول ﷺ .

إن ما يجرى الآن من عودة دول العالم الإسلامى إلى الإسلام لايخرج عن كونه نتيجة خيبة آمال المسلمين فى لجوئهم إلى القيم الغربية ، وتدل الكتابات

الأخيرة أن إيران تحاول العودة إلى المجتمع الطبيعى ، بعد أحداث الثورة التى غيرت كل شىء وتصحيح موقعها مع كل الدول المجاورة وحل الخلافات الخاصة بالحدود ، وإحياء العلاقات التاريخية بين العرب والأتراك والإيرانيين فى دائرة النظام الإسلامى ، مع تجاوز تلك الحملات التى دارت فى فترة التكوين مع غلبة التيار القومى والاشتراكى الذى حال دون قيام وحدة الفكر الإسلامى .

ويأتى اليوم دور التقريب بين المذاهب الإسلامية وهى تجربة قديمة يمكن أن تتجدد الآن وتحقق تقارباً واسعاً .

★ ★ ★

تقويم لما حققته الصحوة فى إيران

يقول الباحث الكريم : « هذه الثورة كانت معجزة فى أسلوبها حيث لم تحدث لشعب من الشعوب أن شارك فى ثورة بمثل هذا الإجماع بحيث ذاب جيش الشاه الجبار فى محيط الشعب لنظام سلطة العلماء المجاهدين ، وهذه هى المعجزة الثانية التى قامت بين الشعب وأول سلطة إسلامية بعد سقوط الخلافة العثمانية ١٩٢٤ ، وبعد أن استيئس الناس من إمكان إعادة بنائها .

وكانت المعجزة الثالثة أن هذه الثورة قامت فى إيران التى ظن الناس أنها آخر بلد يمكن أن تقوم فيه ثورة إسلامية ؛ فحكم الشاه لم يكن الأكثر ظلماً ، والمال النفطى كان يخفى كثيراً من عاهات المجتمع وينشر الاسترخاء .

إن إيران تتبنى المذهب الشيعى ، ولكن هذا لا يبرر قطعاً نفور العالم السنى منها وهو لا ينتقص بأى حال من قدرة الثورة الإيرانية ودورها الرائد فى إنهاض الأمة الإسلامية ، وأن نظامها السياسى وليد اجتهاد جديد استفاد من كل المعجزات المعاصرة فى انتخابات رئيس الجمهورية والبرلمان .

ولكن أحاط بكل هذا بضوابط الشرع وأحكامه ، وأقام الدستور الإسلامى مقرراً فى مراكز السلطة على نحو يمنع الاستبدال ، قال إريك رولو الباحث الدبلوماسى الفرنسى المرموق ، عن حريات التغيير الفكرى والسياسى فى إيران ، قال : إن هذا حال يشبه ما عندنا فى فرنسا لا مثيل له فى أى بلد آخر عربى أو إسلامى ، وبالنسبة للاقتصاد والتنمية فإن الثورة الإسلامية واجهت منذ يومها الأول حصار الأعداء لها ، ثم جاءت الحرب العراقية الإيرانية بخرابها الرهيب وحين شرعوا فى الإعمار كانت الثورة مواجهة بالمخطط الدولى الذى أدى إلى هبوط أسعار البترول وإلى إصابة المواد الإيرانية بالتالى فى الصميم » .



تصحيح الطريق بين المذهبين السنى والاثنا عشرى

كان على الدعوة الإسلامية أن تحل قضاياها التى شكلتها عقود من الخلافات وكان فى مقدمتها ذلك الخلاف الذى امتد طويلاً بين مذهب السنة ومذهب الشيعة قد خطا المسلمون خطوات واسعة حين تقرر تدريس مذهب الإمامية والزيدية فى الأزهر ودراسة مذهب مالك وأبى حنيفة والشافعى وابن حنبل فى معاهد إيران ، وقد احتشد لذلك عدد كبير من فقهاء المسلمين فى مقدمتهم :

الأئمة : عبد المجيد سليم ، ومحمد مصطفى المراغى ، ومحمود شلتوت ، ومصطفى عبد الرازق من أهل السنة ، ومحمد تقى القمى ، ومحمد الحسين آل كاشف الغطاء من المذهب الاثنى عشرى .

وكان من ثمار ذلك أن طبع فى مصر أهم كتب الفقه الشيعى للإمام الطبرسى (مجمع البيان لعلوم القرآن) ، وقد قدم الباحثون عدداً من الحقائق المهمة التى تضىء الطريق أمام أصالة المذهبين السنى والاثنى عشرى .

١ ـ يقول السيد محمد الحسين آل كاشف الغطاء : المسلمون بعد اتفاقهم كلمة واحدة على أن القرآن العزيز وحى من الله جل شأنه وأن العمل به واجب ومنكر كونه وحياً كافر ، والقرآن صريح فى لزوم الاتفاق والإخاء والنهى عن التفرق والعداء ، وقد جعل المسلمين إخوة ﴿ **وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً ولا تَفَرَّقُوا** ﴾ [آل عمران : ١٠٣] فبعد اتفاقهم على وجوب الأخذ بنصوص الكتاب الكريم فأى عذر لهم فى هذا التباعد والتباغض والعداء والبغضاء وكفى بالقرآن جامعاً لهم مهما بلغ الخلاف بينهم فى غيره ، فإن رابطة القرآن تجمعهم فى كثير من الأصول والفروع وتجمعهم فى أشد الروابط من التوحيد والنبوة والقبلة وأمثالها من الأركان والدعائم واختلاف الرأى فيما يستنبط أو يفهم من القرآن فى بعض النواحى ، اختلاف اجتهادى لا يوجب التباغض والتعادى .

ثانياً : نعم إن أعظم فرق جوهرى بل لعله الفارق الوحيد بين الطائفتين؛ السنة والشيعة هى قضية الإمامة حيث وقعت الفرقتان منها على طرفى الخيط ، فالشيعة

ترى أن الإمامة أصل من أصول الدين وهى رديفة التوحيد والنبوة ، وإنها منوطة بالنص من الله ورسوله ، وليس للأمة فيها من الرأى والاختيار شيء ، كما لا اختيار لهم فى النبوة بخلاف إخواننا من أهل السنة ، فهم متفقون على عدم كونها من أصول الدين .

ولكن مع هذا التباعد الشاسع بين الفرقتين فى هذه القضية :

هل تجد الشيعة تقول : إن من لا يقول بالإمامة غير مسلم (كلا معاذ الله) أو تجد أهل السنة تقول إن القائل بالإمامة خارج عن الإسلام (لا وكلا) إذن فالقول بالإمامة وعدمه لا علاقة له بالجامعة الإسلامية وأحكامها من حرمة دم المسلم وعرضه وماله ووجوب أخوته وحفظ حرمته وعدم جواز غيبته إلى كثير من أمثال ذلك من حقوق المسلم على أخيه .

ثالثاً : نعم ويزيد أن نكون أشد صراحة من ذلك ولا نُبقى ما لعله يعتلج أو يختلج فى نفس القراء الكرام فنقول : لعل قائلاً يقول : إن سبب العداء بين الطائفتين أن الشيعة ترى جواز المس من كرامة الخلفاء أو الطعن فيهم ، وقد يتجاوز البعض إلى السب والقدح مما يسيء إلى الفريق الآخر طبعاً ويهيج عواطفهم فيشتد العداء والخصومة بينهم .

الجواب : إن هذا لو تبصرنا قليلاً ورجعنا إلى حكم العقل بل والشرع أيضاً لم نجده مقتضياً للعداء أيضاً .

أما **أولا** : فليس هذا من رأى جميع الشيعة وإنما هو رأى فردى من بعضهم، وربما لا يوافق عليه الأكثر ، كيف وفى أخبار أئمة الشيعة النهى عن ذلك ، فلا يصح معاداة الشيعة أجمع لإساءة بعض المتطرفين منهم .

وثانياً : إن هذا على فرضه لا يكون موجباً للكفر والخروج من الإسلام بل أقصى ما هناك أن يكون معصية ، وما أكثر العصاة بين الطائفتين ، ومعصية المسلم لا تستوجب قطع رابطة الإخوة الإسلامية معه قطعاً .

وثالثاً : قد لا يدخل هذا فى المعصية أيضاً ولا يوجب فسقاً إذا كان ناشئاً عن اجتهاد واعتقاد وإن كان خطأ ، فإن المتعارف عليه عند الجميع فى باب الاجتهاد أن

للمخطىء أجراً وللمصيب أجرين ، وقد صحح علماء السنة الحروب التى وقعت بين الصحابة فى الصدر الأول كموقعة الجمل وصفين وغيرهما ، بأن طلحة والزبير ومعاوية اجتهدوا ، وهم وإن أخطأوا فى اجتهادهم ولكن لا يقدح ذلك فى عدالتهم وعظم مكانتهم ، وإذا كان الاجتهاد يبرر ولا يستنكر قتل آلاف النفوس من المسلمين وإراقة دمائهم فبالأولى أن يبرر ولا يستنكر معه ـ أى مع الاجتهاد ـ تجاوز بعض المتطرفين على تلك المقامات المحترمة ، والغرض من كل هذا أننا مهما تعمقنا فى البحث ومشينا على ضوء الأدلة عقلية أو شرعية وتجردنا من الهوى والهوس والعصبيات ، فلا نجد أى سبب مبرر للعداء والتضارب بين طوائف المسلمين مهما اتسعت شقة الخلاف بينهم فى كثير من المسائل .

★ ★ ★

كان لابد للعمل على تقارب المسلمين على طريق الوحدة الإسلامية الكبرى العمل أولاً على إزالة المعوقات الخاصة بالمذاهب والفرق ، وما يتصل بالتاريخ وما وصل إليه المستشرقون من عمل يحول دون عودة المسلمين إلى الوحدة ويثبت الخلافات بين الفرقتين الإسلاميتين الكبيرتين : وهما أهل السنة والاثنا عشرية .

كانت الحملة قوامها : **أولاً** المستشرقون ، **ثانياً** المؤرخون الدساسون ، **ثالثاً** كتبة الأوهام ، **رابعاً** واضعو الأحاديث .

وكان من ذلك تلك الكتب المؤلفة فى عهد الصفوية مما هو مليء بالهجوم على أهل السنة .

كانت الكتب المشحونة بالطعن والتجريح تتداول بين أبناء كل فريق ، وتلقى عند كلٍّ أحسن القبول حتى ولو تكلمت على طوائف وعقائد لا وجود لها على سطح البسيطة - كما فى كتاب الملل والنحل ـ للطعن فى كلا الفريقين فكبرت الخلافات وتضخمت ورددوا الشكوك وأسَفُّوا فيها حتى أصبح كل معنى يؤيد الوحدة يفسر فى ظل الشكوك بالفرقة ، بل وصل الأمر إلى التشكيك فى وحدة المصحف ، وشك كثير من أهل السنة فى أن يكون مصحف الشيعة هو المصحف الذى فى أيدى سائر المسلمين .

وقد ظلت الفرقة بين المسلمين غذاءً مناسباً للحكم والحكام قروناً عدة دأب بها كل حاكم على استغلالها ليثبت سلطانه وليحطم عدوه ثم جاءت السياسات الأجنبية فوجدت فى الفرقة خير وسيلة لتدخلها وبث نفوذها ودعم سلطانها وفرض سيادتها .

إن السياسات الأجنبية هى التى أوحت إلى كثير من أعدائنا الذين يتستر بعضهم وراء اسم المستشرقين بالعمل ليكملوا إحكام الحلقة حولنا ببحوثهم التى تقوم على دس السموم والترويج لها ، فكان بعضهم يحكم على بعض بما كتبه هذا المستشرق أو ذاك بل وهناك من أقحموا أنفسهم فى الدراسات الإسلامية وهم ليسوا بمسلمين ؛ أولئك هم المستشرقون ، لقد ألف بعضهم فى التاريخ الإسلامى وعلم الكلام ، وكتب بعضهم فى الطائفية فى الإسلام وأضفوا على بحوثهم ـ تحت اسم الاستشراق ـ مظهراً علمياً يجعل المسلم يكاد لا يشك فيما يكتبون ، وليس منهم من لم يبث السموم فى بحوثه وليس منهم من لم يكن وراء ما يكتب أغراض تسىء إلى المسلمين تارة وإلى سمعة الإسلام تارة وتؤجج الخصومة بين أبناء هذا الدين .

وهناك موقفهم من النحل الجديدة كالبهائية والبابية وأحزابها ، فهم يطبلون لها ويزمرون ، ويعتبرونها من الفرق الإسلامية رغم أن المسلمين أنفسهم لا يعترفون بإسلامها قط .

وما دخل هؤلاء ـ وهم غير مسلمين وليسوا بشيعة ولا بسنة ـ إلا وقد حرصوا دائماً على إظهار المسلمين بمظهر المتفرقين المتطاحنين ، وعملوا على إبراز النقاط الخلافية التى يرجعونها إلى منافع قديمة تشين الإسلام ، غير مبالين بمعنى التوحيد عند المسلمين ، ولا بإيمان أهل القبلة بالقرآن الكريم وبالملائكة والنبيين وبالبعث والحساب ، ولا آبهين لوحدة الصلاة والصوم والحج وغير ذلك من أصول الإسلام الحنيف ، وقد دأبت بحوثهم على إظهار الطائفتين الكبيرتين فى الإسلام بمظهر أصحاب دينين مختلفين لا دين واحد .

وأى كتاب قديم فيه تجريح وسباب فهم يعيدون طبعه ، وإذا وجدوا نسخة خطية فيها التشنيع والبهتان حرصوا على طبعها ونشرها فى العالمين .

وكم من كتب وضعت لتأجيج الخصومة بين طوائف المسلمين ، وكم من أقلام أسَفَّت فى التجريح خدمة لحكام طغاة أقاموا عروشهم على أساس الخصومة بين المسلمين ، وكان لهذه التآليف أسوأ الأثر فى تصدع وحدة الأمة ، فقد غرست البغضاء فى القلوب والظنة فى العقول وأبعدت طائفة كبيرة عن إخوانهم فى الدين .

إن هؤلاء المستشرقين وأتباعهم الذين يتظاهرون بالتعصب للشيعة تارة وللسنة تارة أخرى هم من أشد الناس حرصاً على تحطيم المسلمين كمجتمع والقضاء على الإسلام ومحو العقيدة الإسلامية من الوجود .

هذه هى رواسب القرون التى يجددها خصوم الإسلام للحيلولة دون قيام الوحدة .

وقد تبين أن المسلمين لا يختلفون فى كتابهم ولا فى صلواتهم ولا فى صومهم ولا فى حجهم بالإضافة إلى اتفاقهم المطلق فى أصول العقائد وأصول الدين والتوحيد والنبوة وليس يضيرهم أن يكون لبعضهم أصول مذهبية كالولاية عند الشيعة الذين يرون أن علياً وأولاده أحق بها من غيرهم ، وهكذا كان لابد من معرفه كثير من الحقائق التى تحول بين المسلمين واجتماع الكلمة وائتلاف القلوب على أُخُوَّة الإسلام ، ومن الأمور التى يجب أن تعْرف أن الأسر التى حكمت باسم الخلافة الإسلامية قروناً طويلة كانت ترى فى آل على المعارض الوحيد الخطير عليها فكانت تسىء إلى شيعة آل على وتستخدم الأقلام والألسنة ضدهم ، حتى أوجدوا حول الشيعة كثيراً من الخلط وكثيراً من التشويش ، وكان يمكن لأى مصلح أن يدرأ عن المسلمين شر التفرق ويحول دون ذلك .

ولما كانت الشيعة الإمامية هى الجماعة البعيدة عن الغلو فقد كشفت عن الغلاة ومنهم السبئية (أتباع عبد الله بن سبأ) والخطابية (أتباع أبى الخطاب) ومنهم المفوضة الذين قالوا : إن الله قد خلق الابن ثم اعتزل تاركاً العالم ، ومن الغلاة من يدين بثالوث مكون من الأب (وهو على) والابن وهو (محمد وروح) القدس (وهو سلمان الفارسى) وتذهب بعض الفرق إلى أن الأئمة آلهة وأشباه آلهة أو أنصاف آلهة .

إن للغلاة دينهم الخاص وهو لا يمت إلى الإسلام بصلة ، وبعض الكتّاب

ينسب جهلاً أو كيداً عقيدة الغلاة إلى جميع فرق الشيعة حتى الإمامية مع أن الإمامية قد استدلوا بكتب العقائد والأصول على كفر الغلاة ووجوب البراءة منهم .

إن الغلاة كفار والمفوضة مشركون ولعن الله الغلاة ، وإن الخوارج الذين حاربوا عليّاً هم أفضل من الغلاة الذين ألهوه وألهوا أبناءه .

★ ★ ★

ويرى الشيخ محمد تقى القمى أن لفظ الشيعة قد حمل على مرور الزمان واختلاف المواطن والسياسات دلالات مختلفة ينطوى تحتها الإمامية والزيدية كما ينطوى تحتها القرامطة والباطنية والإسماعيلية وغيرها مما تكفلت بذكره كتب الفرق.

وكان الخلاف الأساسى فى مسألة الولاية والخلافة ، وهناك مؤلفون كتبوا قبل التثبت تارة وبداعى الغرض والهوى ، فسودوا صحيفة الشيعة فى نظر أهل السنة وسودوا صحيفة أهل السنة فى نظر المتشيعين ، بعضهم خلط بين أهل السنة والنواصب وأكثرهم خلطوا بين الشيعة والغلاة وبينها وبين الفرق البائدة وألصقوا بها آراء لا تمت إليها بصلة بل الشيعة منها براء .

وكم من كتب وضعت لتأجيج الخصومة بين طوائف المسلمين وكم من أقلام أسفت فى التجريح خدمة لحكام طغاة .

ولكى نتعرف على مفاهيم القضية لابد أن نرجع إلى بحث متميز للشيخ محمد محمد المدنى الذى يقول :

أولاً : إن كلمة الشيعة تطلق على عشرات المذاهب التى تنتسب للإسلام حقّا وباطلاً ، وبعض هذه المذاهب ضال منحرف عن الأصول الإسلامية ، وبعضها مستمسك بما يجب الإيمان به مثله فى ذلك مثل مذاهب أهل السنة وإن خالفهم فى بعض الفروع الفقهية والنظريات والمسائل ، والفريق الأول من المسمين باسم الشيعة هم الضالون المنحرفون لا يعدون من أهل الإسلام وإن ادعوه ؛ لأن العبرة فى ثبوت الإسلام إنما هى بالإيمان بأصول العقائد الإسلامية وعدم إنكار ما هو معلوم من الدين بالضرورة ، وهؤلاء ليسوا كذلك وقد انقرضوا ولم يعد لهم أثر فى العالم الإسلامى .

ثانياً : أما الشيعة الذين تقرر إدخال فقههم ، فهم الشيعة الإمامية الاثنا عشرية

وقد لقبوا بالإمامية ؛ لأنهم يقولون بأن إمامة على ثابتة بالنص ، ولقبوا بالاثنا عشرية؛ لأنهم يسوقون الإمامة إلى اثنى عشر إماماً ، وهم يسكنون إيران والعراق وسوريا ولبنان والباكستان والهند وغيرها من البلاد العربية والإسلامية ، ويؤمنون بأصول الإسلام كلها ، ولا يستطيع أحد من أهل القبلة أن يحكم بكفرهم، وكل ما بينهم وبين أهل السنة من اختلاف إنما هو فيما وراء الأصول التى يجب الإيمان بها لتحقيق مفهوم الإسلام وينسب فقههم إلى أئمتهم من أهل البيت النبوى ، واشتهر باسم الفقه الجعفرى نسبة إلى أحد هؤلاء الأئمة وهو جعفر الصادق بن محمد الملقب بالباقر .

هؤلاء الشيعة الإمامية يلعنون أهل المذاهب المنسوبة إلى الشيعة من الغلاة فى شأن على ويتبرءون منهم ويحكمون بكفرهم ونجاستهم .

ويروى الشيخ المدنى موقف الفرق المذهبية من القرآن الكريم فيقول :

لما حدثت بدعة الفرق والتطاحن المذهبى والتشاحن الطائفى وأخذ أرباب المذاهب وحاملو رايات الفرق المختلفة يتنافسون فى العصبيات المذهبية والسياسية ، امتدت أيديهم إلى القرآن فأخذوا يوجهون العقول فى فهم وجهات تتفق وما يريدون بذلك تعددت وجهات النظر فى القرآن واختلفت مسالك الناس فى فهمه وتفسيره وظهرت فى أثناء ذلك ظاهرة خطيرة هى تفسير القرآن بالروايات الغريبة والإسرائيليات الموضوعة التى لفقها الرواة من أهل الكتاب وجعلوها بياناً لمجمل القرآن وتفصيلاً لآياته ومنهم من عنى بتنزيل القرآن على المذهبية أو عقيدته الخاصة وبذلك وجدت تحكمات الفقهاء والمتكلمين وغلاة المتصوفة وغيرهم ممن يروجون لمذاهبهم ويستبيحون فى سبيل تأثيرها والدعاية لها أن يقتحموا حمى القرآن فأصبحنا نرى من يؤوّل الآيات لتوافق مذهب فلان ومن يخرجها من بيانها الواضح وغرضها المسوقة له لكيلا تصلح دليلاً لمذهب فلان وبهذا أصبح القرآن تابعاً بعد أن كان متبوعاً ومحكوماً عليه بعد أن كان حاكماً .

كانت هذه ثورة عقدت حول القرآن غباراً كثيفاً حجب عن العقول ما فيه من نور الإرشاد والهداية ، وكان من سوء الحظ أن صادفت هذه الثورة عهد التدوين فحفظت ودونت كثيراً من الآراء الباطلة فى بطون الكتب ، وأخذت ـ بحكم الأقدمية ومرور الزمن ـ نوعاً من القداسة التى يخضع لها الناس ، فتلقاها المسلمون

فى عصور الضعف الفكرى والانحلال السياسى كقضايا مسلمة وعقائد موروثة لا يسوغ لهم التحلل منها والاعتداء عليها ولا التشكيك فيها ، وقد قيد هذا التراث العقول والأفكار بقيود جنت على الفكر الإسلامى فيما يختص بفهم القرآن والانتفاع بهدايته فحمل الناس على تعلم تلك الكتب واتخاذها حكماً بينهم واعتقدوا كل ما فيها من غير تمييز بين حق وباطل ، واعتقدوا أنه لا يصح لمؤمن أن ينكر شيئاً منها وقد امتلأت أذهانهم بالأوهام الفاسدة عن التشريع والعقيدة وما يحل وما يحرم ، وصار كثير من المسلمين يعتقد أن الحلال هو ما أحله فلان فى كتاب كذا وأن الحرام ما حرمه فى كتاب كذا .

وهذا هو التيار الذى عمل الاستشراق والتغريب على التركيز عليه فى محاولة لمنع قيام تجمع صحيح للفكر الإسلامى .

ويقرر الشيخ محمد جواد من كبار علماء الشيعة الإمامية فى لبنان أنه لا فرق بين السنة والإمامية فى أصل جوهرى من أصول الإيمان ، وأن الإمامية على اعتقاد أن القرآن لم يضع منه حرف واحد وأن من قال بذلك فإنما يستند إلى روايات ظنها صالحة وهى باطلة .

وقال : ألَفت نظر من يحتج على الشيعة ببعض الأحاديث الموجودة فى كتب بعض علمائهم ، ألفت نظره إلى أن الشيعة تعتقد أن كتب الحديث الموجودة فى مكتباتهم ومنها الكافى والاستبصار والتهذيب ، وأن كتب الفقه التى ألفها علماؤهم فيها الخطأ والصواب ، فليس عند الشيعة كتاب يؤمنون بأن كل ما فيه حق من أوله إلى آخره غير القرآن الكريم .

وإن الاعتقاد بوجود الكذب والدس بين الأحاديث ضرورة من ضرورات دين الإسلام من غير فرق بين مذهب ومذهب حيث اتفقت على ذلك جميع المذاهب الإسلامية ، وجملة القول فى ذلك كله ما يلى :

الأصول فى الإسلام لا تكاد تختلف عليها المذاهب الإسلامية ، وهى السنة، والشيعة الإمامية ، والشيعة الزيدية ، والاثنا عشرية ، فكلهم يؤمنون بالله ربًا ومحمد نبيًا وبالقرآن كتاباً ، وبالكعبة قبلة ، ويبقى بعد ذلك بقية الفرق الأخرى والمذاهب التى ذكرناها ، وقد قامت بينها عدة محاولات للتقريب على فترات متباعدة ، وكان

آخرها ما قامت به جماعة التقريب بين المذاهب الإسلامية ، والجماعة تؤمن بالتقريب بين المذاهب ، ولا تدعو إلى توحيد المذاهب .

وهى لا تريد المساس بالفقه الإسلامى ولا إدماج مذاهبه بعضها فى بعض ، بل هى على النقيض من ذلك ترى أن هذا الاختلاف الفقهى مفخرة للمسلمين ؛ لأنه دليل على خصوبة التفكير وسعة الأفق ، وقد أصدر الأزهر فتوى فى جواز التعبد على المذاهب الإسلامية الثابتة الأصول المعروفة المصادر المتبعة سبيل المؤمنين ومنها مذهب الشيعة الإمامية (الاثنا عشرية) كما قرر الأزهر دراسة فقه المذاهب الإسلامية سنيها وشيعتها دراسة تعتمد على الدليل والبرهان .

★★★

ولا ريب أن هذه التجربة قد ترسخت فى ميدان العمل الإسلامى لتؤكد وحدة المسلمين الجامعة وتحطم كل محاولات التآمر التى قامت بها كتابات المستشرقين وأتباعهم من التغريبيين ، وهى ظاهرة أساسية سوف تمكن للتجمع الإسلامى من خطوات جديدة على الطريق .

هامش :

أصدر الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الأزهر فى يناير ١٩٥٩ فتواه الشهيرة بجواز التعبد على المذاهب الإسلامية الثابتة الأصول ومنها مذهب الشيعة الإمامية ، وقام بتوزيع صور من هذه الفتوى على البلدان الإسلامية .

ولقد كان الشيخ شلتوت من المساهمين فى اجتماعات دار التقريب التى عقدت منذ عام ١٩٤٧ ، وأسهم مع آخرين فى تطوير مناهج كلية الشريعة بجامعة الأزهر ، لتكون الدراسات الفقهية على مختلف المذاهب ، لا فرق بين سنة وشيعة .

والهدف كما يقول الإمام الأكبر : بيان وجهة النظر الفقهية حكماً ودليلاً لكل مذاهب السنة الأربعة المعروفة والإمامية الاثنا عشرية والزيدية .

ونستخلص الحكم الذى يرشد إليه الدليل دون التفات إلى كونه موافقاً أو مخالفاً لمذهب الأستاذ أو الطالب حتى تتحقق الفائدة من المقارنة وهى وضوح الرأى الراجح من بين الآراء المتعددة وتبطل العصبيات المذهبية المذمومة .

وقد واجه الإمام الأكبر كثيراً من العثرات أمام هذه الدعوة ولكنه أعلن :

« أمست الدعوة إلى تعرية المذاهب من الشوائب التى أثارتها العصبيات وأذكتها العقلية الشعوبية داعياً إلى الوحدة والتماسك والالتفاف حول أصول الإسلام ونسيان الضغائن والأحقاد حتى أصبحت والحمد لله حقيقة مقررة » .

وقد أجاب الإمام الأكبر عن التساؤلات قائلاً :

« إن الإسلام لا يوجب على أحد من أتباعه اتباع مذهب معين ، بل يقول : إن لكل مسلم الحق فى أن يقلد بادئ ذى بدء أى مذهب من المذاهب المنقولة نقلاً صحيحاً، وإن مذهب الجعفرية المعروف بمذهب الشيعة الإمامية الاثنا عشرية مذهب يجوز التعبد به شرعاً كسائر مذاهب أهل السنة ، فينبغى للمسلمين أن يعرفوا ذلك وأن يتخلصوا من العصبية بغير الحق لمذاهب معينة ، فما كان دين الله وما كانت شريعته بتابعة لمذهب أو مقصورة على مذهب فالكل مجتهدون مقبولون عند الله تبارك وتعالى » .



الباب الخامس
تجربـــة البـاكســتان

ما تزال باكستان منذ قامت ١٩٤٧ إلى اليوم وهى تناضل فى سبيل إقامة المجتمع الإسلامى وتطبيق الشريعة الإسلامية ، وقد تولى قيادتها كثير من العاملين فى الحقل الإسلامى وقد كان للشاعر الإسلامى محمد إقبال دور واضح فى إقامة هذا المجتمع ، وكان للإمام المودودى عمله المتصل بالكتابة وبناء التجمعات ، وامتد من بعده فى زملائه وتلاميذه ، وفى مقدمتهم الدكتور خورشيد أحمد ، وقد بدأت فكرة تطبيق الشريعة الإسلامية من عام ١٩٤١ بعد أن وصلت هناك الدعوة الإسلامية التى قامت فى مصر وامتدت إلى الوطن العربى وإلى أجزاء من العالم الإسلامى ، وقد كان الأستاذ المودودى هو الرجل الذى حمل لواء العمل فى الشطر الإسلامى من الهند ثم فى باكستان بعد ذلك واحتمل فى سبيل ذلك مشاق كثيرة حتى إنه حُكِمَ عليه بالإعدام ثم عفى عنه ، وقد قام الرجل مع جماعته بالعمل على توجيه المجتمع الإسلامى فى الباكستان إلى تحقيق هدفه فى مختلف المجالات : الاقتصاد وعمل المرأة وصياغة المناهج التربوية لتتلاءم مع أصول الإسلام .

يقول الأستاذ خليل الحامدى : إن الجماعة الإسلامية فى باكستان ليست جماعة سياسية أو دينية أو اجتماعية بالمعنى الضيق وإنما هى جماعة شاملة تؤمن بأن الإسلام هو أسمى التشريعات والنظم العالمية الصالحة لتنظيم حياة البشر ونحن نعمل على تنفيذ رسالة الإسلام وإبلاغ دعوته إلى كل مكان .

وقد تأسست الجماعة عام ١٩٤١ وتمتد جذورها التاريخية إلى عام ١٩٢٨ عندما قام أبو الأعلى المودودى بتكوين فكرة صحيحة عن الإسلام فى أذهان المسلمين والتصدى للآراء المنحرفة وتنبيه المسلمين إلى الأخطار التى تحيط بهم وتواجههم .

إن إخراج باكستان قام على أساس عقائدى ؛ هو دين الإسلام والقيام بواجباته ورفع اسمه عالياً .

ومع تقسيم شبه القارة انقسمت الجماعة الإسلامية بين الهند والباكستان ،

وبعد قيام دولة باكستان على دعائم الإسلام اتضح لنا أن الذين تولوا مقاعد الحكم لا يعملون على تطبيق الشريعة فى حين أنه الهدف الذى قامت من أجله دولة باكستان ، لذا عملت الجماعة الإسلامية وفق خطة محكمة على ضرورة إصلاح المجتمع ونشر الأفكار الإسلامية الصحيحة لإصلاح الحكم والإدارة .

وقد تم وضع دستور جديد على الأسس الإسلامية نتيجة للجهود التى بذلتها الجماعة الإسلامية فى البلاد .

وقد حدثت بعض التجاوزات من قبل السلطان ولكن سرعان ما استرد الشعب الباكستانى حقه فى فرض الدستور الإسلامى ، تم ذلك عام ١٩٧٠ حيث حذف القانون الذى يفرق بين الدين والدولة مع إحلال الشريعة الإسلامية مكانه وقد استطاعت الباكستان فى بعض المراحل أن تعد منهجاً لتطبيق الشريعة الإسلامية وأن تعلن أنها انتهت من إعداد القوانين وفقاً للشريعة الإسلامية .

يقول خليل الحامدى : ويكفى أن دور القضاء لدينا تصدر أحكامها وفقاً للشريعة السمحاء حيث طبقت الحدود الشرعية فى مجال العقوبات ومن سلطة المحكمة إلغاء القوانين التى تتعارض مع الشريعة الإسلامية كما خطونا خطوات فى مجال الاقتصاد الإسلامى .

ولدينا هيئة الحقوق الإسلامية ومهمتها تطبيق الشريعة وفقاً للمنهج الإسلامى القويم ، كذلك فقد أعدت مناهج تربوية فى هذا المجال :

(١) فأصبحت اللغة العربية مادة أساسية تدرس فى جميع مدارس وجامعات الباكستان .

(٢) كذلك أصبح الدين الإسلامى مادة أساسية فى كافة المناهج التعليمية وهى إتمام تطبيق الشريعة الإسلامية فى البلاد .

وقد وضع منهج التربية الإسلامية والتعليم بحيث يكون قائماً على مصدر أساسى هو القرآن الكريم ، لأن القرآن فى الماضى والحاضر والمستقبل هو المصدر الخالد لعقائد الإسلام ومبادئه وأخلاقه وثقافته ، وهو الأساس الثابت للنظم الإسلامية فى مجالات التربية والاجتماع والاقتصاد والتشريع والتعليم .

هذا المنهج يربط العلوم جميعاً بالمبادئ الإسلامية فى العقائد والأخلاق وغيرها من العلوم ، ولقد حفظ المنهج القرآنى فى التربية والتعليم للأمة الإسلامية شخصيتها وحافظ على هويتها ووحدتها الفكرية والثقافية ، فالقرآن الكريم هو صانع الوحدة والتضامن بين المسلمين .

وقد أثبتت المناهج الوافدة عجزها وقصورها عن مواجهة المشكلات التى تعانيها الإنسانية ومن الأكيد أن المستقبل للإسلام والمسلمين فى كل النواحى .

إن تمسك المجتمعات المسلمة بالنظريات المادية تعنى أن يتنازل المسلمون عن تقاليدهم وتاريخهم وأمجادهم ، وإن تطبيق هذه النظريات يتعارض مع طريقة تفكير المسلمين وأسلوب حياتهم ؛ ذلك أن حضارة الغرب حضارة زابلة لا تقوم على قيم عقائدية ، وعلى المسلمين الصمود فالعالم فى حاجة إليهم ، ولن يتبوأ المسلمون مكانتهم إلا بالالتزام بالمنهج الإسلامى ، وإن التحديات التى تواجه الأمة تكمن فى تسلل التيارات المنحرفة إلى ديار المسلمين ، فعلينا بالتصدى لها وذلك بالتمسك بأهداف الإسلام ؛ عقيدة وشريعة .

ولا بد من وضع الضوابط الدقيقة لأسلمة المجتمعات الإسلامية فى كافة نواحى الحياة مع التركيز على جانب التكامل الاقتصادى بين الدول الإسلامية ووحدة القرار السياسى الإسلامى ، إن غايتنا فى الباكستان أن يحكم المنهج الإسلامى فى جميع مناحى الحياة .

وقد عملت باكستان على إعادة صياغة المناهج التربوية لتتلاءم مع العقيدة حيث إن مناهج المدارس الباكستانية لم تعد تنساق خلف المناهج الغربية المعادية للإسلام ، وإنه تمت تنقيتها من النظريات المعادية للإسلام ، وإن الدراسات الإسلامية أصبحت إلزامية فى كل المراحل من المرحلة الأولى إلى الجامعة وإن اللغة العربية أخذت مكانها فى نظام التعليم وأصبحت إجبارية من الصف السادس حتى الصف الثامن وأقامت الباكستان معاهد لإعداد مدرس اللغة العربية لسد العجز ، وإنها تعمل على إعداد منهج عالمى لتدريس العلوم الإسلامية فى محاولة للتوصل إلى أفضل المناهج العلمية لتدريس العلوم الإسلامية بجميع الكليات النظرية والعملية كمادة أساسية لطلبة وطالبات الجامعات والمدارس .

وكانت باكستان فى طريق جهادها من أجل إقامة المجتمع الإسلامى ، قد أعلنت القرار الذى صدر فى باكستان بحرمان طائفة الأحمدية من الانتساب إلى الإسلام ، وكان قراراً حاسماً فى تحديد الموقف الإسلامى من هذه الطائفة التى كانت فى الأصل قاديانية ثم تسربلت باللباس الجديد لتخفى أهدافها وبعد أن غيرت كثيراً من المعالم الظاهرة .

ونحن نجد اليوم من يثقون بالطائفة الأحمدية ويرون أنها لا صلة لها بالقاديانية ويقبلون منها ــ من باب تبسيط الأمور ودون اليقظة والوعى الكامل ــ دعواها وحركتها الواسعة فى الغرب وفى شرق إفريقيا بالدعوة إلى الإسلام ، وكنا نحذر كثيراً من أن المخطط واحد ــ مخطط القاديانية ــ وإن اختلفت بعض المظاهر .

وقد كشفت الأحداث هذه التبعية التى كانت خافية للأحمدية مع الصهيونية العالمية ودعواها بشأن التحضير لبعث نبى جديد فى فلسطين المحتلة ، وبذلك يتأكد تماماً الهدف الصهيونى من استقطاب الطوائف: القاديانية والأحمدية والبهائية ، وكانت الحكومة الباكستانية قد أعلنت منذ سنوات اعتبار الطائفة القاديانية خارجة على الإسلام .

واليوم نشرت (مجلة أرض الإسراء صفر ١٤٠٥) المرسوم الجمهورى الباكستانى بحرمان طائفة الأحمدية من الانتساب إلى الإسلام ومنعهم من سمومهم ومعاقبة أى جماعة إسلامية تتبنى تعليمات الأحمدية بنفس العقوبة وترتب على هذا المرسوم حرمان أتباع الأحمدية والطوائف المماثلة من استخدام الأذان فى النداء للصلاة أو إطلاق اسم المسجد على مكان العبادة المخصص لأتباعها أو إطلاق الأسماء الإسلامية على أبنائهم ، وكانت السلطات الباكستانية قد صادرت مؤخراً منشورات للقاديانية تشتمل على تفسيرات غير صحيحة للقرآن الكريم .

★ ★ ★

وقد جاءت تجربة ضياء الحق خلال أحد عشر عاماً (١٩٧٧ ــ ١٩٨٨) موضع دراسة ونقد كثير من الجهات العالمية ، من حيث ما أخذ على تجربة تطبيق الشريعة من اضطراب ، بالرغم مما شهد به الجميع لضياء الحق من عاطفة إسلامية ، سواء على صعيد نشر الثقافة الإسلامية أو على صعيد موقفه من دعم الجهاد

الأفغاني ، ويتحدد هذا الموقف فيما تصوره عبارة فهمي هويدى :

إنه لم يباشر تطبيق الشريعة الإسلامية على نحو سليم ، فعطل أموراً جوهرية فى أى نظام حكم ينتسب إلى الإسلام مما أخرج تجربة إسلامية منقوصة بل شائهة (الأهرام ٢٧ / ٩ / ١٩٨٨) .

ولقد تجدد الأمل فى تقديم جديد لتطبيق الشريعة الإسلامية وجعل القرآن والسنة مصدر التشريع بما يحقق رغبة الشعب المسلم فى باكستان (صحف ٤/٢٥/ ١٩٩١) ، حيث أعلن السيد نواز شريف رئيس الوزراء إدخال بعض التعديلات على الدستور لضمان سيادة وتفوق الشريعة على القوانين الأخرى السائدة فى البلاد حتى يمكن السير نحو أسلمة المجتمع .

وقال : إن المشروع ليس وثيقة قانونية فحسب بل هو عصارة كفاح مسلمى شبه القارة الهندية طيلة عشرة قرون سابقة .

وقال : إنه قرر إدخال تعديل دستورى يؤكد كون الكتاب والسنة المصدر الرئيسى للتشريع فى البلاد أى (حل القضية التى كانت تحتاج الحل منذ ٤٣ سنة) أى عام ١٩٤٨ .

وقال : إن هناك عدة خطوات من شأنها أن توفر العدالة والرفاهية للمواطنين منها :

- إصلاح النظام التعليمى ليوافق أحكام الشريعة .
- إقامة محاكم لمكافحة الرشوة والفساد المالى .
- تنظيم وإقامة بيت المال لمساعدة الفقراء والمحتاجين .
- قيام نظام اقتصادى على المبادئ الإسلامية .
- إقامة نظام الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

وقد قدم مشروع قانون تطبيق الشريعة لعام ١٩٩١ المقدم من الحكومة إلى الجمعية الوطنية على هذا النحو :

(بما أن الله سبحانه وتعالى له السلطان المطلق والشعب له الحق فى ممارسة

السلطة ضمن الحدود المقررة بواسطة ممثليه المنتخبين ، وهذه السلطة أمانة ذات قداسة وبما أن الإسلام هو دين الدولة الرسمى ، لذا فيجب على جميع المواطنين المسلمين اتباع الأحكام الواردة فى الكتاب والسنة وترتيب حياتهم على أساس الخضوع للأوامر الإلهية .

وبما أن من المسئوليات الأساسية للدولة الإسلامية أن تضمن الحفاظ على كرامة المواطنين وأرواحهم وأموالهم وحرياتهم وحقوقهم الأخرى إلى جانب الحفاظ على الأمن والسلامة وتوفير العدل الفورى بأرخص التكاليف من خلال نظام العدالة الإسلامية المستقلة من أى نوع من الضغط .

وبما أنه يجب القضاء على الفواحش والمنكرات والقمار والمتاجرة بأعراض النساء والمفاسد الأخلاقية الأخرى حيث أنها تهدد إسلامية الدولة فيجب استئصالها.

وبما أنه من الضرورى وضع القوانين طبقاً للأحكام الواردة فى الكتاب والسنة ومعرفة طموحات وتطلعات الشعب الباكستانى من خلال الإجراءات المحددة بهذا الشأن وتنفيذ حكمه ورغبته ، حيث إنه دعامة أساسية لميادين التشريع الإسلامى ، وبما أنه من الضرورى دعم خطوات الدولة دستورياً وقانونياً لتحقيق الأهداف المذكورة أعلاه فلذلك يوضع القانون التالى :

يعرف هذا القانون بقانون تطبيق الشريعة الإسلامية لعام ١٩٩١ ، ويسرى القانون فى الباكستان كلها ، ولا يؤثر شرح ما فى هذا القانون على قوانين الأحوال الشخصية لغير المسلمين فى ضوء ما جاء بالمادة ٣٣٧ من الدستور ، وتعنى كلمة (القرآن الكريم والسنة) على تعبير الشريعة وشرحها فى القضايا المتعلقة بالأحوال الشخصية لطائفة إسلامية معترف بها (القرآن والسنة) كما تفسرهما تلك الطائفة وتكون الشريعة المتمثلة فى الكتاب والسنة مصدراً أعلى للقانون والتشريع فى باكستان .

وتفسر القوانين على ضوء الشريعة ، وعلى المواطنين الالتزام بأحكام الشريعة ويصوغ جميع المواطنين المسلمين أسلوب حياتهم طبقاً لأحكام الشريعة ، ويجرى توفير التعليم والتربية فى مختلف فروع الشريعة والقانون الإسلامى فى المستويات

المناسبة من التعليم الأكاديمى والتدريب المهنى ، كما يجرى إدخال المناهج الشرعية فى مقررات كليات الحقوق ، وتدريس اللغة العربية فى المدارس والكليات وإقامة نظام التعليم الإسلامى وذلك بهدف تطوير مجتمع إسلامى تطويراً شاملاً متكاملاً متزناً .

كذلك يجرى إقامة نظام الاقتصاد الإسلامى ، وذلك باتخاذ خطوات فعالة لضمان بناء الاقتصاد الباكستانى على أساس المبادئ والمثل والأولويات الاقتصادية الإسلامية ، وتقوم الحكومة الفيدرالية بتعيين هيئة مكونة من خبراء الاقتصاد والقانون والمصرفيين وعلماء الشريعة والممثلين المنتخبين وتكون أعمال الهيئة ووظيفتها :

١ ـ تقديم التوصيات والمشورة حول خطوات وأساليب إعادة بناء النظم الاقتصادية الباكستانية لتحقيق الرخاء الاجتماعى والاقتصادى للشعب .

٢ ـ القيام بدراسة القوانين المتعلقة بالقضايا المالية وفرض الضرائب وفرض الرسوم وجمعها .

٣ ـ الإشراف على عملية (أسلمة الاقتصاد) من خلال الإحاطة بحالات المخالفة والعقبات ـ إن وجدت ـ واقتراح البديل للقضاء على أية صعوبة أو مشكلة .

وتشرف الهيئة على عملية إلغاء الفائدة من النشاطات الاقتصادية فى كل قطاع من القطاعات ، وذلك فى أقل مدة ، وتقدم إلى الحكومة توصياتها بشأن اتخاذ خطوات تضمن إلغاء الربا كلياً خلال ثلاث سنوات من الاقتصاد الوطنى ما لم يحدد البرلمان هذه المدة .

وفى ذلك يتم :

١ ـ تقويم وسائل الإعلام بتشجيع المثل الإسلامية وتطويرها .

٢ ـ القضاء على الرشوة والفساد المالى .

٣ ـ منع تعاطى الفواحش والبذاءة .

٤ ـ القضاء على المفاسد والمنكرات الاجتماعية .

٥ ـ تنظيم بيت المال وصندوق الزكاة



أسلمة الاقتصاد فى الباكستان

كان من أهم عوامل تحرير المجتمع الباكستانى من التبعية بعد إعداد قوانين الشريعة أسلمة الاقتصاد حيث اشترك فى مؤتمر عملية الإنهاء الكامل لجميع المعاملات الربوية فى الاقتصاد (١٣ إبريل ١٩٩٢) ٨٣ شخصية تنتمى لمختلف التخصصات الاقتصادية ، وكان منهم علماء الشريعة والمصرفيون والمتخصصون بالتأمين ومحاسبون رئيسيون ومتخصصون بالاقتصاد والتجارة .

القضية : هى إنهاء الربا كلية من الاقتصاد الباكستانى حسب قرار المحكمة الشرعية الفيدرالية وإعداد البدائل اللاربوية للمصارف التجارية وتعويض الكسر فى ميزانية الدولة والطرق البديلة للمعاملات العالمية .

ولقد كان شعور المشاركين هو أن قرار المحكمة الشرعية هو انعكاس لرأى الأغلبية العظمى من الخبراء الاقتصاديين وعلماء الإسلام الذى يرى أن جميع أنواع الربا حرام سواء كان فى المصارف التجارية أو القروض الحكومية وكان قد تم فى العشرين سنة الماضية وضع بدائل عديدة للطرق التجارية المبتنية على الربا .

وبالرغم من أنه تم وضع طرق بديلة مختلفة للحالات المختلفة إلا أن « المشاركة فى الربح والخسارة » تشكل العمود الفقرى للنظام المالى اللاربوى .

كما تم بحث استعمال البنوك لطريقتى (البيع المؤجل) و (البيع بشرط الربح) ورؤى أن هاتين الطريقتين لا تفيان بالشروط التى يقتضيها البيع المؤجل والمرابحة فى الشريعة وأن هاتين الطريقتين لاتعدوان أن تكونا عمليتين ربويتين بأسلوب آخر .

ولكن تمت الإشارة إلى أنه لو تم تنفيذ البيع المؤجل بطريقة صحيحة فإن هذا سيسمح للاستثمار بأن يؤدى دوراً هاماً مستخدماً طرق وأساليب مشروعة .

وحيث لا يمكن العمل بالمضاربة أو المشاركة فإنه يمكن استخدام (البيع المؤجل) بشكله المقبول .

ورؤى أن سبب انحراف المسيرة عن مقتضيات الشريعة هو عدم وجود (هيئة

الشريعة) لهذا أوصى المشاركون بإنشاء هيئة إشراف شرعية بواسطة تقنين قانون خاص كما أوصوا بتعيين لجان شرعية أو مستشارين شرعيين للبنوك والمؤسسات المالية الأخرى ، على أن لايتم تعيين مبادئ وأصول أى معاهدة وبيان قالبها المبدئى الأصولى إلا بموافقة وإشراف هيئة الإشراف الشرعية .

واتفق المشاركون على أن المشاركة والمضاربة هما البديل الصحيح والمتزن لتصفية الحياة الاقتصادية من الربا ، وقد حلل المشاركون جميع العوامل التى لأجلها لم تقم المصارف باستخدام طريقة المضاربة والمشاركة وقد تمت الإشارة فى هذا المجال إلى عاملين هامين :

الأول : **أن** كثيراً من البنوك تبرر خشيتها من أن التجار المتعاملين معها لا يكشفون عن حقيقة وضع أرباحهم ، ومع أن التجار لا يعملون واقعاً بالاستثمار بنحو جدى .

وقد شوهد أن نظام الضرائب الحالى السائد فى باكستان هو المسئول الأساسى من قيام التجار بإخفاء المعلومات الحقيقية من تجارتهم أو إعطاء معلومات خاطئة عنها ، وهذا الأمر يعتبر العائق الرئيسى أمام قيام البنوك بالاستثمار على أساس الشركة .

واتفق على ضرورة إصلاح نظام الضرائب إصلاحاً أساسياً لترتفع جميع الموانع من أمام الاستخدام الواسع لطرق المشاركة والمضاربة .

واتفق المشتركون على أنه لا بد من وضع قانون مناسب لأجل ازدهار التجارة المبنية على أساس الإسلام بحيث يحفظ هذا القانون حقوق المصارف وحقوق التجار بنفس الوقت .

كذلك شعر المؤتمرون بضرورة إصلاح سوق الرأسمال ، وبأن البنوك التجارية لاتكفى لاتباع حاجات جميع أصحاب الحسابات وجميع المستثمرين ، وبذلك اقترحوا إضافة مؤسسة الاستثمار العام جنباً إلى جنب البنوك ومؤسسات الاستثمار الائتمانية فمثل هذه المؤسسات توسع وتعمق سوق الرأسمال فى القطر .

ولقد بحث المشاركون مطولاً حول المشكلات والمصاعب العملية حول إنهاء

الربا من الاقتصاد الباكستانى .

وقد رأوا أن إنهاء الربا المأخوذ على القروض الأجنبية يمكن أن يوجد بعض المصاعب وذلك لأن المقرضين غير مسلمين ، ولا مفر من مؤسساتهم الربوية .

وفى هذا المجال ظهر واضحاً أن القروض الدولية على الأساس الربوى قد أوجدت مشاكل لكثير من الأقطار . ووجد أنه من المفيد تحمل بعض المشكلات المؤقتة وبعض التضحيات لأجل تحقيق فائدة على المدى الطويل .

وفى دراستهم لطرق إنهاء الربا من التجارة الدولية تم استعراض عدة طرق لتحقيق هذا الأمر منها بشكل خاص :

البيع المؤجل والسلم والاستصناع التى يمكن استخدامها بسهولة فى عمليات التصدير والاستيراد والتى يمكن قيام جميع معاملات التجارة الدولية على أساسها .

★ ★ ★

نظام التعليم الإسلامى وقانون الشريعة
(فى باكستان)

قال مولانا سيد وصى مظهر ندوى :

إنه لمن نافلة القول بأن أهم خطوة لجعل باكستان مهداً للإسلام هى أسلمة نظام التعليم فيها .

والواقع أن نظام التربية والتعليم فى أى قطر لا يقتصر على بعض المواد الدراسية فى المدارس بل يبدأ هذا النظام من حضن الأم ، ووسط العائلة ، ويشمل بعد ذلك فى سعيه جميع وسائل الإعلام المقروءة ، المسموعة والمرئية ، كما يشمل البيئة والوسط الاجتماعى .

إن نظام التربية والتعليم الغربى يتبع فلسفة الحياة الغربية ، تلك الفلسفة التى تعتقد بأن جميع المخلوقات فى الكون تعيش حالة من الصراع من أجل البقاء وأن القوى هو الذى يغلب الضعيف فى هذا الصراع ، وأن هدف الإنسان فى الحياة هو

تسخير الكائنات وتحصيل القوة والقدرة والاستفادة بأقصى حد ممكن بالنعم والملذات المتاحة ولو كان على حساب سلب نعم الآخرين وممتلكاتهم والحاصل أن هدف التعليم بناء على نظرية الحياة الغربية وهذا لا يعدو إرضاء متطلبات البطن والفرج والتغلب على الآخرين والسيطرة عليهم .

وأن النظام التعليم المبنى على هذا الأساس المادى لن ينشئ إلا جيلاً ينطق عليه قوله سبحانه تعالى : ﴿ **والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام والنار مثوى لهم** ﴾ [محمد : ١٢] .

أما مفهوم الإسلام فيختلف عن ذلك كله تماماً حيث يستمد مقوماته من القرآن الكريم والسنة النبوية ويعمل على سعادة المجتمع كله وحمايته من الظلم ، وأول ما يقرره الإسلام فى سبيل إقامة المجتمع العادل هو حماية المسلمين من الربا وحبس الثمرات ، ومنهجه أن تكون الثروة لكل المسلمين وليست لفئة منهم على نحو مايقوم الاقتصاد الغربى .

تقرير عن المرحلة التاريخية الأولى حتى (٩ / ١٩٩١)

يقول سماحة الشيخ عبد الغفار حسن من كبار علماء باكستان وعضو مجلس الفكر الإسلامى فى باكستان حالياً :

لقد كانت الباكستان مؤهلة منذ اليوم الأول لقيامها لتطبيق الشريعة الإسلامية وأن مشاهير العلماء قد بذلوا جهودهم منذ تأسيس باكستان لإقامة الدين وتطبيق الشريعة ، ولكن الذين قاموا بحركة تأسيس باكستان أكثرهم لم يكونوا يعرفون الإسلام معرفة حقيقية ، ولذلك نهض العلماء بواجب تذكيرهم وتعريفهم وجوب تطبيق شرائع الإسلام .

واجتمع العلماء الكبار من جميع المذاهب والمدارس الفكرية المختلفة لأول مرة عام ١٩٥١ تحت رئاسة الشيخ سليمان الندوى وكان من شركاء هذا المجلس أبو الأعلى المودودى أمير الجماعة الإسلامية ، والشيخ احتشام الحق التهنوى والشيخ

محمد عبد الحامد القادرى البدايونى رئيس جمعية علماء باكستان فى السنة والشيخ محمد شفيع مدير دار العلوم فى كراتشى ، والشيخ محمد يونس البنورى بآنى ورئيس جامعة العلوم الإسلامية فى كراتشى والشيخ أطهر على رئيس جمعية علماء الإسلام فى باكستان الشرقية ، والشيخ راغب أحسن باكستان الشرقية ، والشيخ داود غزنوى رئيس جمعية أهل الحديث فى باكستان والشيخ إسماعيل ، والشيخ المفتى الحافظ كفايت حسين المجتهد رئيس مجلس حفظ حقوق الشيعة فى باكستان وغيرهم وقاموا بصياغة البنود المهمة فى تطبيق الشريعة وبلغ عدد تلك البنود ٢٣ بنداً نذكر أهمها :

١ ـ الحاكم التشريعى والتكوينى هو الله تعالى وحده لا شريك له .

٢ ـ يصاغ قانون باكستان على أساس القرآن والسنة ولا يدون أى قانون يخالف الكتاب والسنة .

٣ ـ الدولة الإسلامية فى باكستان لا تفرق بين الشعب حسب الطائفة أو اللغة أو الطبقة أو أى اعتبار آخر بل الكل سواسية .

٤ ـ لابد على الحكومة أن تقيم الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وأن تقوم بإحياء شعائر الإسلام .

كما عمل العلماء (وفى مقدمتهم الشيخ أبو الأعلى المودودى) وبذلوا مجهودهم لكى يعلن برلمان باكستان أن الإسلام هو دين الدولة وأنه لا يأتى فيها بأى قانون يخالف القرآن والسنة ، وأن لا حاكم إلا الله ولا شريعة إلا شريعة محمد ﷺ ، وعرف هذا بالأردية باسم (قرار داد مقاصد) أى قرار أهداف باكستان ، وقد بذل مجلس الفكر الإسلامى جهوده فى تحويل القوانين الوضعية التى تخالف القرآن والسنة إلى قوانين شرعية والآن لم يبق من القوانين الوضعية إلا جزء يسير كما قدم المجلس مقترحات عديدة تشمل النظام السياسى وغيره على ضوء الكتاب والسنة ، وكذلك دون جميع أحكام الكتاب والسنة مع ترجمتها للأردية فى مجلدين فى ترتيب سهل مرقمة البنود » .



الباب السادس

صحوة الإسلام فى تركيا

بعد أن قادت الدولة العثمانية فى تركيا العالم الإسلامى أربعة قرون ، وقعت فى براثن النفوذ الأجنبى الذى كان يعمل حثيثاً على إسقاطها وإسقاط الخلافة الإسلامية حيث تجمعت قوى الاستعمار والصهيونية والماسونية لضرب الوحدة الإسلامية فى أكبر معاقلها .

وكانت الدولة العثمانية قد قامت فى القرن السابع الهجرى بعد أن انقسمت دولة السلاجقة حيث وصل إلى تلك الجهات شعب تركى نشيط فى شرق بلاد الأناضول بقيادة السلطان عثمان ، وحيث خسرت الدولة البيزنطية أجزاء من دولتها واتسعت الفتوح العثمانية ١٣٢٦ ـ ١٤٠٢ وخاصة فى أوربا ١٣٦١ ، ثم ظهر محمد الفاتح ١٤٥١ ـ ١٤٨٠ حيث تحقق له احتلال القسطنطينية ١٤٥٣ والقضاء على الدولة البيزنطية (استانبول) ١٥١٢ واستولى العثمانيون على بلاد الشام ومصر وقضوا على دولة المماليك وسيطروا على نصف حوض البحر المتوسط ثم تراجعوا فى معركة لبيانتو ١٥١٧ ثم امتد سلطانهم حتى ١٩١٧ حين هزموا فى الحرب العالمية الأولى ، ومزقت إمبراطوريتهم ، ثم سقطت الخلافة الإسلامية ١٩٢٣ .

يقول الدكتور أحمد عبد الرحيم مصطفى :

إن الخلاف شديد حول دور الدولة العثمانية بين عرب المشرق وعرب المغرب وبين أصحاب التوجه الإسلامى وأصحاب التوجه القومى ، لقد ظل المؤرخون ردحاً طويلاً من الزمان يعتبرون الدولة العثمانية العدو الأكبر للمسيحية ، وكابوساً يجثم على التطور التاريخى للبشرية ، وعكس المؤرخون الأوربيون هذه النظرة المتحيزة .

فالدولة العثمانية تمثل رد الفعل الإسلامى ضد الخط الصليبى ، ثم ما لبثت أن اعترضت المشروعات الاستعمارية الأوربية .

وبعد انهيار الدولة العثمانية وظهور عدد من الدول الجديدة على أنقاضها جرى

تفسير التاريخ العثمانى من وجهة النظر القومية لهذه الدول وهى تفسيرات متحيزة ومنقوصة .

وماكتبه المؤرخون الغرب من أن ظهور الأتراك هو نهاية ازدهار الحضارة العربية والإسلامية ، وعقبة أمام مقياس درجات التطور الأوربى لايتمشى مع الحقائق التى تبرزها الدراسة الجادة الشاملة ، حيث تمثل الدولة العثمانية أقوى وأنجح مقاومة لأوربا من جانب أى حضارة غير غربية ، وحيث عملت على استدامة هوية معظم المجموعات الجنسية واللغوية والدينية الخاضعة لحكمها .

فالدولة العثمانية هى التنظيم السياسى الوحيد فى العصور الوسطى والحديثة ، الذى اعترف رسمياً بالأديان السماوية الثلاثة وأوجد بينها تعايشاً سلمياً يشوبه الانقسام .

وتبلغ عدد المجموعات اللغوية والجنسية التى خضعت للحكم العثمانى فى وقت واحد أكثر من ستين مجموعة لعبت فيما بعد دورها .

ويقول برنارد لويس (المستشرق) : إن الدولة العثمانية منذ ظهورها حتى سقوطها ، كانت نظاماً مكرساً لنشر الإسلام والدفاع عنه ، ومن أجل هذا بقى العثمانيون على مدى ستة قرون فى حالة حرب مع أوربا والغرب المسيحى وقد نجحوا خلال المرحلة الأولى فى إقامة حكم إسلامى على رقعة واسعة من أوربا ، ثم استماتوا خلال المرحلة الثانية فى التصدى لهجوم الغرب المعاكس .

ويشير خليل على حيدر إلى أن الأتراك تلقوا تعليمهم الدينى على أيدى دراويش المتصوفة المتحولين ، وكان هؤلاء المتصوفة الأتراك يختلفون إلى وعاظ وفقهاء المدن الإسلامية من حيث كون تعاليم المتصوفة على تخوم الدولة العثمانية مشبعة بالدعوة إلى التقشف والبساطة والتضحية ، ويخفى على الكثيرين أن دراويش المتصوفة ، وحركة التصوف عموماً قد لعبوا دوراً مهماً وأساسياً فى حماية نشر الإسلام فى آسيا وأفريقيا، بل كانوا القوة الحقيقية فى حفظ الإسلام فى روسيا السوفياتية عبر سنوات طويلة .

وتقف الحركات الإسلامية من التصوف مواقف متباينة فمؤسس حركة الإخوان المسلمين حسن البنا وكان نفسه عضواً فى حركة صوفية ، ويؤيد التصوف المعتدل

الذى يعزز السنن النبوية والفرائض ، ويشير المسلم الهندى والمعروف أبو الحسن الندوى ، إلى أن الكثير من قادة المتصوفة كانوا فى الواقع يجمعون بين السيف والمصحف ، والعقل والعاطفة ، وبين التسبيح فى المسجد والبيت فى ظلام الليل ، والتكبير فى ساحة الجهاد على صهوات الخيل ، ويشير الندوى إلى شيوخ المتصوفة الذين أدخلوا التتار فى الإسلام ، فتحولوا من قوة بربرية إلى طاقة حضارية مبدعة .

وكذلك أبطال الاستعمار منذ القرن التاسع عشر ، مثل الأمير عبد القادر الجزائرى ، وشيوخ الطريقة النقشبندية الذين قاوموا هجوم الروس على داغستان عام ١٨١٣ وبالذات الشيخ شامل الشهير بشيخ الطائفة النقشبندية ، وقائد الثورة على الروس من ١٨٣٤ إلى ١٨٥٩ عندما استسلم للإمبراطور اسكندر الثانى وتوفى فى المدينة المنورة ١٨٧١ والشريف أحمد السنوسى وبعض قادة المقاومة فى الهند مثل السيد أحمد الشهيد ولياقت على وشيخ الهند محمود حسن الدبويندى .

ويقدم العثمانيون فى أوربا صفحة باهرة من تاريخ المسلمين فى شرق أوربا ، فى بلغاريا ورومانيا ويوغوسلافيا وتشيكوسلوفاكيا وألبانيا والمجر وشمال شرق اليونان وقد استقبل العثمانيون فى كثير من بقاع أوربا وجزر البحر المتوسط استقبال الفاتحين ، وكان أهل البلاد يفضلون حكمهم على حكم الهيستبرج أو الطليان .

كما كان للعثمانيين أثر فى نجاح الحركة الإصلاحية البروتستانية فى أوربا ، وما كان تطور فكرة التسامح الدينى فى أوربا كما يقول بول كولزت إلا هى تأثير إسلامى .

وكانت محاولة البرتغاليين حنق التجارة العثمانية هى التى أدت بالعثمانيين إلى الوصول إلى أوربا حتى فيينا بفتح الطرق البحرية للتجارة .

★ ★ ★

بعد سبعين عاماً
تندحر العلمانية فى تركيا أمام المد الإسلامى

أمضى مصطفى كمال أتاتورك أيام حكمه فى رسم الطريق بفصل تركيا عن العالم الإسلامى ، وتدمير كل مقومات الإسلام والثقافة والمنهج الإسلامى كاملاً بإعلاء شأن العلمانية وتحطيم اللغة العربية والوحدة الجامعة .

ولكن المسلمين الأتراك بعد عقود ممتدة وحواجز منصوبة ، كانوا يتوقون إلى العودة إلى الإسلام وتحطيم جذر العلمانية والتغريب اللذين اتخذهما أتاتورك منهجاً وشريعة .

وأصبح الشعب التركى يفضل أن يعود لأحضان الإسلام ويحلم بعودة الإمبراطورية التركية الإسلامية ، وقد شهدت حقبة التسعينيات اكتساح المد الإسلامى الذى يمثله حزب الرفاه بقيادة (نجم الدين أربكان) لمظاهر العلمانية ، واستطاع حزب الرفاه منذ نشأته عام ١٩٧٠ جمع الأتراك مرة أخرى تحت راية الإسلام ، وأن يحقق المركز الثالث فى انتخابات البلديات التى أجريت فى مارس ١٩٩٤ وأن يسيطر على أكبر بلدتين فى تركيا وهما بلدتى أنقرة واستانبول .

كان لظهور المد الإسلامى بهذه القوة عوامل وأسباب :

ذلك أنه بعد هزيمة الدولة العثمانية المتحالفة مع ألمانيا فى الحرب العالمية الأولى زحفت القوات البريطانية والفرنسية والإيطالية واليونانية على تركيا غرباً وشرقاً واحتلت استانبول عاصمة الدولة العثمانية فى ذلك الوقت ، وتمزقت الدولة ولم يبق إلا رقعة صغيرة وسط الأناضول ، فى مارس ١٩٢٤ أصدر أتاتورك قراراً بإلغاء الخلافة ، واندفع حكام تركيا إلى تصفية التراث العربى الإسلامى واستبدال الحروف العربية بالحرف اللاتينى ، وألغيت الشريعة الإسلامية لتحل محلها القوانين المدنية والغربية ، وأمر أتاتورك بترجمة القرآن إلى اللغة التركية ، وتلاوة الصلاة بها .

وهكذا اتجهت تركيا نحو الغرب

وظهر التوجه الإسلامى ترجمة لعملية نزوع شعبى تركى أصيل نحو الإسلام

الذى لم يستطع أن تمحوه من الضمير العام فى تلك البلاد عقود العلمانية والتغريب المتتالية ، خاصة وأن التاريخ السياسى الحديث لتركيا يثبت أنه منذ هزيمة الإمبراطورية العثمانية الإسلامية فى الحرب العالمية الأولى وظهور أتاتورك بالعلمانية المعادية للعرب والإسلام لم تحقق فى تركيا أمجاداً تتناسب مع طموحات شعب كان إلى عهد قريب على رأس إمبراطورية واسعة الأرجاء ، ومن هنا جاء الالتفاف الشعبى الكبير فى الآونة الأخيرة حول القوى السياسية الممثلة للتيار الإسلامى فى تركيا .

ورغم أن حزب الرفاه هو التيار الوحيد ذو الاتجاه الإسلامى الذى دخل المعترك السياسى ، إلا أن المجتمع التركى الذى يذخر بالعديد من التيارات الإسلامية التى لا تمارس العمل السياسى وهناك مؤسسات اقتصادية وإسلامية ومراكز بحث أكاديمى ونشاط ثقافى إسلامى وطرق صوفية ، وجماعات سلفية وجمعيات خيرية لتحفيظ القرآن .

ومعنى هذا أن المد الإسلامى لا يقتصر على حزب الرفاه ومؤيديه ، ولكنه يمتد ليشمل عدداً هائلاً من الشعب التركى قد يصل إلى أغلبيته فى عام ١٩٩٦ ، وهذا ما يثير مخاوف الأحزاب الأخرى .

ونظرة إلى الشارع التركى الذى كثر فيه الحجاب تظهر الرؤية الإسلامية المتصاعدة فى تركيا .

وتقول جريدة اللوموند : إنه إن كان أتاتورك قد استطاع بجرة قلم إلغاء الخلافة وإبعاد علماء الدين عن السلطة فإنه لم يستطع القضاء على المشاعر الدينية ، حيث لا يزال الحجاب فى الريف يغطى رءوس أكثر من نصف النساء ، ودعت صحيفة وول ستريت جورنال العلمانيين الأتراك إلى ضرورة التأقلم مع الحقيقة التى برزت فى الساحة التركية .

فى عام ١٩٧٠ تم تكوين أول حزب يضم النواب الإسلاميين وكان اسمه حزب النظام الوطنى ليعبر عن ارتباط عظيم بالدين ورمزه قبضة يد منطلقة فى الهواء تمد أصبع الشهادة نحو الأمام .

وعرف النظام بدفاعه عن الدين كأيديولوجية وإنه مدافع متطرف عن الإسلام ،

وقد بلغ من تحدى هذا الحزب أنه لم يعلق قبل مؤتمره الأخير قبل إلغائه صورة مصطفى كمال أتاتورك ولم يرد ذكر أتاتورك فى هذا المؤتمر على أى لسان ، وقال قادة الحزب أنهم عندما يتولون السلطة سيعملون على عقد جلسات مجلس الأمة فى أيا صوفيا ، وأغلق حزب النظام وقدم أربكان للمحاكمة .

وكان سبب الإلغاء وسبب المحاكمة ماسموه مجافاة الحزب ومبادئه لمبادئ الجمهورية المنصوص عليها فى القانون .

وكونت مجموعة أربكان حزباً جديداً عام ١٩٦٢ أطلقوا عليه حزب السلامة الوطنى تنبأ بأن سلامة تركيا تكون على يديه .

وكانت الأحزاب التى نشأت منذ ١٩٢٣ وحتى ١٩٥٠ لم يجد الشعب فيها ضالته ، ولذا قام حزب السلامة الوطنى لإحداث ارتباط بين الأمة وتراثها .

وعرض أربكان فى المؤتمر العام الثانى للحزب والذى انعقد فى ١٧ نوفمبر ١٩٧٤ لتيارات الفكر السائدة فى تركيا الآن وقال : إن هناك ثلاث تيارات فكرية تتحكم فى تركيا وهى :

١ ـ الفكر الوطنى ويمثله حزب السلامة الوطنى .

٢ ـ الفكر الحر الليبرالى ويمثله حزب العدالة .

٣ ـ الفكر اليسارى ويمثله حزب الشعب الجمهورى .

واستطاع حزب السلامة بتمثيله الفكر الوطنى حسبما يعبر عنه منهجه إحراز السلم بوضوح فى الحياة السياسية التركية .

فقد اشترك فى ائتلافين وزاريين أولهما مع حزب الشعب الجمهورى والثانى مع حزب العدالة ، وأصبح الحزب الثالث فى البلاد .

والفكر الوطنى يفخر بتاريخنا العظيم المشرف والشعب التركى مرتبط بماضيه يحترم آرائه وعرفه ويحافظ عليه وهو بعيد عن كل تقليد ، مدرك تمام الإدراك لشخصيته الأصيلة .

ويرى الحزب ضرورة إلغاء الربا بكل حزم ويقضى على الإسراف ،

وإقامة التصنيع وخاصة المصانع الحربية بدلاً من الاعتماد على الدول الأجنبية والخضوع لها .

ويقول : نريد أن تكون تركيا دولة رائدة وليست تابعة تدور فى فلك الآخرين ، وفى مجال النهضة المعنوية قال إنه لأول مرة ١٩٧٤ فى تاريخ تركيا الحديثة تم تخصيص ٤٠ مليون ليرة تركية لمشروع جامع القرية وتخصيص ميزانية لمدارس تحفيظ القرآن الكريم ، وقد وجه الحزب عناية كبرى لمدارس الأئمة والخطباء .

وقد اشترك الحزب فى الائتلاف الوزارى مع أحزاب اليمين وحمل حملة شعواء على المطبوعات المخلة بالآداب ، وأعد قانوناً لهذا الأمر ، وفى نظرة إلى الأحزاب كان حزب الشعب الجمهورى يتخذ من الاشتراكية إلهامها ، والفكر الاشتراكى فكر غير مثمر يهدر الحريات ويركز على مصادر أجنبية ، أما الفكر الرأسمالى مصدر إلهام حزب العدالة فهو فكر يقوم على الربا ، ومصدره أجنبى ، أما حزب السلامة الوطنى فيمضى فى طريقه رافعاً راية الأخلاق أولاً .

ويقول أن النظام الرأسمالى والنظام الاشتراكى لا يقتصران على الاقتصاد فقط ، وإنما يمتد تأثيرها إلى الميدانين الاجتماعى والمعنوى ، ورغم اختلاف هذين النظامين فى الظاهر إلا أنهما يشتركان فى عدة جوانب ، فكلاهما مادى وكلاهما نفعى يريد ربط الأمم الأخرى به ثقافياً ، وكلاهما يعمل على النهوض بالجانب المادى فى مقابل انحطاط فى الأخلاق ، والمعنويات وكلاهما يزداد ارتفاعاً مادياً مع هبوط فى الثقافة والأخلاق .

وفى سياسته الإسلامية يرى الحزب : ضرورة تطور علاقتنا بالعالم الإسلامى من كل الوجوه وإن العلاقات التركية بالعالم الإسلامى لا ينبغى أن تكون مجرد علاقة صورية وإنما ينبغى تحقيق علاقات فعلية متطورة معه ، وفى العالم ما يقرب من خمسين دولة إسلامية يبلغ عدد سكانها ملياراً ، وهذه الدول الإسلامية سوق طبيعية قوية لإنتاجنا ، ونرحب أن نكون فى مقدمة من يتعامل معها .

من أهداف حزب السلامة إقامة نهضة معنوية أخلاقية فى البلاد ، وحزب السلامة حزب أخلاقى فى المقام الأول والأحزاب الأخرى مادية ، ومن أجل ذلك

عمل حزب السلامة على وضع دروس الأخلاق فى مناهج الدراسة ثم يأتى التصنيع فى المقام الثانى ، وحزب السلامة هو الذى يرفع راية تصنيع تركيا .

وقد لخصت جريدة انزيجر الألمانية موقف حزب السلامة بقولها :

إن عودة الإسلام لتركيا ومخالفتها بذلك لأسس الدولة العلمانية التى أرسى أتاتورك دعائمها لمثار تفكير من قبل جهات عدة ، وفى الجملة فإن حزب السلامة يعبر رسمياً عن اتجاهه بعبارات الأخلاق والمعنويات والعودة إلى التراث والمحافظة على المقدسات .

ومن حزب السلامة إلى حزب الرفاه سعياً لإعادة مجد الأمة وقد شارك خلال العشرين سنة الماضية فى الانتخابات المحلية والانتخابات البرلمانية .

ولما سئل عن حزب الرفاه قال : إنه الحزب الذى سيعمل على التأكيد على الهوية الإسلامية للشعب التركى ويحول دون تنفيذ المخططات اليهودية ومنها دخول تركيا السوق الأوربية المشتركة .

ويعمل حزب الرفاه على طرح فكرة مشاركة تركيا فى سوق مشتركة للدول الإسلامية .

يقول أربكان : إن حزب الرفاه انطلاقاً من مبادئه الوطنية يريد أن يخلص تركيا من مخططات الإمبريالية الغربية والصهيونية العالمية ، وعندما أرادت الصهيونية إنشاء إسرائيل جعلت سقوط الدولة العثمانية شرطاً أساسياً ، لذلك دخلت تركيا حرب البلقان ضد الإيطاليين ، وحرب الاستقلال ١٩٠٩ ـ ١٩٢٣ .

وبعد إسقاط الدولة العثمانية وقيام إسرائيل ، يراد جعل تركيا مع إسرائيل فى السوق الأوربية المشتركة ، والحزب الوحيد الذى يعارض فى ذلك هو حزب الرفاه الذى يقف فى وجه المخططات الإمبريالية والصهيونية .

إن الصهيونية عملت على إقامة دولة إسرائيل خلال خمسين عاماً فى مؤتمر بال ١٨٩٧ وبعدها تعمل خلال خمسين عاماً على إنشاء اتحاد مع تركيا لتحقيق الأمنية المذكورة فى التوراة المحرفة وهى إقامة إسرائيل على حدود من الفرات إلى النيل .

ويقول أربكان :

إن الدول الأوربيـة يدافـعـون عن الحرية وحـقـوق الإنسـان فى بلدانهـم ، ولا يريدونهـا فى تركـيا فـهم يشتـرطون أن تكون تركـيا دولة غير إسلامـية من أجل أن تدخل السوق الأوربية ويطالبون بالسماح للشيوعيين بحرية العمل وإقامة حركة الصحوة الإسلامية .

ويقول أربكان : إن الشعب التركى شعب مسلم حرم من التعليم الدينى ، وفى خلال أربع سنوات ١٩٧٤ ـ ١٩٧٨ تم فتح ٣٥٠ مدرسة لتخريج الأئمة والخطباء وعشر كليات للتربية ومع ألف مدرسة لحفظ القرآن الكريم مما أتاح لهذا الشعب أن يتعلم الدين الإسلامى من جديد وخلال هذه الفكرة يدرس حوالى ٣٠٠ ألف طالب فى مدارس الأئمة والخطباء وخلال العشر سنوات الأخيرة تخرج من مدارس الأئمة والخطباء مايزيد عن نصف مليون شخص .

وعلى الشبـاب المسلم فى جـمـيع البلدان الإسـلامـيـة : الوعى الكامل لتعـاليم الدين الإسلامى الحنيف ومعرفة الإمبريالية معرفة حقيقية ، لكى يعرفوا عدوهم جيداً، لأن الإمبريالية أرادت من الشعوب المسلمة أن يعرفوا الإسلام على غير حقيقته لخدمة مصالحهم وأفكارهم ، وأن يتعلموا تعاليم الدين الإسلامى الحقيقى حتى لا يكونوا عبيداً للإمبريالية ومصالحها ، وأن يعرفوا أن الإسلام ضد الاستعمار ، وضد الظلم والطغيان ، ومع الإنسان وحقوق الإنسان والعدالة وأن الإسلام يطالب المسلمين أن يجاهدوا ويعملوا من أجل الإنسانية والعدالة وحقوق الإنسان [مجلة البعث الإسلامى ذو الحجة ١٤١٠ هـ]



تركيا الإسلامية فى وجه الصهيونية والاستعمار

يقول البروفسور نجم الدين أربكان :

إن المعركة بين الإسلام والصهيونية فى تركيا قد اتخذت أشكالاً عدة وهى ممتدة منذ خمسة قرون ، منذ فتح السلطان محمد الفاتح القسطنطينية وعمل على فتح رومية ، ولكن هذا الصراع فى المائة سنة الأخيرة أخذ شكل مخطط أعد له سلفاً فاستطاعت بعض القوى سنة ١٨٣٩ أن تؤثر فى جسم الدولة الفكرى وتدخل القوانين الوضعية البعيدة عن الإسلام بواسطة المنظمات اليهودية الماسونية .

وقد انقسم العمل اليهودى فى تركيا إلى ثلاث مراحل :

١ ـ أول مرحلة مدتها ٣٠ سنة وهى عبارة عن تنفيذ فكرة هرتزل بإسقاط الدولة الإسلامية فى تركيا .

٢ ـ المرحلة الثانية استمرت ٢٠ سنة وهى تقسيم الدولة العثمانية إلى دويلات صغيرة .

٣ ـ المرحلة الثالثة : استمرت خمسين سنة وكانت لإبعاد تركيا عن الإسلام .

وكانت نشأة حزب الاتحاد والترقى وعلاقته باليهود والماسونية وكيف استطاع إسقاط السلطان عبد الحميد وبدأ إبعاد تركيا عن الخط الإسلامى وتغريبها بطرق عديدة أهمها (العلمانية) التى كانت تعنى فى تركيا بالتحديد (اضطهاد المسلمين) .

ثم نشأ حزب الشعب الجمهورى وهو صورة أخرى من الحزب السابق ، ثم نشأ حزب السلامة الذى اجتمعت ضده الأحزاب ووسائل الإعلام لتحطيمه ، ورغم هذا فقد استطاع أن يحقق نجاحات عديدة ، واضطروا أن يضموه إلى الائتلاف الحكومى .

ونحن نحتفل بمرور ١٤٠٠ سنة على هجرة النبى ﷺ ومع ذلك فلا نجد دولة إسلامية واحدة تحكم بالإسلام فى الوقت الحاضر .

لقد كان الصراع بين الإسلام واليهودية مزمناً ومريراً ، فمنذ تمكن اليهود من تسميم السلطان محمد الفاتح ١٤٨١ للقضاء عليه قبل إتمام هدفه بفتح روما ، منذ ذلك اليوم وصراعنا قائم على قدم وساق ، وقد ازداد هذا الصراع فى العصر الأخير ، حيث تمكن اليهود من هدم الخلافة فى الثلاثين سنة الأولى من هذا القرن ، كانت فترة حروب أنهكت الدولة الإسلامية ، وفى العشرين سنة التى تلتها قسموا الوطن الإسلامى إلى دويلات ، وفى الخمسين سنة الأخيرة جرت معارك الاستقلال ، ومن ثم بدأ البعث الإسلامى يطل برأسه من جديد حيث يتكون العالم الإسلامى اليوم من ٤٣ دولة مستقلة و ٢٠ دولة غير مستقلة ، يزيد عدد نفوسهم عن المليار نسمة ولهم إمكانات هائلة بشرية واقتصادية مثل البترول والمعادن .

وما يزال العالم الإسلامى يعانى حروباً فى مختلف أرجائه :

فى فلسطين وأفغانستان وأيبريا والفلبين ، وكذلك فى كل مكان تجرى الحرب الباردة بين اليهود والإسلام ، بين الحق والباطل ، وفى الوقت الذى يحتل فيه المسلمون هذه المكانة الكبيرة فى العالم يملكون هذه الإمكانيات غير المحدودة ، فإننا نجده متخلفًا فى كل المجالات الحيوية ، فدخله القومى لا يزيد عن دخل دولة واحدة فى غرب أوربا ، مثل فرنسا ، ثم هناك تخلف فى التكنولوجيا الحديثة بينما اليهود لا يزيد عددهم على ٣٠ مليون نسمة فى أنحاء العالم ومع ذلك يسيطرون على كثير من التحركات الإعلامية والثقافية والدعاية الاقتصادية والفنية فى العالم .

ومن هنا لابد من تحقيق الأهداف السياسية التالية :

١ ـ إنشاء الأمم المتحدة الإسلامية .

٢ ـ إقامة السوق الإسلامية المشتركة .

٣ ـ إيجاد الدينار الإسلامى الموحد .

٤ ـ إقامة الوحدة العسكرية للدفاع عن العالم الإسلامى .

٥ ـ المعاهدة الثقافية الموحدة التى ستكون مؤسسة السيرة إحدى مؤسساتها .

وبهذا ينتهى التخلف عن أوربا وعمره خمسون سنة ، ونحن على إدراك كامل أن قيام المؤسسات لا يقيم للإسلام دولة ، ولا يقيمها إلا تكوين الفرد المسلم الذى

تربى على أساس من القرآن والسنة وهدى من السيرة ، ولا بد من انبثاق دستور البلد وقوانينه ومعارفه ، واقتصاده وسياسته الخارجية من النظام الإسلامى .

إن المسلمين الأتراك يشكلون حزام أمن لشمال العالم الإسلامى ، فهم ٦٠ مليون فى تركيا ، و ٧٠ مليون فى الاتحاد السوفيتى ، و٦٠ مليون فى الصين ، و١٠ مليون فى بلغاريا .

وتملك تركيا صناعة حربية وقوة جيشها النظامى ٧٠٠ ألف جندى ، كل هذه الإيجابيات جعلت الصهيونية العالمية تعمل على عزل تركيا عن العالم الإسلامى من خلال محاولة إدماجها فى السوق الأوربية المشتركة .

إن سبب شقائنا هو بعدنا عن الإسلام ، لا بد من تشخيص أحوال العالم الإسلامى .

وفى الوقت الذى يمثل فيه المسلمون هذه المكانة الكبيرة فى العالم ، ويملكون هذه الإمكانيات غير المحدودة فإننا نجده متخلفاً فى كل المجالات الحيوية .

وقال أربكان لممثل السوق الأوربية المشتركة :

إن ميثاق حضارتكم يقول : إن ثقافة أوربا قائمة على الإرث الثقافى الرومانى واليونانى ، وهذا الإرث بالنسبة لنا نحن المسلمين لا يحقق العدل ولذا فنظامكم نظام ظالم ، وإن اقتصادكم الرأسمالى يقوم على أساس ربوى يؤدى بالضرورة إلى انفجارات اجتماعية كثيرة .

ومن الضرورى إقامة نظام أساسه الحق والعدل ليس للمسلمين فحسب ، وإنما للإنسان وذلك لأن النظام الرأسمالى على وشك الانفجار ، أما الشيوعى فقد أعلن إفلاسه .

إن اكتشاف الشعب التركى لهوية الأمة الإسلامية مع هذا البعث الإسلامى الجديد هو العامل الرئيسى الذى يحفظ المجتمع التركى من الانهيار ، وربما عاد بتركيا إلى علاقاتها الطبيعية مع دول الشرق الإسلامى وأذاب الجفوة بينها وبين جيرانها المسلمين (إيران وسوريا والعراق) خاصة بعد تعاظم الإحساس الدينى بين مسلمى الاتحاد السوفييتى الذين يطالبون بالانفصال وتشكيل جمهورياتهم الإسلامية الخاصة .

وفى مؤتمر السيرة النبوية الذى عقد فى تركيا ألقى أربكان خطابه الحاسم حيث أكد أن الوقت قد حان لإزاحة الأضاليل والتغليطات التى بذرها وغرسها ودعا إليها بعض قادة الفكر الغربيين من المذاهب والمبادئ المادية الصرفة ، فانساق وراءهم فيها من يسمون أنفسهم بدعاة التحرر والتجديد حتى فى العالم الإسلامى .

فالنظرية الداروينية التى تقول بانحدار بنى الإنسان من سلالة القرود ، إن هى إلا نظرية خطيرة تهدف فى جملة ما تهدف إليه اجتثاث الأصول العقائدية التى أتى بها الإسلام ، وتحدث عنها القرآن ، والنظرية الجنسية التى فلسفها ودافع عنها فرويد والتى صار يعتنقها ويدافع عنها الكثيرون ، إن هى إلا نظرية ناسفة تريد أن تنسف كل المبادئ والأصول الأخلاقية التى دعت إليها الأديان بما فيها دين الإسلام .

والمسلمون مطالبون بمقاومة ومصاولة أمثال هذه النظريات والدفاع عن النظريات والمبادئ التى أتى بها دينهم الحنيف وأكدتها الآيات المنزلة من رب العالمين.

والبرهنة على أن النظريات الإسلامية والأحاديث والأنباء التى وردت عن طريق القرآن والسنة النبوية الصحيحة هى نظريات صحيحة وأخبار لا تقبل الطعن ، زيادة على أن الوحى الإلهى أكدها ، فإن العلم الحديث يثبتها ويؤكدها ويدحض ما يخالفها ، وبحقائق الإسلام تستطيع الإنسانية أن تتعرف طريقها وتسير فى الهدى الذى به وحده تحقق سعادتها .

وأكد البيان الذى أصدره المؤتمر فى تركيا وحضره كل زعماء العالم الإسلامى أن التقدم العلمى الذى يعيش فى ظله الإنسان لم يستطع أن يقضى على الآلام النفسية والقلق الفكرى والانحدار الخلقى ، والأمور التى تعانى منها الإنسانية فى العصر الحاضر .

وإنه مهما عاند المعاندون ، وتكبر المتغطرسون ، فإن الحل الوحيد للمشاكل الإنسانية يكمن فى الانقياد للهداية الربانية والتعاليم السماوية التى دعا الإسلام لاتباعها والخضوع لأوامرها ، فبها تنحل كثير من العقد ، ويحل الاطمئنان والأمان لدى بنى الإنسان ، وهذا الانقياد للأوامر الإلهية تفرض على كل إنسان أن يقدر المهمة التى طوّق بها تعمير الأرض وإصلاحها وتطويعها ، والاستفادة من جميع إمكانياتها.

وذلك لا يتيسر إلا إذا تضاعف الاهتمام بالبحوث العلمية على اختلاف أشكالها ، اهتماماً من شأنه أن يلبى رغبات البشرية فى السعادة والتقدم والهناء .

وأشار أربكان فى حديثه عن الصحوة الإسلامية فى المجتمع التركى المعاصر فقال : إن عودة المرأة المسلمة إلى أصالتها وفطرتها بالإقبال على الحجاب عن إيمان واقتناع بعد أن غرر بها دعاة التغريب وأعداء الإسلام بدعوى التحرر والمساواة .

فالحجاب رمز الأصالة والتدين وهو تطبيق لشريعة من شرائع الإسلام .

ويقول أربكان : نحن واثقون أن الحركة الإسلامية ستسجل نجاحاً باهراً فى الانتخابات القادمة ولقد كان حزب الرفاه الوطنى امتداداً لحزب السلامة ، وتحول مؤتمره إلى مسجد ، أما النساء فكن محجبات فى أماكن منفصلة عن الرجال .

ولقد جربنا الأنظمة خلال ستين سنة ، فما وجدنا غير الانحياز والارتباطات الخارجة والفقر والتضخم .

(لا للربا ونعم للجهاد)

وقد صدر قرار المحكمة العسكرية فى ٢٣ / ١٠ / ١٩٨٥ بتبرئة أربكان ورفاقه من حزب السلامة .

يقول : نحن نناضل فى تركيا ضد الآليات والنظم التى صنعها الاستعمار والصهيونية ، والماركسية ، الذين صنعوا نظاماً فى تركيا يعمل فى النهاية لخدمتهم .

معنا الملايين من الشعب التركى المسلم .

أسس الوحدة بين الأمة الإسلامية :

إقامة حلف بيننا يقوى شوكتنا ويحفظ كرامتنا ، ويقيم سوقاً مشتركة تكون عملتها الدينار الإسلامى بحيث نصون أموالنا من سلطان الربا الذى يكاد يفتك بنا .

إذن محاولات الوحدة تتم باجتماع سنوى يكون له مقررات ، مع تأسيس لجنة من كافة الدول لمتابعة المقررات حتى نصل إلى صيغة يتفق عليها الجميع .

إن لنا إخوة يتعرضون للقتل فى شتى أنحاء العالم ، فهناك ظلم ومآسى وإبادة يتعرض لها المسلمون البلغار من مجهولين .



التحـــول الخطيــر

لم يكن أحد يتصور أن تركيا التى قطعت علاقتها بالدين من عهد أتاتورك وتحولت بدرجة ١٨٠ درجة عن الإسلام وتراثه ، بل وحتى حروف اللغة العربية والملبس والحجاب ، يمكن أن تعود تدريجياً إلى الإسلام .

وبظهور اللحى والحجاب بدا القلق الغربى من حجم الظاهرة التى تهدد الأمن القومى للقارة الأوربية ، حتى كتبت الصحف وفى مقدمتها المارومان – نوفمبر ١٩٧٨ :

العالم على أبواب تحرك إسلامى لن تفلت دولة من بصماته ، والمسلمون مطالبون بالعودة إلى خدورهم .

وأول إعادة مظاهر الدين إلى تركيا : تحكيم الشريعة الإسلامية والكتابة بالحروف العربية .

وقد قام أربكان بإمامة قيادة الجيش التركى فى صلاة الفجر قبل غزوهم بالجزيرة القبرصية ومواجهة اليونان .

وقد ذهب يهود تركيا إلى أمريكا وحذروا من تنامى القوة الإسلامية الضاربة ، وإن مسيرة القدس فى (قونية)وإسقاط وزير الخارجية التركى بسبب إصراره على استمرار العلاقات مع إسرائيل يشكلان ظاهرة خطيرة ضد السامية ، كان يذهب كل يوم إلى معهد أو مدرسة ويسأل الفتيات : لماذا تضعن الحجاب على رءوسكن؟ ، لماذا تقرأن القرآن وهو بلغة أجنبية لاتفهمنها ؟ لماذا لا تقرأنه باللغة التركية ؟ ثم يسأل : لماذا فصل الذكور عن الإناث ؟ وقد ذكر أفو لوليرمير اليسارى فى كتابه : (إن من جملة الأمور الهامة التى بحثها الأمريكان مع قادة الانقلاب كان موضوع الحجاب حيث صدر بعد ذلك قرار يقضى بأن تخلع التركية المثقفة حجابها إذا أرادت أن تعمل أو تستمر فى دراستها وعلى التركى أن يكون حليق اللحية إذا أراد أن يستمر فى عمله) .

ويقول دكتور محمد حرب : إن تركيا تحولت إلى العلمانية لأن أتاتورك وجد أن الإسلام كان حائلاً – حسب زعمه – دون تقدم البلاد ، وقد وصلت العلمانية حتى لقانون الأحوال الشخصية ، فهو مأخوذ من القانون السويسرى ، الذى يسوى تماماً بين الرجل والمرأة فى كل شيء .

إن التاريخ العثمانى والخلافة العثمانية لم تكن أبداً احتلالاً بل كانت حامية للإسلام والمسلمين ، والخلافة حمت شمال إفريقيا من الأسبان ، وحمت جزيرة العرب من البرتغاليين ، وحمت العراق وغيره من موجات التشيع الإيرانى ، والجيش العثمانى كان مركزه الأساسى فى استانبول فى تركيا ، وكانت له قواعد فى الجزائر وفى السويس ، وكانت رئاسة الأسطول العثمانى فى الجزائر ، وكان يقوم بالحماية فقط .

★ ★ ★

وما إن بدأت هذه الصحوة فى تركيا حتى تألب عليها الغزو الثقافى فى حملة شرسة ، أما ما يسمى بالحملة المسعورة الحاقدة على الإسلام وآله فى تركيا على المستويين الرسمى والإعلامى وهى واحدة من مجموعة الأساليب التى مورست ضد المسلمين إبان الانقلاب العسكرى الأخير ١٩٨٠ والذى قام أصلاً لكبح جماح المد الإسلامى المتنامى .

وكان اعتقال رائد الحركة وعقلها المفكر وموجهها البروفسور نجم الدين أربكان و ٣٣ من إخوانه (وجاءت براءة أربكان بعد أربع سنوات) ووضعت العراقيل أمام تشكيل حزب يمثل المسلمين وجرى سن القوانين التى تمنع الموظفات من ارتداء الحجاب والموظفين من إطلاق لحاهم .

وجرت محاكمة الشيخ على رضا فرحان إمام أحد مساجد استانبول لتأليف كتاب عن الحياة الجنسية فى الإسلام ، قال فيه : إن الإسلام يتيح للرجل أن يتزوج أربع زوجات .

وجرى نشر موجة الخلاعة والانحلال والرذيلة والصور العارية فى الصحافة التركية ، وكان معظم رؤساء تحرير الصحف من اليهود ، ثم تحول الموقف بعد قليل

وأقيل وزير التربية والتعليم صاحب قانون منع ظهور المحجبات ، واستقدام أساتذة من باكستان لتدريس الدين الإسلامى الذى جعل إلزامياً فى المدارس ، وبدأت قطاعات عريضة من الشعب تكشف صراحة عن هويتها الإسلامية ، وأخذ التيار الدينى يكسب أنصاراً جداً ، خاصة من الشباب ، مما دفع بمراسل النيويورك تايمز إلى استعراض الوضع فى تركيا منبهاً الغرب إلى ضرورة الحفاظ على تركيا من السقوط فى أيدى المسلمين .

وبدأ التيار الإسلامى فى بناء قاعدته الاقتصادية : (اقتصاد الأصوليين يساوى اقتصاد الحكومة) .



خطـوات التحـول

جاءت الانتخابات (إبريل ١٩٩٤) حاسمة حيث تفوق فيها المسلمون ، وكانت أبرز نتائج الانتخابات التى شارك فيها ١٣ حزباً ، أن حزب الرفاه الإسلامى حصل على ٢٠ ٪ من جملة الأصوات وأصبح الثالث فى ترتيب أحزاب المقدمة :

الأول : حزب الطريق القويم الحاكم .

الثانى : حزب الوطن الأم المعارض الرئيسى .

وبذلك احتل مكان الحزب الاجتماعى الشعبى اليسارى الذى منى بهزيمة شديدة ، وكان حزب الرفاه الذى حصل على ١٣ ٪ من الأصوات عام ١٩٨٩ على حساب تراجع الأحزاب الكبيرة بما فى ذلك الحزبان الرئيسيان فى البلاد ، كذلك فقد فاز حزب الرفاه برئاسة أهم مدينتين فى تركيا على الإطلاق وكانت تقليدياً فى حوزة الاشتراكيين ؛ وهما استانبول معقل النشاط الاقتصادى والتجارى فى البلاد و ٧٠ ٪ من تلك الأنشطة تتركز فيها ، وعاصمة الخلافة الإسلامية سابقاً ، ثم (أنقره) مقر الحكم وعاصمة العلمانية الكمالية التى فرضت على البلاد منذ ٧٠ عاماً .

يقول الأستاذ (فهمى هويدى) : كانت أكثر التعليقات جدية تلك التى ركزت على أزمة الهوية التى مسختها التجربة العلمانية الكمالية طيلة العقود السبعة الأخيرة : تلك التجربة التى حاولت فصل الشعب عن جذوره وإلحاقه بالغرب بدءاً بلغته التى أصبحت تكتب بالحروف اللاتينية بدلاً من العربية ، وانتهاء بنموذجه الحضارى الذى أصبح الغرب قبلته وغايته وفى سعى البعض إلى إغراء الناس بذلك النموذج فإنهم عمدوا إلى تهوين علاقته بجذوره الإسلامية وفى أحيان كثيرة فإنهم عبروا عن ازدرائهم لتلك الجذور بصور مختلفة .

وكانت تلك الضغوط والحملات ذاتها هى التى دفعت قطاعات عريضة من الجماهير إلى التشبث بتلك الجذور والإصرار على مقاومة جهود الانخلاع التى تبناها الخطاب العلمانى طيلة السنين الماضية ، هذه الشرائح المشغولة بقضية الهوية

أعطت أصواتها تلقائياً لحزب الرفاه ليس بالضرورة اقتناعاً ببرنامجه ولكن تعبيراً عن رفضها لدعاة الانخلاع من الجذور والالتحاق الحضارى بالغرب .

ولقد كان الحزب الإسلامى يعمل منذ ربع قرن تحت مسميات مختلفة ، فهو حزب (النظام) فى الدستور الذى يعتبر العلمانية بمثابة الدين الرسمى للدولة ، ولايجيز إنشاء حزب إسلامى ، ثم بعد النظام (السلامة) وأخيراً يحمل اسم (الرفاه) وهو لايذكر الإسلام صراحة فى أدبياته ؛ لأن ذكر الكلمة فى الخطاب السياسى يعرض الحزب للحل ، ويعرض قادته للسجن ، لذلك فإنهم يشيرون دائماً إلى النظام الإسلامى بمصطلح (النظام العادل) وهو تعبير يجيزه القانون ، ويفهم الجميع دلالته الحقيقية سواء كانوا خصوماً أو أتباعاً .

ويقوم المشهد الإسلامى فى تركيا على كيانات عدة تتوزع على أربع دوائر هى:

١ ـ الجماعات التى لا تضع العمل السياسى على رأس اهتماماتها ، ولكنها معنية بالدفاع عن العقيدة والفكر الإسلاميين وهى من أصداء أو إفرازات التجربة الكمالية التى كانت حرباً على الإسلام فى تركيا ودفعت نفراً من المصلحين إلى حصر أنشطتهم فى تثبيت العقيدة والدفاع عنها ، وأهم هؤلاء وأشدهم الشيخ سعيد النورسى (١٨٧٠ ـ ١٩٦٠) الذى يذكر له كثيرون أنه أبرز الذين حافظوا على وجه تركيا الإسلامى فقد أسس أتباعه بعد وفاته جماعة (النور) التى سارت على نهجه ، وما زالت تركز فقط على عملية التبليغ والتربية والإرشاد ويعتبر أحد زعمائها (صفاء رسل) المفكر والمحامى الشهير ، أن الجماعة معنية بالإنسان بالدرجة الأولى ، وهى ترى أن السياسة ينبغى أن تكون أداة للدين وليس العكس .

جماعة النور هى الكيان الأكبر فى الساحة الإسلامية وأعضاؤها حوالى مليون شخص ، ويطلق عليهم وصف النورسيين أو النورصيين عند البعض ، ولهم حضور جماهيرى وإعلامى قوى فى تركيا حيث يملكون محطة بث تليفزيونى غير صحيفة يومية باسم (الزمان) ، وعدة مجلات أسبوعية أيضاً ، فإن لهم مشروعات اقتصادية ضخمة تمول أنشطة الجماعة التى خرجت من عباءتها عشر جماعات أخرى تستلهم فكر الشيخ النورسى وتنتشر فى أنحاء تركيا .

٢ ـ وهناك الأحزاب السياسية التى تشارك فى العمل العام دون أن تشير إلى هويتها الإسلامية ، ويقع حزب (الرفاه) فى مقدمتها ، ثم حزب (الملة) ، وحزب الوحدة الكبير ذو الميول القومية والاتجاه الإسلامى ، والأحزاب الثلاثة ممثلة فى البرلمان الحالى؛ الأول له ٤٠ عضواً والثانى ممثل بعضوين ، والثالث له سبعة أعضاء .

٣ ـ الطرق الصوفية وقاعدتها ضخمة فى تركيا ولها مشروعاتها الاقتصادية التى تمول أنشطتها حيث تمتلك العديد من الشركات التجارية والصناعية والمدارس والعمارات السكنية ، وأشهرها الطريقة (النقشبندية) التى تهيمن إلى حد كبير على صناعة المنسوجات فى البلاد ، والفرق بين النورسيين والمتصوفة أن النورسيين – كما يقول صفاء رسل – يتناولون الإسلام ككل لا يتجزأ ، ويحاولون تطبيقه على حياة الفرد أولاً ثم المجتمع بعد ذلك ، بينما المتصوفة يركزون على الجوانب الروحية والإيمانية فقط .

٤ ـ وتأتى الأوقاف فتكون التجلى الرابع للحالة الإسلامية ، ويقصد بها فى الخطاب التركى الجمعيات التى تنشأ لأغراض تتعلق بالدفع العام وتعتمد فى ذلك على مجهودات المعنيين وأموالهم فضلاً عن تبرعات أهل الخير الذين يسهمون بزكواتهم فى أنشطتها وهى جمعيات عاملة فى مختلف المجالات الثقافية والعلمية والإنسانية .

هذا الحضور متعدد المستويات أسهم فى استيعاب تطلعات الحالة الإسلامية ، وفى توجيهها إلى الإسلام البناء فى العمل الإصلاحى ومن ثم فى التعبير السلمى للمجتمع الآن ، الأمر الذى أغلق الباب دون احتمالات التوتر وقلص إلى حد كبير مظاهر الشذوذ فى الفكر أو العقل وحول الصراع السياسى إلى تنافس على خدمة الجماهير وكان لذلك مردوده الإيجابى على صحة المجتمع وعافيته .

ولما تولى أربكان رئاسة بلدية قونية عمل على أن يجعلها فى مستوى استنابول العاصمة ، وكان ذلك بالعمل على ضبط الأسعار والنظافة وتحسين الخدمات ، وكان عمله الخطير فى تصفية مشكلة البغاء تدريجياً بطريقة عملية للغاية ، وللعلم فإن المشكلة كانت تؤرق الكثيرين بعدما تفاقمت أخيراً بعد الانهيار السوفيتى ، وفى ظل تدفق الروس بالسيارات والحافلات إلى تركيا حتى أصبحت (الدعارة) هناك

يطلق عليها فى الإعلام مصطلح (ناناشا) وهو أكثر الأسماء شيوعاً للسيدات فى روسيا ، بينما يطلق عليها فى اللغة التركية كلمة (فاحشة) وهى كلمة عربية الأصل .

ولحل المشكلة أعلن أربكان فى قونية أنه سيوفر لكل بغى بيتاً وعملاً شريفاً وزوجاً إن أمكن ، وكانت النتيجة أن ٨٠٪ منهن أقلعن عن ممارسة الرذيلة خلال السنوات الخمس الماضية ، ولم تعد هناك مشكلة دعارة فى قونية .

وكان طبيعياً أن يعاد انتخاب رئيس البلدية لخمس سنوات أخرى هذه المرة وأن ترتفع حصة حزب الرفاه فى البلديات الكبيرة من ٦ إلى ٢٩ ، وفى البلديات الصغيرة من ١٠٠ إلى ٤٠٠ .

ويرجع هذا النصر إلى أن تركيا توفر لها رصيد من الممارسة الديمقراطية النسبية التى ليس لها مثيل فى الجزائر ، الأمر الذى وفر للمجتمع قوة تمثلت فى التقاليد الديمقراطية والأسس السياسية والاجتماعية الراسخة ، والتى لم تعرفها الجزائر التى ظلت منذ الاستقلال تحت هيمنة الحزب الواحد فى حين أن الانتخابات الديمقراطية تمارس فى تركيا منذ أربعين عاماً ؛ فأول انتخابات جرت عام ١٩٥٠ .



حينما تنبثق الصحوة الإسلامية
من رحم القسوة العلمانية

يقول الأستاذ مجدى أحمد حسين :

منذ سنوات بدأ التجرؤ على انتقاد الوضع القائم ، وسيظل يذكر للتيار الإسلامى هذه الشجاعة وفضل السبق فى هذا المجال ، إن هوية الشعوب ليست لعبة ، ولا يمكن إلغاؤها بأوامر عسكرية ، وقد تطور الأمر كالتالى :

١٩٣٨ – ١٩٤١ ـ نشاط سرى لإحياء الفكر الدينى فى نشرات وموضوعات .

١٩٤٥ ـ ظهر نظام التعدد الحزبى وأدركت الأحزاب العلمانية الحاكمة والمعارضة ضرورة إعادة النظر فى مواقعهم من الإسلام ، وأدركوا أن التشدد فى العلمانية قد أصاب الشعب التركى بحالة من الاغتراب إزاء الدولة .

١٩٤٧ ـ أول ثغرة فى نظام أتاتورك العلمانى حيث قبلت وزارة التربية بمبدأ تدريس الدين خارج المدارس .

١٩٤٩ـ البرلمان سمح بالتعليم الدينى فى المدارس بمعدل ساعتين فى الأسبوع فقط وللطلاب الذين يرغب أهلوهم فى ذلك .

١٩٥٠ ـ سقط حزب أتاتورك الجمهورى ، وفاز الحزب الديمقراطى حيث سانده رجال الدين والمدنيون نظراً لموقفه الليبرالى .

ـ رفع الحظر الذى كان مفروضاً على الأذان للصلاة باللغة العربية وترك للمؤذن حرية الاختيار فكان يفضل العربية بالطبع .

ـ رفعت الحكومة الحظر الذى كان مفروضاً على البرامج الدينية فى الإذاعة ، وبدأ ترتيل القرآن على الهواء مرة أخرى .

ـ أصبحت الدروس الدينية فى المدارس إجبارية من الناحية الفعلية .

١٩٥٧ – إضفاء الطابع القانونى على التعليم الدينى فى المدارس الثانوية .

– رئيس الوزراء يتبرع بـ ١٠٠ ألف ليرة لبناء مسجد .

– إضفاء الصبغة الرسمية على مدارس تدريب الأئمة والوعاظ الدينيين .

– رئيس الوزراء يعلن أنه تم بناء ١٥٠٠ مسجد وترميم ٦٨ مسجداً خلال السنوات السبع الماضية .

١٩٥٩ – افتتاح مدارس الأئمة والمعهد العالى الإسلامى .

وفى الستينيات : الحكومة التركية تلجأ للفتاوى الدينية لتدعيم وتبرير سياساتها الداخلية والخارجية ، ونمو الاتحادات التجارية والحرفية ذات الميول الدينية ، والمدارس القرآنية ، مع تعاظم المد الإسلامى بين المعلمين .

١٩٧٠ – إنشاء حزب النظام الوطنى (الإسلامى) بزعامة نجم الدين أربكان، وهكذا تواصل العد العكسى وتساقطت أوراق العلمانية كأوراق الأشجار فى الخريف، وعاد مبدأ توفير النقد الأجنبى لأداء فريضة الحج ، وأعيد فتح مزارات الأولياء المسلمين .

ويصف الغربيون بحسرة الموقف على جبهة التعليم العالى بقولهم : (تمكن الإسلاميون من نسف القطاع التربوى فى تركيا كدعامة للكمالية ، وقد تحول الآن إلى أرض خصبة لنشر أفكارهم) .

(تركيا – والشرق الأوسط – فيليب روبنس) .

وفى عام ١٩٩٠ زادت مخصصات مصلحة الشئون الدينية التى تشرف على الجوامع بنسبة ٢٣٧٪ وهى ميزانية تتجاوز ميزانية تسع وزارات بما فى ذلك الداخلية والتجارة والصناعة .

وسمحت الدولة بتأسيس نظام مدرسى قانونى مواز ، وبموجبه أنشئت مدارس مهنية للأئمة ، وهى تخرج ٥٠ ألف طالب فى السنة أو ما يساوى ١٣٪ من خريجى الثانوى .

وهؤلاء تفوق أعدادهم حاجات الجوامع (٦٠ ألف جامع) ولذا فإن كثيرين منهم يتابعون الدراسة فى الجامعات ، وعادت الدولة إلى موقف التساهل تجاه الطرق

الصوفية ، وارتفع عدد الحجاج حتى وصل إلى ١٠٨ ألف تركى عام ١٩٨٧ .

ويقول الباحث الغربى فيليب روبنس : إن العلمانية فى تركيا تتراجع أمام المد الإسلامى ، العملية تسير بثبات لا بسرعة ، وفى الثمانينيات جرت تسوية عملية بين القطاعين الدينى والعلمانى ولو أنها تتدرج ببطء لمصلحة القطاع الدينى .

ويقول مجدى أحمد حسين : إن العالم العربى والإسلامى يشهد ظاهرة واحدة متصلة لاستعادة الهوية والعقيدة الإسلامية فى القلب منها ، وعلى الحكام الأذكياء ألا يرهقوا الأمة بصراعات وهمية بلا طائل ، وبينما تسعى تركيا لجعل الحركة الإسلامية فى الإطار الكامل للعملية الديمقراطية مازال بعض الحكام يتصورون أن بإمكانهم تصفية الحركة الإسلامية .

وهكذا كتب علينا أن نعانى من الاستنزاف الداخلى لفترة قادمة ، وألا يولد النصر الإسلامى إلا من رحم الألم والعذاب والنزيف ، تحاول تركيا أن تستشرف مسارات المستقبل ولكن من المؤكد أن الصحوة الإسلامية اكتمل جنينها إلى حد كبير وستولد من رحم أقسى نظام علمانى عرفه العالم الإسلامى [١٤ يونيو١٩٩٤] .

★ ★ ★

فتح استانبول

احتفل بذكرى مرور ٥٤١ عاماً على فتح استانبول على يد السلطان محمد الفاتح ، حيث احتشد قرابة ٦٠ ألفاً من مواطنى تركيا للاحتفال بالذكرى التاريخية، والذى عد فتحاً جديداً لاستانبول على أثر فوز حزب الرفاه فى الانتخابات العامة .

جسد هذا الاحتفال نقطة التحول التى وصلت إليها تركيا ، حيث تبلور المد الإسلامى كجنين فى رحم أعتى نظام علمانى شهده العالم الإسلامى .

وقد تعامل حزب الرفاه منذ إنشائه ١٩٧٠ بيقظة ووعى شديدين إزاء الواقع الفكرى الذى تأصلت فيه علمانية شديدة على يد كمال أتاتورك ، وهو يخدمه الأسلوب التدريجى الذى طرحه ويضع أولوياته بصورة صحيحة حيث يركز على المشكلات الكبرى للمجتمع ولا ينجر ولا يجر نفسه إلى معارك فرعية حول الممارسات الاجتماعية المتأثرة بالأخلاقيات الأوربية ، وهو يركز اهتمامه أساساً على

الربا والبنوك الربوية ، ويشرح كيفية امتصاصها لدماء الشعب ، ولا يدخل فى معارك من أجل منع الخمور أو إغلاق بيوت الدعارة .

وهكذا فإن حزب الرفاه ذا التوجه الإسلامى يسير بخطى وئيدة ومحسوبة ، ويتحسس مواقع أقدامه .

وقد كانت ذكرى فتح استانبول فرصة طيبة لتصحيح تاريخ هذا الفتح العظيم حيث يقول محمد القدوسى : إن هناك حقيقتين تنكشف اليوم :

الأولى : إن القسطنطينية هى التى دعت الفاتح لحمايتها وأن الفتح لم يكن احتلالاً .

الثانية : إن غزوات العثمانيين لشرق أوربا استهدفت إيقاف الحملات الصليبية.

لقد دخل السلطان القسطنطينية مؤمّناً أهلها وقساوستها ومكرماً كل من أبدى بطولة فى التصدى له ومحاربته بشجاعة ولم يتغير من معالم المدينة إلا تحويل كنيسة أيا صوفيا إلى مسجد ؛ لأنها – كما يقول إحسان ثريا المؤرخ – لم تكن مجرد كنيسة بل كانت مركزاً للدولة ورمزاً لها وكان لابد من فتحها . وقد دحض كوبانسكى الأكاذيب التى أذاعها اليهود فى كتاباتهم فقال :

« إن العثمانيين احتلوا القسطنطينية » وهى مقالة مغرضة تشوه تاريخ هذه المدينة الجميلة (إسطنبول) التى حاول الكثيرون غزوها ولم ينجح فى فتحها والحفاظ عليها إلا المسلمون ، إنهم لم يهدموا المدينة ولم ينكلوا بأهلها مثلما فعل الإمبراطور فردريك الثانى ، الذى ذبح أهل صقلية بعد أن أعطاهم الأمان فسلموا له جزيرتهم .

وأوضح كوبانسكى بعداً تاريخياً جديداً بقوله : إن السلطان الفاتح لم يحتل المدينة بل تمت دعوته إلى أوربا ، ومن قبل حافظ الغازى (أورخان) جد الفاتح وابن عثمان مؤسس الدولة على القسطنطينية ضد ميول الصرب التوسعية ، وذلك عندما دعاه إمبراطورها للدفاع عنها والحفاظ عليها ، وأضاف : لا بد من الدخول فى صلب القضية حتى نفهم معنى التاريخ الحقيقى ، إن فتح القسطنطينية لم يكن احتلالاً ، وإنما كان عملية تستهدف قطع الطريق أمام الاعتداءات المتكررة على المدينة .

لقد سبق أن دمر الصليبيون القسطنطينية وسلبوا الذهب الموجود فيها ، ودمروا كنائسها ، وكذلك فعل الفينيقيون والسلافيون ، واليوم عندما تصلون إلى مسجد (أيا صوفيا) تلاحظون آثار التخريب الباقية على حجارة المسجد .

وتحدث كوبانسكى حول التوسع الإسلامى فى أوربا الشرقية بواسطة العثمانيين باعتباره رداً على الحملات الصليبية المنتظمة ضد الإسلام .

وقال : إن غزو العثمانيين لشرق أوربا كان حرباً دفاعية استهدفت إيقاف الحملات الصليبية التى تواصلت عدة قرون ، وكان إيقافها واجباً على السلطان العثمانى ، باعتباره خليفة المسلمين .

حاشية :

حول الشهيد عدنان مندريس ودوره الإسلامى فى خلال السنوات العشر (١٩٥٠ ـ ١٩٦٠) : ظل حزب الشعب الجمهورى الذى أسسه كمال أتاتورك قابضاً على السلطة فى تركيا كحزب مهيمن منذ ألغى أتاتورك الخلافة فى العشرينيات ، وعندما أجريت انتخابات ١٩٤٦ قامت حكومة حزب الشعب بتزويرها بصورة مكشوفة ، ومن ثم فإنها فازت بأغلبية مصطنعة ، ولكن الحدث لم يمر بسهولة فاستمر الضغط حتى أصبحت صورة الحكومة تدعو إلى الرثاء باعتبار أن الجميع اعتبروها حكومة غير شرعية جاءت عبر انتخابات سيئة السمعة .

وتواصل ضغط الرأى العام حتى اضطر عصمت أينونو زعيم حزب الشعب إلى إجراء انتخابات جرت عام ١٩٥٠ كرد فعل على ما حدث قبل أربع سنوات ، فإن الحكومة اضطرت إلى توفير بعض الضمانات أمام الجماهير ، فأجريت الانتخابات تحت رقابة القضاء ومن خلال التصويت السرى هزم حزب الشعب الكمالى وفاز الحزب الديمقراطى بقيادة عدنان مندريس إلى رئاسة الحكومة واستمر حكم الحزب عشر سنوات ، حاول خلالها أن يرد للشعب التركى هويته التى هزمتها التجربة الكمالية ، فألحقتها قسراً بالغرب وباسم العلمانية حيث سعت حثيثاً إلى قطع صلتها بالإسلام حتى على مستوى العقيدة والشعائر .

وبدأ عهد مندريس بالعودة لروح الإسلام الحقيقية للشعب التركى الذى دخل التاريخ من باب إعلاء شأن الإسلام والذود عن حياضه ، وكان ذلك التوجه ثمرة طبيعية

للانتخابات الديمقراطية التى جرت ، حيث أدى التصويت الحر إلى بروز الخيار الحقيقى للجماهير ، ومن ثم إلى ظهور قيادات خارجة من رحم الأمة ومعبرة عن طموحها وأشواقها ، وعاد للإسلام مكانه فى المجتمع التركى خلال تلك السنوات العشر ١٩٥٠ / ١٩٦٠ ، وعبر ذلك الحضور عن نفسه بمؤشرات متواضعة نسبياً قبل العودة إلى رفع الأذان باللغة العربية وترميم الكثير من المساجد المهجورة ، وفتح كلية الإلهيات وظهور مدارس تحفيظ القرآن وتخريج الأئمة .

هذه الصورة استفزت الرموز العلمانية فى حزب الشعب وأثارت غيظها ، فدأبت الصحافة بالتشهير بحكومة عدنان مندريس واتهامه بالرجعية وخيانة الكماليين وتهديد الديمقراطية .

كل هذا أثار قوى الجيش التى قامت بانقلابهم عام ١٩٦٠ ، والذى وصف بالدفاع عن الديمقراطية ، وحوكم عدنان مندريس رئيس الوزراء ورفاقه بتهمة الخيانة ، وقضت المحكمة العسكرية بإعدام ثلاثة من قيادى الحزب كان مندريس فى مقدمتهم فكان شهيد الإسلام .



الباب السابع

تجـربـة الجـزائـر

واجهت الجزائر أخطر تجربة فى سبيل العودة إلى الإسلام والتحرر من النفوذ الأجنبى ، والفرنسى أساساً فقد امتد الاحتلال من ١٨٣٠ إلى ١٩٦٢ عانى خلالها حرباً شعواء ضد الإسلام واللغة العربية لمحو الشخصية الإسلامية وفرنسة الجزائر ودمجه فى فرنسا حتى إنه سجل فى الدستور الفرنسى فى فترة من الزمان أن الجزائر هى فرنسا الجنوبية ، واستطاعت الجزائر عن طريق تشكيل جمعية العلماء الجزائريين ١٩٣١ - ١٩٤٥ بقيادة الشيخ عبد الحميد بن باديس العمل على حماية الإسلام واللغة العربية وإنشاء ثلاثمائة مدرسة فى المساجد حيث عمل ابن باديس وزملاؤه ؛ البشير الإبراهيمى والطيب العقبى وغيرهم .

وقد ركز الفرنسيون جهودهم بعد الاحتلال على بعثرة التراث وتحطيم المدارس وتحويل المساجد إلى كنائس واضطهاد العلماء وتمزيق وحدتهم ومحاولة إحياء اللغة البربرية .

وكان لعودة أبناء الجزائر من مكة المكرمة بعد أن تأثروا بالفكر السلفى أثراً فى العودة إلى منابع الإسلام .

وفى إبان احتفال فرنسا بمرور مائة سنة على احتلال الجزائر ١٩٣٠ كان صوت عبد الحميد بن باديس يجلجل بأن الجزائر إسلامية إسلامية ، وكانت مجلة الشهاب هى المصدر لهذا الفكر الجديد .

★ ★ ★

يقول الأستاذ فهمى هويدى : إن الانتماء الإسلامى لدى الشعب الجزائرى حقيقة راسخة لا سبيل إلى تجاهلها أو إنكارها وقد كانت كثافة جهود الفرنسة والتغريب عاملاً هاماً مساعداً على تكريس هذا الانتماء .

ولم تتوفر للجزائر مؤسسات الثقافة الإسلامية التى تغذى تلك المشاعر وتنضجها

بينما كان التونسيون ينهلون ثقافتهم الإسلامية من (الزيتونة) وكان أهل المغرب يتوافدون على (القيروان) فإن الجزائريين كان عليهم أن ينزحوا لتلقى العلوم فى أى من الجامعتين الكبيرتين .

وأسهمت بدور فى سد الفراغ جمعية العلماء الجزائريين التى أنشأها ١٩٣١ الشيخ عبد الحميد بن باديس الذى درس بالزيتونة ، وصار باعث الحركة الإسلامية فى الجزائر ، وكانت تلك الجمعية تبشر بفكر الشيخين محمد عبده ورشيد رضا (صاحب المنار) ولم يكن محمد عبده غريباً على الجزائر ، وإنما كان له تلاميذه هناك منذ زار تلك البلاد فى أوائل هذا القرن ١٩٠٣ .

ومن رحم جمعية العلماء الجزائريين كانت الجمعية منذ إنشائها إحدى جبهات المقاومة ضد الاستعمار الفرنسى ، ولكن رجال الثورة انقلبوا عليها بعد الاستقلال ، ولما غدت الدولة الجديدة (ديمقراطية شعبية) حظر نشاطها وحوصر العمل الإسلامى ولم يسمح له إلا بمنافذ محدودة وضيقة ، وكان من نتيجة ذلك أن عاد شبح الفراغ الثقافى والإسلامى يطل على البلاد من جديد ، واختفت مراكز الدفاع عن العقيدة الصحيحة ، والفهم الرشيد للدين والتعاليم مما فتح البلاد لمختلف الأفكار التى شاعت فى مجتمعات المسلمين خلال العقود الأخيرة بخيرها وشرها .

ولقد حاولت السلطة الجزائرية الراهنة تدارك الموقف فأنشأت جامعة الأمير عبد القادر الإسلامية فى قسنطينة ، ودعى أشهر دعاة زماننا الشيخ محمد الغزالى ليرأس المجلس العلمى لتلك الجامعة .

ولما أنشئت الجامعة ١٩٨٣ كان تأثيرها لا يزال محدوداً على الساحة الجزائرية ، وكانت هناك أنشطة إسلامية أخرى تباشرها الرابطة الإسلامية بقيادة الشيخ أحمد سحنون ، وجمعية الإرشاد بزعامة الشيخ محفوظ نحناح ، ولكنها ظلت بعيدة عن أن تحقق العمل السياسى الذى احتكرته جبهة التحرير .

وفى ظل هذه الظروف وأثر إعلان الأخذ بالتعددية السياسية برزت (الجبهة الإسلامية للإنقاذ) كحزب سياسى وكمعارضة للنظام ، وكبديل للمستقبل يطرح نفسه فى مواجهة حكم جبهة التحرير ، ولم يكن غريباً ذلك الاندفاع الجماهيرى نحو الالتحاق بها ؛ لأن المشروع الذى تبنته والخطاب الذى أعلنته يلقى هوى وحماساً من جانب عموم الشارع الجزائرى .

قال لى الدكتور عباس مدنى : « إن جبهة الإنقاذ جاءت ثمرة تلاقى جيلين ؛ جيل المجـاهدين أبناء جمعية العلماء (وهو أحدهم) وجيل الصحوة الإسلامية الراهنة » وهو توصيف دقيق إلى حد كبير ؛ لأن الجبهة تتحدث بلسانين فى واقع الأمر وليس بلسان واحد .

فالدكتور مدنى يقدم – فيما يعلن – رؤية متوازنة يمكن قبولها كخطاب سياسى ناضج ، لكن ثمة لساناً آخر للجبهة – من إفرازات جيل الضعف – يخاطب الجماهير بلغة أخرى شديدة اللهجة بل مهيجة وتحريضية وأهم من ذلك وأخطر أنه خطاب يعبر عن رؤية إسلامية شائهة ومنقوصة ، تدور فى فلك أطروحات الجماعات المنسوبة إلى السلفية التى نعرفها .

أهم رموز ذلك اللسان الثانى شاب عمره ٣٣ عاماً ، اسمه الشيخ على بن الحاج ، يخطب الجمعة كل أسبوع فى مسجد بحى (باب الواد) الشعبى فى قلب مدينة الجزائر القديمة .

ورغم أن حزب جبهة الإنقاذ هو الأبرز فى ساحة العمل السياسى فإنه ليس الأوحد (بالإشارة إلى جمعيتى الرابطة الإسلامية والإرشاد) وتأثيرهما على جمهور الشارع الجزائرى لا ينكر خصوصاً إن أكثر خطباء المساجد ينتمون إليهما .

وهكذا بعد ربع قرن من الزمان منذ استقلال الجزائر وبعد التحرر من الاحتلال الفرنسى ، أثمرت الدعوة الإسلامية التى حمل لوائها عبد الحميد بن باديس انتفاضة جديدة تمثل الجبهة الإسلامية للإنقاذ ، لتكشف عن الوجه الصحيح للتيار الإسلامى ، بعيداً عن مفاهيم العلمانية والاشتراكية التى لم تستطع أن تحقق للجزائريين مطمحهم فى إقامة المجتمع الإسلامى الأصيل بعيداً عن مفاهيم الغرب وفرنسا بالذات وروسيا الماركسية حيث ظهرت هذه القوى الإسلامية المختلفة .

فقد ظهرت الأحزاب ذات التوجه الإسلامى وعددها أكثر من عشرة ، وبعضها صريح فى برنامجه الإسلامى ، والبعض الآخر واضح فى منطلقه الإسلامى وهى تحمل أسماء :

الجبهة الإسلامية للإنقاذ ، حزب التجديد الجزائرى ، حزب الأمة ، الحركة من أجل الديمقراطية ، الحركة من أجل الاجتهاد ، الجبهة الوطنية للتجديد .

أما جبهة الإنقاذ فرئيسها واحد من المجاهدين القدامى ، أصبح اسمه يتردد كثيراً في وسـائل الإعلام ، هو الدكتور عباس مدنى ، أستاذ علم الاجتماع بالجامعة .

ويقول الأستاذ فهمى هويدى :

« إن هذا التعـدد الملحوظ فى الأحـزاب والجـمعيات الإسـلاميـة لا غـرابة فيـه فالذين يعرفون الجزائر جيداً يدركون لم هو راسخ ومتغلغل فى الأعماق ذلك الحس الإسلامى ، ورغم أن الثورة التى خرجت من وعاء الإسلام وقاعدته كانت فى بدئها جهاداً فى سبيل الله ، انتهت بديمقراطية شعبية ، فإن صوت المغنى الجزائرى انطلق يجلجل بعد الاستقلال [يامحمد مبروك عليك .. الجزائر رجعت إليك] » .

ولابد من أن تكتمل الصورة فى ثلاثة أحداث أساسية :

أولاً : تأسيس ٢١ حزباً رسمياً فى البلاد عام ١٩٨٩ شارك منها ١١ حزباً فى الانتخابات ، وقد تأسست تلك الأحزاب من الصفـر عام ١٩٨٩ وصـارت مدعـوة لخوض معركة انتخابية والاحتكام إلى الشارع فى منتصف عام ١٩٩٠ .

ثانياً : كان الانفجار الشعبى الكبير الذى حدث فى أكتوبر ١٩٨٨ تعبيراً عن الاحتجاج والسخط إلى ما آلت إليه حال البلاد فى ظل حكم جبهة التحرير الوطنى.

أما الجبهة الإسلامية للإنقاذ فكانت الأقرب إلى الشارع ، فخطابها يلقى تأييداً واسعاً بحكم انطلاقه من القاعدة الإسلامية التى تتوافق مع الحس الإسلامى العميق لدى الجزائريين .

وفى هذه الأجـواء جرت الانتخـابات ، وجـاءت النتيجـة التى يعرفها الجميع (٥٥ ٪) لجبهة الإنقاذ الإسلامية و (٣١ ٪) لجبهة التحرير .

وقد أثبتت التجربة أن الظاهرة الإسلامية غدت حقيقة سياسية لا يمكن تجاهلها بأى معيار وإنما يجب التعامل معها على قاعدة الحوار وليس على قاعدة الإنكار أو المواجهة .

هذا هو المدخل لتجربة الجزائر ، غير أنه لابد من تقديم الصورة وقد ظهر فيها الدكتور : عباس مدنى ، على بلحاج ، أحمد سحنون ، محفوظ نحناح .



كانت الجزائر منذ بداية هذا القرن وقبل ذلك يبحث عن هوية وبذلت فرنسا كل ما فى وسعها لجعل تلك الهوية (فرنسية) وبالتالى فقد كان الهدف هو اقتلاع الشعب ثقافياً ، وقد كانت أولى المعارك ضد الاحتلال الفرنسى انطلاقاً من الإسلام والعروبة ، ويشهد بذلك مقاومة الأمير عبد القادر الجزائرى ، ثم الحركة الثقافية لابن باديس والإبراهيمى الفقيهين اللذين أسسا فى ١٩٢٤ - ١٩٢٥ جمعية العلماء المسلمين التى أصدرت مجلة الشهاب ، وفى مجلة الشهاب (عام ١٩٣٦) كتب الإمام بن باديس يقول : « إننا نرى أن الوطن الجزائرى موجود وتكون مثله مثل باقى الأمم الأخرى ، وما يزال حياً ، ولهذا الوطن تاريخ مشرق ووحدة دينية ولغوية ، وله أيضاً ثقافته وتقاليده ككل الأوطان الأخرى .

وهذا الوطن الجزائرى ليس فرنسياً ولا يرغب فى أن يصبح فرنسيًّا ، ومن المستحيل أن يصبح فرنسياً حتى ولو منحت الجنسية الفرنسية لكل المواطنين الجزائريين » .

وفشلت سياسة الإدماج التى قامت بها فرنسا وقد سعت ١٣٠ سنة من الاستعمار لاستبعاد هذا الانتماء وقد ظهر وقتئذ سياسيون ومثقفون صادقون اعتقدوا عن حسن نية أنهم سيجدون فى فرنسا وفى الحضارة الغربية ارتباطاً بهويتهم ، ولكن الحركة الوطنية الجزائرية كانت إسلامية ، وربطت علاقات وثيقة مع الحركة السلفية المغربية .

وغداة الاستقلال كانت الأيديولوجيا التى يتم اختيارها من طرف الزعماء الجدد، وعلى رأسهم أحمد بن بلة : إشتراكية شعبية قائمة على التسيير الذاتى ووطنية متشددة مثلت محاولة لترسيخ شخصية وطنية جزائرية ، وربما يكمن هنا سبب من الأسباب لحرب الرمال التى جرت بين المغاربة والجزائريين .

ولم يغير وصول هوارى بو مدين إلى السلطة شيئاً كثيراً على المستوى الأيديولوجى ، إلا ما كان من الانتقال من شعبية معتمدة على التسيير الذاتى إلى أخرى سميت رأسمالية الدولة (دستور ١٩٧٦) ، وكانت الهوية الجزائرية حسب

فكر بومدين تجد رسوخها فى محور مزدوج (الاشتراكية والوطنية) ، إلا أن هذه الشرعية وهذا الارتباط بالاشتراكية ، وحتى بشرعية ثورية ، لم تجب على الأسئلة العميقة التى تطرحها جماهير عريضة من الجزائريين لأنهما يحافظان على استلاب أساسى تجاه المستعمر القديم الذى يرفض ويمارس نوعاً من الإغراء فى ذلك الوقت .

أما الإسلاميون فهم لم يكفوا عن التأكيد على ضرورة العودة إلى المنابع ، أى الإسلام واللغة العربية ، ويؤكد الاتجاه الإسلامى على أنه من الضرورى استرجاع شخصيتنا ؛ لأن استقلالنا لا معنى له إذا لم تستقل هذه الشخصية ، كما لم يكف هذا الاتجاه على التأكيد على الدور المركزى للغة العربية ، سواء قبل أو بعد الاستقلال .

يقول أحد الباحثين :

إن الثورة الجزائرية التى جاءت لنا بالاستقلال قد شرخت أو انتكست من أول أيام الاستقلال ، ذلك أن أبطال الاستقلال الحقيقيين قد حيل بينهم وبين حكم الجزائر بل لقد حيل بينهم وبين أن تعرف حتى أسمائهم ، إن أبطال تحرير الجزائر واستقلالها ليسوا أحمد بن بلا ولا محمد بو خروبة (الذى عرف باسم هوارى بومدين) ولا تلك الأسماء التى ذاعت لفترة من الزمن ، بعضها ماركسى ، وبعضها شعوبى ، ثم أكل بعضها بعضاً على طريقة ثوار هذا الزمان .

إن الأبطال الحقيقيين لثورة الجزائر الذين قادوها واكتووا بنارها وحكم عليهم بالإعدام فاتخذوا قاعدة جهادهم خارج الجزائر هم : أعضاء جمعية علماء الجزائر ؛ (البشير الإبراهيمى ، والفضيل الورتلانى ، ومحمد سعيد ، وتوفيق المدنى ، وفرحات عباس وغيرهم) ، أما الفضيل الذى اضطلع فى المشرق العربى بحمل عبء الجهاد عن بلده ، فلقد مات فقيراً غريباً ودفن فى مقابر الصدقة فى أنقرة بتركيا ، أما البشير الإبراهيمى فما إن وطئت قدماه أرض الجزائر بعد الاستقلال حتى فوجىء بأن الحكام الذين اغتصبوا الحكم ليسوا إلا ماركسيين صادروا الأراضى والدور ، وجثموا فوق صدر الشعب المجاهد الجريح ، فلما استنكر الشيخ هذا الانحراف أودعوه السجن مع أنه صاحب الثورة وزعيمها ، فلما أحس الحكام غضبة الشعب لزعيمه أفرجوا عن الشيخ وحددوا إقامته فى داره فأصابته الأمراض .

وأراد حاكم الجزائر بن بلا أن يزور الشيخ فى بيته وهو فى النزع الأخير فرفض الشيخ السماح له بمقابلته وقال كلمة مشهورة تَسِمُ الحاكم وبطانته بالخيانة .

وكان هذا موقفهم من مالك بن نبى ، كما روى لى الدكتور محمود دياب ولم يكن غريباً والحال هذا أن ينتشر الفساد وتشيع الرشوة ، وتفشو السرقة فيعم الفقر البلاد والعباد بالرغم من خيرات البلاد ، وتجمد هذا الدَّيْن الذى قارب الثلاثين ألف مليون .

وقد أعلن حاكم الجزائر السابق أن هذه المليارات قد استحلها حكام الجزائر ومحرروا أرضه ، إذن لم يكن غريباً أن يصوتوا لإكرام شعار (جبهة الإنقاذ الإسلامى) .

ولا ريب أن هذا الذى حدث فى الجزائر قد حدث فى مواقع كثيرة .

يقول طاهر بن جلون المؤرخ المغربى :

لم تحقق الاشتراكية التى طبقها هوارى بومدين عقب الاستقلال مباشرة أى حل للمشكلات التى يعانى منها الناس فى حياتهم اليومية .

لقد بدت الحركة الإسلامية فى الجزائر التى تمثلها جمعية الإنقاذ الإسلامية كرد فعل للأمراض الاجتماعية والسياسية الكامنة فى أعماق التاريخ الجزائرى ، وليس هناك شىء مشترك بينها وبين الحركة الدينية فى المغرب ، فهم لا يسعون إلى انتقاد الحكومة وتذكيرها بواجبها ، وإنما يهدفون إلى تطهير السلوك السياسى والاجتماعى داخل المجتمع الجزائرى .

هامش :

قال بو مدين : إن انتشار زراعة كروم العنب فى الجزائر فى عهد الاستعمار كانت الغاية منه تستهدف سد حاجات فرنسا من الخمور التى كانت تفتقر إليها فى ذلك الوقت ، وبعد أن استقلت الجزائر أخذت فرنسا ترفض شراء الخمور الجزائرية .



التصور الإسلامى لجبهة الإنقاذ الإسلامية

يقول دكتور عباس مدنى فى برنامج جبهة الإنقاذ الإسلامية :

إذا كانت الدعوة الإسلامية قد أخذت على عاتقها مسئولية توجيه الشعب الجزائرى والسير به نحو المنهج القويم ، والصراط المستقيم المانعين من المخاطر والضامنين للنجاة ، والمحققين للمراد من الصحوة الإسلامية التى ما فتئت تشكل معقد آمال الأمة ، ولئن كانت الدعوة الإسلامية محاصرة بالضغوط المعادية للإسلام وللشعب الجزائرى فى الداخل والخارج فإن الدعوة كانت دوماً تشع على العقول بأنوار الهداية ، وتنعش الضمائر بالغذاء الروحى الذى تذخر به أخلاق القرآن والسنة وتشحذ الإرادة الخيرة للأمة بالطاقة الإيمانية الفعالة مما جعل الشعب الجزائرى يقوى على مواجهة النوائب ومصارعة الاستعمار الحديث كما قوى بالأمس على سابقة الاستعمار القديم ، وبعد أن جربت مختلف الأيديولوجيات الحديثة الشرقية منها والغربية وثبت إفلاسهما بما لا شك فيه لم يبق للشعب الجزائرى إلا أن يجد فى العمل بدينه القويم لإنقاذ مكاسبه التاريخية الرسالية الحضارية وثرواته البشرية والطبيعية دون أن يضيع الوقت الذى أصبح يشكل أهم العوامل فى نجاح الخطة الإصلاحية الشاملة ولتحقيق ذلك لا بد من هيئة تستوعب كل المطالب والحاجات التى تكون فى مستوى مستجدات الأزمة وتوظيف كل أو جل الإمكانات والطاقات كى تنبرى الحلول على قدر مطالب النهضة الشاملة والصحوة الحقة وتوفر لها إذكاء عبقرية الجيل وذكاءه وإنماء خيراته واستقامة مسلكيته كى يكون فى مستوى الجهد الرسالى والعمل الجاد المبدع فى مختلف مجالات الحياة وميادين الحضارة ، من أجل ذلك كان ميلاد الجبهة الإسلامية للإنقاذ إرهاصة تاريخية تساعد على ظهور نفسية الشعب الجزائرى المفعمة بالإيمان ، التائقة إلى عزة الإسلام وعدل شريعته ، وهدى القرآن والسنة ، وقيم أخلاقه والتأسى برسوله صلى الله عليه وآله وسلم ، وأجيال الصحابة والتابعين لمواصلة الرسالة .



وللجبهة الإسلامية مواصفات يمكن بيانها فيما يلى :

أولاً : أنها تعمل على وحدة الصف الإسلامى وتحافظ على وحدة الأمه لقوله

تعالى : ﴿ **إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون** ﴾ [الأنبياء : ٩] ، ولقوله ﷺ : « **المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً** » رواه البخارى .

ثانياً : تقديم بديل شامل لجميع المعضلات الأيديولوجية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية فى نطاق الإسلام كما جاء فى القرآن والسنة ، مع مراعاة الشروط الاجتماعية والطبيعية محددة فى الزمان بكل أبعاده النفسية والحضارية ، قال تعالى : ﴿ **إن الدين عند الله الإسلام** ﴾ [آل عمران : ١٨] .

﴿ **ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين** ﴾ [آل عمران : ٨٥] .

ولقوله تعالى : ﴿ **إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم** ﴾ [الإسراء : ٩] .

وقوله تعالى : ﴿ **اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا** ﴾ [المائدة : ٣] .

ولقوله ﷺ : « **تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدى : كتاب الله وسنتى** » .

ثالثاً : من خصائص منهجيتها : الاعتدال والوسطية والشمول ، لقوله تعالى :

﴿ **وكذلك جعلناكم أمة وسطاً** ﴾ [البقرة : ١٤٣] .

وقوله عليه الصلاة والسلام : « **يَسِّروا ولا تُعسِّروا وبَشِّروا ولا تُنفِّروا وتطاوعوا ولا تختلفوا** »

رابعاً : ومن ميراث طريقتها الاعتدال فى الجمع بين المطالبة والمغالبة دون إفراط أو تفريط ، لقوله سبحانه وتعالى : ﴿ **ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض** ﴾ [البقرة : ٢٥١] .

ولقوله صلى الله عليه وسلم : « **لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم** » .

وتستعمل المطالبة لإقامة الحجة لقوله تعالى :﴿ **وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً** ﴾ [الإسراء : ١٥] .

وقوله تعالى : ﴿ **وما كان الله ليضل قوماً بعد إذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون** ﴾ [التوبة : ١١٥] .

كما تستخدم المغالبة لضمان مصالح الأمة والحفاظ على ثوابتها وصيانة مكاسبها ، لقول عمر بن الخطاب رضى الله عنه : « متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً » .

خامساً : ومن طرقها العملية : العمل الاجتماعى الذى يقوم وجوده على توظيف الجهد الكلى للإرادة الكلية للأمة مما يجعلها تتخلص من النزعة الفردية والطفرية الارتجالية ، وورطة المحسوبية والوقوع فى الأغراض الشخصية ونبذ الاتكالية ، بقوله تعالى : ﴿ **وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان** ﴾ . [المائدة : ٢]

ولقوله تعالى : ﴿ **ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون** ﴾ [آل عمران : ١٠٤] .

سادساً : ومن مهامها تشجيع روح المبادرة وتوظيف الذكاء والعبقرية وجمع الإرادات الخيرة فى البناء السياسى والاقتصادى والاجتماعى والثقافى والحضارى .

سابعاً : ومن خصائصها الإنقاذ الرسالى التاريخى الحضارى الشامل أسوة برسول الله صلى الله عليه وسلم منقذ البشرية لقوله تعالى : ﴿ **وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها** ﴾ [آل عمران : ١٠٣] .

ولتحقيق ذلك تحدد الجبهة خطتها فى مشروع شامل مختصر ومركز (البرنامج السياسى) فى محاور تضعها الجبهة الإسلامية للإنقاذ بين يدى الأمة ليتم أمر التغيير الشامل فى نطاق الحل الإسلامى ، وإن من أهم خصائص العمل الإسلامى الهادف: الجدية ، فهو منضبط شرعاً وعقلاً ومصلحة وواقعاً مراعاة للفطرة البشرية التى يتعامل معها وحتى لا تقع فى الضلال والزيغ أو الشطط فى الإفراط والتفريط ، عولجت المحاور الرئيسية للعمل السياسى للجبهة الإسلامية للإنقاذ على أساس الضوابط الآتية :

١ ـ الالتزام بالمشروع الإسلامى ومنهجه فى العدل والكفاية والشمول حتى يتسنى لنا معالجة جميع القضايا المطروحة وعلى اختلاف أهميتها لقوله تعالى :

﴿ **ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون** ﴾ [الجاثية : ١٨] .

٢ ـ توظيف العلم ومعارفه واستخدام منهجيته فى ضبط المسائل وتحديد المشكلات وتحليلها وكشف الحلول لها وطرق إنجازها واستخدام التقنيات وفنياتها لتتوفر لدى المحاور شروط الخبرة والكفاءه من حيث هى شروط لازمة لكل عمل قويم صالح هادف وكل هذا تحقيقاً لقوله تعالى : ﴿ **ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيراً كثيراً** ﴾ [البقرة : ٢٦٩] .

٣ ـ ضرورة إعادة الاعتبار إلى الشعب الجزائرى المسلم التائق للمعالى الراغب فى الخروج من ورطة الاستعمار للتخلص من التخلف بكل أشكاله بفضل إيمانه وقوة قناعته بإسلامه وثقته فى ربه عز وجل ، ذلك الذى يساعد على القفز خارج دائرة التبعية وأشكال الاستعمار الحديثة ، فلا تكون المحاور إلا مجالات لإرادته ومهداً لعبقريته ومحكاً لتجربته واستمراراً لرسالته .

وحتى لا تثبط عزيمته ينبغى أن تنضبط المراحل ضبطاً منهجياً مراعياً نفسية الشعب كى يستعيد ثقته بنفسه فى أشواط تاريخية تحدد مراحلها حسب شروط أو حيثيات القدرة والواقعية والفاعلية ، وباختصار : إننا ننطلق بعون الله وحده من احترام مشاعر شعبنا وطموحاته .

٤ ـ حفاظاً على مشروعنا السياسى من أن يبقى حبراً على ورق لا بد من استحضار الشروط المنهجية لتطبيق النماذج أو البدائل والحلول باعتبارها خطة عملية سياسية تبقى حافزاً لعمل الجبهة الإسلامية للإنقاذ باعتباره عملاً سياسياً واعياً وجهداً للإرادة الكلية للشعب الجزائرى عبر أجياله إلى أن يتحقق المراد بعون الله وتوفيقه .

★ ★ ★

وإذا كانت الأزمة التى تجتاح العالم وتهز الحضارة الغربية من أقوى الأدلة على القصور الأيديولوجى الذى آلت إليه النظم والأمم ، فإن الإسلام هو النطاق العقائدى الأقوم للمشروع السياسى الذى يقوم على مواجهة الأزمة لقوله تعالى : ﴿ **ومن أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله وهو محسن** ﴾ [النساء : ١٢٥] .

وقوله تعالى : ﴿ **وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك** ﴾ [المائدة : ٤٩] .

والسياسة فى مفهوم الجبهة الإسلامية للإنقاذ هى السياسة الشرعية التى تتمثل فى حكمة التدبير وجودة التنسيق وإحكام التوقع ومرونة الحوار للوصول إلى الحق

والحقيقة وعدم الإلزام واعتدال المواقف بمنهج الصدق لأنها تقوم على الإقناع بدلاً من القهر وتتبنى بالاختيار دون الإجبار وتلتزم بالشورى تفادياً للاستبداد .

ولتجاوز تناقضات سياسة الأيديولوجيات المستوردة يعمل البرنامج السياسى للجبهة الإسلامية للإنقاذ على تحقيق ما يلى :

١ ـ القضاء على الاستبداد بتبنى الشورى ولإزالة الاحتكار السياسى والاقتصادى والاجتماعى بتبنى المساواة ومبدأ تكافؤ الفرص السياسية والاقتصادية والاجتماعية ولتفادى قمع الحريات العامة تعمل الجبهة على إفساح مجالها للعبقرية والإرادة الكلية للأمة ولتحقيق ذلك يصير لزاماً أو مطلوباً من الجبهة الإسلامية للإنقاذ العمل على تصحيح النظام السياسى ابتداء من الميادين التالية :

ـ جعل التشريعات السياسية خاضعة لأحكام الشريعة . قال تعالى :

﴿ أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون ﴾
[المائدة : ٥٠] . مع مراعاة مستجدات مرحلة التعددية الحزبية ليساهم كل طرف بحقه فى الإصلاح ابتداء من المجلس الوطنى وسائر المجالس الولائية والبلدية حتى تصبح جميعها قائمة على الشريعة التى يتبناها الشعب الجزائرى المسلم من خلال قناعتها .

★ ★ ★

السياسة الاقتصادية

تقوم السياسة الاقتصادية للجبهة الإسلامية للإنقاذ على مفهوم يكون بمقتضاه ضمان التجاوب بين الحاجات الاستهلاكية الضرورية وشروط الإنتاج والتكامل بين النوعية والكمية ومراعاة نمو الحاجة إليها فى ضوء النمو السكانى والتطور الحضارى والعمل على تحقيق الاستقلال الاقتصادى بالإضافة إلى التوازن بين الصادرات والواردات لحماية البلاد من التضخم والمديونية ووضع حد للتبعية الاقتصادية والسياسية والحضارية .

إن الاستثمار من أهم الوسائل العملية لتطبيق الخطة السياسية الإنمائية الشاملة.

لهذه الأسباب تتلخص الجهود السياسية الاقتصادية فى المحاور التالية :

١ ـ وضع سياسة رشيدة للزراعة .

٢ ـ إعادة النظر فى سياسة التصنيع الحالية .

٣ ـ إعادة النظر فى التجارة وهياكلها .

٤ ـ إعادة النظر فى السياسة المالية والنقدية لضمان استقلال القرار السياسى ، سواء بالداخل أو الخارج .

إن الجبهة الإسلامية للإنقاذ وهى تنطلق من منطلق إسلامى لإنقاذ الإنسان والحضارة تعتبر الاقتصاد عاملاً من عوامل خدمة الإنسان والرقى به إلى مايطمح إليه من سعادة فى الدارين ومكانة وظيفية تاريخية وحضارية .

من هذا المنطلق العقائدى والأيديولوجى الاقتصادى تعالج المحاور التالية فى نموذج اقتصادى إسلامى فى جميع مجالات الحياة كالزراعة والصناعة والتجارة والسياسة المالية والخطة الإنمائية الشاملة .

وتنطلق السياسة الاجتماعية للجبهة الإسلامية للإنقاذ من مبدأ تكريم الإنسان الذى ورد فى قوله تعالى : ﴿ **ولقد كرمنا بنى آدم ...** ﴾ [الإسراء : ٧٠] . وذلك بدءاً بكفالة الحقوق والحريات التى كفلها الشرع الحكيم المحققة لنموذج خير أمة أخرجت للناس بالتساوى لجميع الناس باعتباره النموذج القائم على التكافل الاجتماعى المانع للصراع الطبقى الطائفى ، ومن ثَمَّ فإن السياسة الاجتماعية للجبهة الإسلامية للإنقاذ تتمحور فى العناصر التالية :

١ ـ حق الوجود : من أبعاد التكريم للإنسان أن جعل وجوده نعمة واتخذ مهمته مبرراً لوجوده ، قال تعالى : ﴿ **وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون * ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين** ﴾ [الذاريات : ٥٦ ، ٥٧] .

فبرر الله الوجود بالعبادة ولم يبرره بالكسب الذى اعتبرته النظريات الحديثة ابتداء من مالتوس إلى ماركس عالة على الاقتصاد وطفيلياً فى الكون كما أبرز التكريم فى علاقته بربه أكثر من علاقته بالأكوان التى سخرها له ، قال تعالى : ﴿ **إن أكرمكم عند الله أتقاكم** ﴾ [الحجرات : ١٣] .

وإذا كان الإنسان بحكم التكريم هو محور الكون بفضل فاعليته ، فإن هذه الفعالية ليست بالانفعالية الحيوانية التى لا يتجاوز حدود الاستهلاك ، بل هى فعالية

كونية يتجاوز الحاجات الفردية والجماعية الآنية إلى الأبعاد الحضارية من حيث هو – أى الإنسان – يصير صانعاً للحضارة وليس أبداً عالة عليها .

ولذلك فإن ما رفع من شعارات لتحديد النسل ما هو إلا مس بكرامة الإنسان وهدر لقيمته واستلاب لاستحقاقه للمكانة الأولية فى الكون لقوله تعالى : ﴿ **ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم** ﴾ [الأنعام : ١٥١] . على أن الأمة مطالبة بكفالة الرعاية والعناية لجميع المواليد بالتساوى فى حظوظها ويعد الحرمان من ذلك مساً بقيمة الوجود .

أهمية حماية الأمة من الغزو الثقافى والقهر الحضارى ، مما يجعل الأمة على أتم استعداد للنهضة بثقافتها الإسلامية وخاصة فيما يتعلق بـ :

أولاً : الدين وشريعته . **ثانياً** : الأخلاق الإسلامية وقيمها .

ثالثاً : الفكر الإسلامى وعبقريته .

رابعاً : حرية المبادرة الذكية العلمية والشرعية وإشراقاتها .

وهى ثقافة تكامل فيها العقل مع الشرع والخلق مع الفن والعلم فقط ، وتطبيق أنها ثقافة خير أمة وإرهاصة تاريخها وخلاصة تجربتها وقيمة فعاليتها .

وخلاصة القول فإن هذه المقاصد النفسية والتاريخية والحضارية يتحقق بضمان الشروط التالية :

١ ـ ضرورة مراعاة نفسية الأمة من حيث هى أمة ذات استحقاق لحياة العزة ، حياة المشاركة الفعالة فى الجهد الحضارى على أوسع مدى ، وذلك بإفساح مجال الحرية أمام المبادرات العبقرية .

٢ ـ **ضرورة رد الاعتبار إلى الدين الإسلامى كنظام حياة ضامن للسعادة فى الدارين ، ومحقق مقاصد ومبررات** التكريم الذى سبق ذكره .

٣ ـ إعادة الاعتبار إلى العلم وتقنياته حتى يعود إلى مكانته فى الأمة ، تلك التى أعطاها له القرآن الكريم والسنة برد الاعتبار إلى العلماء من حيث هم أهل الذكر وهم أولو الأمر فلا يبت فى أمر عظيم من أمور الأمة إلا بعد استشاراتهم وفى ضوء حكمتهم ، وفى نطاق توجيهاتهم ما أطاعوا الله ورسوله ، وأجادوا وأصلحوا وبينوا .

٤ ـ تشجيع تعميم استعمال اللغة الوطنية فى سائر أنحاء القطر لضمان تفاهم الجزائريين ، وحفاظاً على وحدة القطر ، ولأنها لغة القرآن والسنة .

وبهذا تصير الثقافة مانعاً من موانع التصدع لوحدتنا وحامية حمى الأمة الثقافى والحضارى من الغزو الفكرى والحضارى ، ومصدر من مصادر الثروة ، مما يجعل البلاد تضمن لأجيالها مستقبلاً مزدهراً تطورت فيه أصالته وتفوقت بالتجديد عبقريته ليكون من ورثة الرسالة وبناة الحضارة .

★ ★ ★

إن السياسة الإعلامية للجبهة الإسلامية للإنقاذ هى الميدان الذى تتجسد فيه حرية التعبير وحق الأمة فى استنشاق الهواء النقى من حيث هى نافذة على العالم ، ناقلة لأخباره ، معرفة بأحداثه ، وموصلة لعلومه ومعارفه وتقنياته فى أحدث أطواره مما يساعدها على التجاوب المثمر ويؤهلها للمشاركة الفعالة فى حل مشكلات الإنسان الحديث ومعالجة قضايا مستجدات العصر ووضع حد لتشويه الإسلام وقمع المسلمين ومنعهم من توصيل بيان الإسلام والدفاع عنه والذود عن كل المسلمين شعوباً وأمة .

إن الإسلام يمثل أثقل وزن عقائدى فى العالم وأقوى محرك لضمير الإنسانية ، وأقدر إحياء له وأعظم رسالة لهداية البشرية ، وأثرى مصدر للخير ، وأرقى مسامح لتكوين الإنسان ، وأعدل شريعة لحماية حقوقه ومن ثم فإن السياسة الخارجية للجبهة الإسلامية للإنقاذ تعيد حماية حقوق الإنسان كما جاءت فى القرآن والسنة من أهم مقاصدها الجديرة بالاهتمام وبذل أقوى الجهود لنشرها والعمل بها مما ينقذه مما يتعرض له من إهانات كالتمييز العنصرى والتعذيب وبشاعة الأسر وخنق حريته فى التعبير وسوء معاملته مما يحط من كرامته ولا يليق ببشريته لقوله تعالى : ﴿ **وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين** ﴾ [الأنبياء : ١٠٧] .

وبعد فإن الصحوة الإسلامية فى الجزائر قد واجهتها أخطاء كثيرة استطاعت أن تجمد حركتها وتحول بينها وبين تحقيق أهدافها فى نظرة إلى تحقيق الهدف الصحيح للجزائريين ولأمتهم بعد التخلص من قيود النفوذ الأجنبى .

ولابد من إعادة النظر فى المخطط كله بما يحقق تنفيذ منهج الإسلام بوصفه عقيدة ودولة ورسالة .



رابطة الدعوة الإسلامية

بعد أحداث أكتوبر عام ١٩٨٨ طرحت قضية إنشاء رابطة الدعوة الإسلامية بالجزائر التى تكون بمثابة صمام الأمن لهذه الأمة تحفظ قيمها وثوابتها وهى فوق كل هيئة أو مؤسسة .

ولقد سعى لتأسيس هذه الرابطة فضيلة الشيخ سحنون والشيخ نحناح ، وغيرهما من الدعاة الذين كانت تشرئب أبصارهم إلى خروج الصوت الإسلامى فى ظل المستجدات السياسية والاقتصادية والاجتماعية (من الدستور الجديد والتعددية) وكان أن بشر الشيخ نحناح بميلاد رابطة الدعوة الإسلامية وجمعية الإرشاد والإصلاح وذلك يوم ١٧ / ٢ / ١٩٨٨ بمسجد الابيار تلاها بأيام استدعاء بعض الشيوخ والدعاة الذين أفرزتهم الساحة الدعوية وعرفوا بجهادهم خلال السنوات السابقة من طرف الشيخ أحمد سحنون حيث شكلت اللجنة التحضيرية التى اجتمعت تحت رئاسته ومن أبرز أعضائها المشايخ (عباس مدنى ، ونحناح محفوظ ، ومحمد السعيد لونيس ، وعبد الله جاب الله) .

وقد قام هؤلاء الدعاة برسم مجموعة من الأهداف لهذه الرابطة وهى :

١ ـ العمل على التمكين للإسلام ونظامه .

٢ ـ الحفاظ على وحدة الأمة ومقوماتها .

٣ ـ تذكير الشعب الجزائرى المسلم برسالته وتعميق اقتناعه بكون الحل الإسلامى فريضة شرعية وضرورة حضارية .

٤ ـ العمل على تقريب الرؤى وتوحيد الجهود والمواقف العامة بين العاملين فى حقل الدعوة الإسلامية .

٥ ـ تحقيق مبدأ الاجتهاد الجماعى فى النوازل وتوحيد الفتوى فى القضايا العامة .

٦ ـ إصلاح الاعتقاد وتهذيب الأخلاق وتصحيح العبادات ودعم رسالة المسجد.

٧ ـ العمل على ترسيم وظيفة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

٨ ـ الاهتمام بقضايا الأمة والسعى لحلها .

٩ ـ العمل على إخراج الأمة من التخلف والتبعية فى كل نواحى الحياة وتغطية الاحتياج من الكفاءات فى مختلف التخصصات .

١٠ ـ صياغة مشروع حضارى إسلامى متكامل .

١١ ـ ترشيد العمل السياسى وحمايته من الانحراف فى الوسائل والغايات .

١٢ ـ ترشيد السياسة التربوية والثقافية والإعلامية وفق مقاصد الشريعة الإسلامية

١٣ ـ كشف مخططات التآمر على الأمة ودينها والتصدى لحملات التغريب والتنصير والأفكار العلمانية .

١٤ ـ مناصرة القضايا العادلة فى العالم ، والإسلامية خصوصاً وبذل الوسع لاسترجاع فلسطين .

١٥ ـ التعاون مع الجمعيات فيما لا يتعارض مع أهداف الرابطة وتبادل الخبرات والتناصح بينها وبين العاملين فى الحقل الإسلامى .

[مجلة الإرشاد الجزائرية جمادى الثانية / ١٤١٠هـ جانفى/ ١٩٩٠م]



الصحــوة فى تونس

فى نهاية الستينيات سجلت الفترة أوج مرحلة التغريب فى المجتمع التونسى ، فى هذا الوقت كان الأمر قد استقر بانتصار العلمانية وأصبحت اللغة والثقافة الفرنسية الفكرية السائدة للنخبة كما أصبحت هى التعليم والإعلام والدولة والمؤسسات القضائية ، واستطاعت علمانية الغزو الثقافى أن تقتحم جوانب متعددة من ثوابت المجتمع الإسلامى :

- الإفطار علناً فى رمضان .
- قوانين اجتماعية تحدد الزواج .
- إفلاس التجربة الاشتراكية فى تونس إلخ .

وكشفت الأحداث من خلال ذلك أنه ليس هناك غير الإسلام الذى يحقق النجاحات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية ، وتكشفت دعاوى التغريب والعلمانية والليبرالية والاشتراكية والقومية ، وشعر الناس أن هناك نوعاً من الفراغ الدينى فى حياتهم ، فقد كان هذا صحيحاً ، فمن ناحية كان حجم المشروع الغربى فى تونس هائلاً ، ولم يكن يشبهه فى اتساعه إلا التغريب فى تركيا ، وكان استهتار الحاكمين بالقيم الدينية صارخاً وفجاً ومجافياً لمشاعر الناس .

ومن ناحية أخرى لم يكن هناك بديل مطروح غير الخطاب الماركسى ، وهو خطاب يتصادم مع ما اجتمعت عليه واستقر فى ضمائر الناس من قيم دينية ، وقد اجتمعت هذه الملامح لتشحن الشباب خصوصاً بكل مظاهر الحيرة والقلق والفراغ ، وهم يعانون الهزيمة والغزو الفكرى والجوع .

وهنا كان انطلاق الدعوة الإسلامية لتصحيح العقائد أو العودة إلى الدين بل قامت الدعوة كإطار عام شامل ينتظم الحياة كلها واستطاعت الدعوة – لأصالتها

وفطريتها - إن تجب الصيغ الماركسية والليبرالية وغيرها فى إطارات الفكر الغربى التى كانت أفلست فى أرض الواقع وانتهت بتونس أن تكون دولة بغير هوية .

وكان لا بد للدعاة من التصدى لكل دعاوى التغريب بذات الحجج والبراهين التى يستخدمها الغرب نفسه ، وقد تفاعلت هذه البراهين فى وقت مبكر مع هموم الناس والتحمت بالقضية الاقتصادية ، وانحازت إلى جانب الفقراء والمحرومين والضحايا والنقابات المهنية ، والتحمت بها .

وقد تفاعلت الدعوة مع قضية تحرير المرأة من وصاية الغرب ، ووصاية الانحطاط ومواريث الغزو الفكرى ، فقد كانت المرأة التونسية تستغل أو تضطهد من رجل أو عدة رجال فجعلها بورقيبة مضطهدة من المؤسسة الرأسمالية والمؤسسة السياسية .

وجعلها أداة فى أيدى المستغلين الذين يسخرونها لاستجلاب الأرزاق المحرمة .

وقد مدت الدعوة يدها إلى كل من وصلت إليه من الحركات الإسلامية ومن المفكرين القدامى والمحدثين داخل وخارج الدائرة الإسلامية .

وقد تعاملت مع مواريث أمتنا القديمة وتوجهاتها الحديثة بكثير من المرونة والبساطة معاً ، وتوجهت إلى أوسع قاعدة من الناس ، الأمر الذى جعل الانتماء لها سهلاً وفهمها مبسوطاً ، والتعامل معها لا يحتاج إلى وسيط ولم تُعاد أحداً ولم تعتبر أن من خالفها قد خالف الإسلام .

وبذلك أمكن إسقاط مشروع التغريب والقضاء على العلمانية والاشتراكية والليبرالية وغيرها من التوجهات ، وقد تحققت كثيراً من الإيجابيات وأهمها إعادة حرية الزواج بأكثر من واحدة وإعادة النساء إلى بيوتهن .

وأمكن إبداع نمط إسلامى نوعى للحياة يحقق التوازن بين شخصية الإنسان من جملة مطالبه المادية والاجتماعية والروحية عامة .



وكان العلمانيون وعلى رأسهم بورقيبة لا يتورعون فى معظم أحاديثهم وخطبهم من أن يصفوا الإسلام بالتخلف والجمود ، وكان يسيء إلى الشعائر الإسلامية ويحرض الناس على عدم الصوم حتى يتمكنوا من العمل .

وكان الخط البورقيبى الموجه مباشرة من حصون العلمنة الكنسية الفرنسية يتجه إلى تهميش جامعة الزيتونة وتحويلها إلى كلية هزيلة ، ومراقبة كل أجهزتها مراقبة دقيقة لضمان عدم الحركة فى الاتجاه الإسلامى الإيجابى .

ومضى العمل فى القضاء فى كل المضامين الإسلامية الحقيقية ومصادرة كل وسائل الحوار .

وكان هدف النظام ترك الهوية الإسلامية وعدم الإلحاح على التعليم العربى أو التربية الإسلامية ، والعمل على عدم ترك أى ثغرات يتقدم منها العمل الإسلامى .

وروج النظام لشعار (تجفيف المنابع الإسلامية) من أجل استئصال كل فكر يحقق الإسلام أو يحافظ على الهوية الإسلامية أو الشعور الإسلامى .

ولم يكن هناك أى منطلق لتواصل الفكر على أساس العروبة ولا على أساس الإسلام ، بل على أساس فكر آخر لا يمت للإسلام ولا للعروبة بصلة حيث أعطى الشيوعيون والعلمانيون والمتفرنسون المواقع التربوية والإعلامية والحزبية .

وجرى العمل على علمنة المناهج وإزالة البصمات العربية والإسلامية منها ، فبعد أن جعلوا المادة الدينية هامشية للغاية كُيِّفت المادة لتصبح معبرة عن الفكر اليسارى التقدمى ، وجرى تشكيل لجان لتنقية مناهج الأدب والإنشاء والنحو والتاريخ والجغرافيا من التأثيرات الإسلامية .

وجرى حرب الإسلام بوسائل تلفيق التهم والاعتماد على التلفيق لضرب الأصالة وتشويه الإسلام ، ومن هنا فقد كانت المهمة الأولى التى طرحتها الحركة الإسلامية على نفسها هى « **إعادة الاعتبار للهوية الإسلامية** » .

حيث يتفرد الاتجاه الإسلامى بعناصر ميزته عن بقية الحركات الإسلامية الأخرى وهذه العناصر هى :

أولاً : إقناع الإسلاميين بأنهم طرف سياسى كسائر الأطراف الأخرى على الساحة .

ثانياً : قبول الحركة مبدأ التعددية وبالأطراف الأخرى بما فيها الحزب الشيوعى .

والمجتمع الإسلامى قد عرف التعددية منذ نشأته ، وعاشت فيه كل الأفكار على أساس المواطنة .

وبالنسبة للمشكلة الاقتصادية ، قال : إنها جزء من مشكلات الأمة لا يمكن حلها إلا ضمن الإطار العام لثقافتها وشخصيتها فهى ليست مسألة تقنية تتحقق بالتصنيع بمجرد استجلاب التقنيات من الغرب ، إنما هى عملية نهضوية عامة تتطلب بالضرورة تعبئة الجماهير من أجل أهداف كبرى وهذه التعبئة أمر لا سبيل إليه إلا من خلال ثقافة الجماهير المتمثلة فى الإسلام ، ينادى به قوم يؤمنون به ويمارسونه فى حياتهم ، والسر فى فشل مشروعات وبرامج التنمية أن أنظمتنا الوافدة تجاهلت الإنسان وخاطبته بلغة ليس لها رصيد فى أعماقه ؛ مرة باسم المصلحة العامة ومرة باسم الاشتراكية ومرة باسم القومية .

إن الاشتراكية طرحت القضية على أنها قضية توزيع وجعلت المشكلة الاقتصادية خياراً بين القطاع العام أو القطاع الخاص .

إن المسلم اليوم مغترب فرضت عليه الأنظمة أوضاعاً ثقافية وسياسية وعلاقات عمل جعلت منه عبداً ، ويراد اليوم أن يعبأ بلغة وثقافة لا تملك أى رصيد فى نفسه ، والمطلوب أن نعيده من غربته ، وأن نعيد إليه هويته ، إن الأنظمة القائمة فصلت عالم الغيب عن عالم الشهادة، كما فصلوا الدين عن الحياة ، وتجذرت التبعية وتعملقت إسرائيل وساد الطغيان ، والفلسفة التى بنى عليها المجتمع الغربى غير الفلسفة التى بنيت عليها مجتمعاتنا ، فمجتمعاتهم تقوم على الوطنية والمصلحة والقومية ، ونحن تراثنا كله يقوم على الإسلام .

انظروا إلى لغة التخاطب عندنا لو حذفنا اسم الله من كلامنا يتعطل التخاطب

فكيف تنهض أمة من هذا القبيل مع إقصاء الدين من نظامها الاجتماعى ، إن الإسلام يجب أن يعود إلى الطاقة المحركة لأمتنا ولا بأس بعد ذلك أن نختلف فى التطبيق

إن القضية هى إعادة الروح إلى هذه الأمة ، وأيضاً طاقات الدفع وحوافز العمل وكلها فى الإسلام .

العنف ليس ظاهرة إسلامية والإسلام يبغض العنف ويعمل على اجتناب أسبابه.

إن الغرب الحضارى فى شقيه الرأسمالى والاشتراكى يمارس العنف مختاراً ، لقد اختار أن يعيش على قهر الشعوب وامتصاص دمائها وسلخها من ثقافتها .

والحركة الإسلامية مدعوة لأن تبحث عن السلم وأن تتجنب وسائل العنف .

★ ★ ★

كيف السبيل إلى دولة الشعب :

« ليس هناك من طريق غير النضال فى كل المستويات بتعميق قيمة الحرية وتكريم الله تبارك وتعالى للإنسان بتنظيم قوى الشعب ونشر قيم التمدين » .

[راشد الغنوشى]

★ ★ ★

الباب الثامن
تجــربة الســودان

(بيـان) نحن نحـارب من أجل هويتنا العـربيـة الإسـلاميـة ، نؤسس نموذجـاً جديداً للدعوة تقوم على التنشئة الكاملة ، العالم كله يوجه أسلحته إلينا عبر (جون جارانج) .

كان النظام السابق قد جرب تطبيق الشريعة الإسلامية بعد أن رأى مظاهر المد الإسلامى فى المجتمع ولكنه طبقها بنهج غير متلطف ولا متدرب فأحدث رد فعل عكسى كما استقطب الاستعماريين مما أصبح النظام الاقتصادى بالسودان مهدداً .

لكن بعد سقوط النظام قامت جهات علمانية باعت نفسها للغرب ، أرادت أن تنسخ هذه القوانين وتعود إلى قوانين الانجليز .

وقامت الأحزاب الدينية السياسية (الأمة والاتحادى) اللذان حكما السودان بتفويض دينى مباشر ، وكان الناس يريدون أن تعود أمتهم إلى المنهج الإسلامى بعد ما رحل الاستعمار ولكن استمرت الخمور والدعارة والربا ونظم الاستعمار ، وجاءت اتفاقية جون جارانج وسعى بيننا وبينه أوربيون مسيحيون وصرف النظر عن الشريعة لفتح الباب للحوار مع جارانج بعد الاتفاقية حيث ضاعت أكثر من عشرين مدينة فى جنوب السودان تحت هذه الخدعة .

السودان بكيانه المستضعف يصعب عليه أن يطبق الشريعة الإسلامية بجهد ضيق وذلك نظراً للضغوط الدبلوماسية والسياسية السافرة ضد هوية السودان .

وكان السودان قد أعلن تطبيق الشريعة فى السودان عام ١٩٨٣ وأيدت الحركة الإسلامية المبدأ ولم تؤيد المنهج ولم تتأخر الحركة عن مناقشة قوانين الشريعة مناقشة علمية وعارضت مشروعات قوانين الشريعة التى وضعت فى عهد نميرى وأعدت مجموعة جديدة من القوانين فى جميع المجالات .

وكان إلغاء الشريعة هو المطلب الوحيد للانفصاليين والمتمردين فى الجنوب فهم يريدون تحويل الجنوب إلى دولة صليبية تحكم السودان كله بنظام علمانى وبصورة ليبرالية .

وظلت الحرب مشتعلة قبل تطبيق الشريعة الذى جاء فى سبتمبر ١٩٨٣ .

لماذا يصر الغرب على جنوب السودان حيث توجد ثروات البترول و١٢٠ مليون فدان صالحة للزراعة مع توافر الثروة المائية .

★ ★ ★

وقد شهد السودان أوسع جدل حول تطبيق الشريعة الإسلامية حول محورين :

الأول : بين أنصار الشريعة الإسلامية والنظام الإسلامى المتكامل وبين أعداء الشريعة الإسلامية مهما غلفوا مواقفهم بالدبلوماسية الواجبة فى موضوع يمس مقدسات الشعوب الإسلامية .

الثانى : بين أطراف المعسكر الإسلامى حيث يدور الخلاف بين التطبيق الفورى للشريعة الإسلامية .

وفى ظل أى أنظمة سياسية عملاً بأسلوب التدرج نحو صبغ المجتمع وأنظمته الإسلامية الشاملة وبين وجهة نظر ترفض ذلك خوفاً من تشويه صورة الشريعة فى ظل أنظمة حكم فاسدة وظالمة ، وتربط دعوتها لتطبيق الشريعة بتحقيق الانقلاب الثورى الإسلامى الكامل لضمان أن يأتى تطبيق الشريعة فى ظل مجتمع يستقر فيه العدل الإنسانى والاجتماعى وفقاً لمفاهيمه الإسلامية .

ومن الواضح أن الإخوان المسلمين فى السودان قد اختاروا الخيار الأول وهم بالتالى يتعرضون لسماع الانتقادات الحادة من أنصار الخيال الشامل ومن أنصار العلمانية المعادين على طول الخط للفكرة من أساسها .

لقد أصبحت قوانين التربية الإسلامية نقطة استقطاب سياسية حادة فى السودان بعد سقوط نميرى وتجمعت عندها كثير من الخيوط التى ستحدد المستقبل القريب للعمل السياسى فى السودان .

إن قضية تطبيق الشريعة الإسلامية فى السودان سارت على ستة محاور كما أن الجبهة الإسلامية التى صارت أشد المطالبين بتطبيقها سارت على محاور أربع ومن خلال محاولة لتفصيل هذه المحاور والإطارات التى سارت فيها كل من الشريعة فى السودان وكذلك المصاعب التى تعترض هذا التطبيق كما يمكن الإشارة إلى علاقة

الشريعة بالمشاكل التى يعانيها السودان .

ذلك أن الحكم الإسلامى يعد فى السودان مطلباً أصيلاً بحكم طبيعة السودانيين المتدينة الغيورة من ناحية وبحكم تاريخ الكفاح السودانى ضد الاستعمار ، وصنوف الاستبداد الذى جعل من مجمله لواء إسلامياً خالصاً وعلى مدار التاريخ صارت (الشريعة) هى القضية التى تشغل كل السودانيين على اختلاف انتماءاتهم وتوجهاتهم .

★★★

اقتضت أهداف العمل الإسلامى أن ينتقل هذا العمل من جماعة إلى مجتمع ثم إلى دولة فى المرحلة التالية وفى سبيل ذلك لابد من بناء قاعدة شعبية تسند الدولة إذا مورست عليها ضغوط ، وفى هذا السياق اقتضى الأمر أن توضع برامج عملية لمشكلات الحياة القائمة بالفعل فى المجتمع السودانى ، فمعاملة الإسلام لأهل الذمة مثلاً كانت نظرية لطرح سماحة الإسلام .

كذلك الأمر بالنسبة للعدالة الاجتماعية والنهوض باقتصاد السودان ، وحفظ الهوية وقضايا الأمن والدفاع فى السودان ونظام الحكم فى الإسلام ، وتوسعات الحكم المتعددة فى السودان .

★★★

اتصفت الحركة الإسلامية بثلاث صفات :

أولها : إنها حركة حرة جداً متحررة ، ما أطبقت عليها قيادة واحدة حتى تجمدها على قدر نفسها ولا أطبق عليها فكر واحد بل أخذت من موارد كثيرة .

الصفة الثانية : وهى موصولة لالأولى أى أنها تفاعلت تفاعلاً مستمراً فى بيئتها، فهى لم تترك السرية تغلبها ولا تركت الأطر التنظيمية تطوقها ، كشفت الصور التى تعمل بها ، وكانت تفضل دائماً ألا تعمل بصفة جزئية .

الصفة الثالثة : والأخيرة أن فكرة الشمول والتى هى دستور كل الجهات الإسلامية تحققت فى الحركة الإسلامية فى السودان ، وتطورت بها تطوراً صادقاً ، فهى تقريباً أول حلقة بدأت تعمل بالسياسة الكاملة المشاركة فى الانتخابات والمظاهرات وفى التحالفات السياسية والدبلوماسية الخارجية ، وفى مجال الاقتصاد

كانت من أكثر حركات العالم الإسلامى التى دخلت فى هذا الاختصاص ، مثلما دخلت فى الحياة الاجتماعية كلها ، ودخلت أبواب الفن والثقافة دخولاً واسعاً ، فانفتاح الحركة وتفاعلها وشمولها من الداخل ووجود حرية نسبية ومشكلات مستعصية تستفرك من الخارج ، هذه الظروف جميعاً كانت فيما أعتقد أسباباً تميز أداء وعطاء الحركة الإسلامية فى السودان .

★ ★ ★

ابتداء لا بد من تصحيح المواقف الإيمانية فالإيمان ليس لفظة التوحيد فحسب، وحتى عقيدة التوحيد الخالصة لقد أصبحت مجرد عبارات لفظية إذا أخطأت فيها تفسد عقيدتك فيما يدعون ، ولو كررتها بشكل صحيح كنت مقبول العقيدة دونما اهتمام ومتابعة لمن يخشى البشر ولا يخشى الله أو يخشى الله ويحب الدنيا كما يحب الله .

الإيمان الحقيقى مواقف تنعقد فى النفس إزاء مواقف الحياة وتتحقق مباشرة إزاء عدو ، صديق ، مشكلة ، قضيته ، فى وجه كل ابتلاء مثلما ينبغى أن تتغير عقيدتنا، فقهياً ، كذلك يجب أن يتغير ليرتبط بمشكلات الحياة ويغوص لحل مستجداتها بعيداً عن التجريدات .

كانت الانتفاضة تعنى أكثر من شيء للمنتفعين حسب نياتهم ، فقد كان هم الشعب هو البحث عن حياة أطيب من حيث المعاش ، وكان هم بعضهم هو الانتقام لعزتهم واستقلالهم الذى استفز لسياسات نميرى وبعضهم كان يريد الانتقام لدينه أيضاً .

كان أغلب أهل الوعى يطلبون الحرية ويحيون أن فى الحرية الشفاء من كل داء، أما الحرية فقد نالها شعب السودان وتمتع بها ، وأما الديمقراطية بمعنى الحكم النيابى التمثيلى ، فذلك أمر لا تثمره الحرية بالضرورة ، لأن هذا الحكم رهين بتربية متمكنة فى الشعب يجعله يقدم لقيادته إذا اختارها بحر قراره يقدم القادة على بيعة تفويض حسب مذاهبهم وبرامجهم السياسية ويحاسبهم على الوفاء بتلك البيعة وحسن أداء أمانتها ، ويكيف من ذلك قراراته النيابية والانتخابية وفق ذلك الوعى ، ولكن الأوضاع الاجتماعية والسياسية فى السودان تجعل غالب أهله يقدمون الناس

لمعانى أخرى ، معانى القيادة العرقية أو العصبيات الموروثة ، ولذلك لا يمكن أن يدعى أحد بأن الديمقراطية قد تحققت بالرغم من أن الحرية يمكن بالمدى البعيد أن تحرر الحكم التمثيلى من شوائبه حتى تتمخض .

فالذى جنيناه هو الحرية الواسعة جداً ، اتسعت حتى أفسحت لكل أنماط التباين السودانى أن تعبر عن ذاتها ، واتسعت حتى فتحت ثغرات لقوى خارجية أن تعبر عن مخططاتها فى الساحة السودانية ، وبذلك أحدثت شيئاً من الارتباك والانحلال فى حالة الاستقرار والأمن ، هذا الاضطراب فى المجتمع السودانى ، وهذا التدخل الخارجى ، وهذا الخلل فى استقرار الحكم السياسى حرم أهل السودان مما كانوا يحلمون به من خلال الحرية ، طيب العيش ، التعبير عن قيمهم الدينية : الأمن والطمأنينة الاجتماعية ، الوحدة الوطنية ، العزة والاستقلال .

★ ★ ★

إن مضمون سياسة الجبهة أن يكون الأمر كله فى ذلك راجع إلى تحكيم شريعة الله فى الأرض ، لأنها الكلمة المقدسة التى تمت صدقاً وعدلاً لا مبدل لها من دون الله ولئن قصر البعض مصطلح الشريعة على القانون فهو عندنا ينبغى أن يؤصل على الشريعة لا شرك معها لعرف جاهلى ولا ملتحد عنها إلى تراث استعمارى ، وقد رأينا تلبيساً كبيراً يعمد إلى تسمية الشريعة قوانين سبتمبر ليتيسر النيل منها دون إثارة الشعب ، ونريد أن تتحرر المسألة عن بنية وتعلم العلمانيين الذين يأبون الشريعة كيفما جاءت ونعلم المؤمنين .

فالشريعة ليست بالضرورى أشكال القوانين التى اتخذها نميرى ينافس بها دعاتها ، ويسابق آخرين ولكن لاردة عن تلك القوانين إلى ما هو دون الشريعة ولا ذريعة فى الاحتجاج بالتباين الدينى فالشريعة بجوهرها أحكام تعبر عن فضائل مشتركة بين كل الملل السماوية التى تأبى الربا والخمور والعدوان على النفس والعرض والمال ، هى لذلك أقرب إلى كل الملل من القانون اللادينى ، ولكن الشريعة بأشكال تطبيقها تحفظ لغير المسلمين خصوصية قانون الأسرة وتعرف الاستثناء فى إنفاذ الحدود .

وقد اقترحت الجبهة وأجازت طائفة من علماء المسلمين تخيير غير المسلمين حيثما غلبوا فى أى إقليم وهو ما اتفقت عليه الكلمة القومية بين الأحزاب الثلاثة الكبرى ، سوى أن الشريعة عقيدة دين وأصالة تاريخ وإرادة شعب لغالب أهل السودان فلا خديعة فى الشريعة ولا مساومة ولو كره الغربيون استقلالنا القانونى أو أنكروا قيمتنا الجنائية والعقابية أو زينوا لنا أن نأكل كما أكلوا المال بالربا والاستغلال ثم إن الشريعة فى حقيقة معناها ليست قانوناً وحسب كما يتوهم الناس بل هى تكليف كامل ونهج حياة فيه أحكام اعتقاد وعمل ومن هذه قوانين تنفذها إجراءات السلطان وتعاليم تعرفها أعراف المجتمع وأخلاق يراعيها الوجدان المسلم ولابد من تناصر أدوات السلطة والتربية والتوجيه حتى تتحقق الشريعة .

ولن يجدى فى ذلك قانون بعد قانون يصدر كأنه جزء من ضغط شعبى بل لابد من أداة مخلصة كاملة الالتزام بإقامة مجتمع الشريعة الفاضل .



والاقتصاد فى السودان : إنه اقتصاد معلول فى أصوله قبل أن تعله التقلبات والأزمات ، فكثيراً ما تبدلت النظم والوزارات ولكن النظام الاقتصادى ظل هو هو لا يتحول فهو اقتصاد مادى يتطلب المتاع فيتحفز الاستهلاك ترفاً والإنفاق منها ويكبت دواعى الروح التى تدفع للعمل المثمر للطيبات ويلتمس الكفاية الفنية دون اكتراث للأخلاق فيكون فيه الفساد المريض ويقطع ما بين الدنيا وذكر الله وشكره فتمحق فيه البركة ، ثم إنه – ثانياً – اقتصاد بلا منهج تتخاصم فيه أغراض تحرير القطاع الخاص لدفع التنمية وكبحه ابتغاء العدالة فتتذبذب السياسات من التأميم إلى التعويض إلى تنمية القطاع العام ، وتشريد عاملين وتتدافع فيه أولويات البناء العام وحاجات الإنسان الضرورية وتضطرب الخطط من تعاقب الحكومات التى تهمل البنى الأساسية ابتغاء المردود السياسى العاجل .

وهو ثالثاً : اقتصاد تابع يزداد كل يوم تمويلاً من الخارج ويرتهن للقوى الاقتصادية الدولية شرقاً وغرباً فتتحكم فى سياسته وفى تقويم عملته وترتيب ماليته ، ومن كل ذلك أزمت حال الاقتصاد فما تحققت فيه تنمية ، بل الأرض عاطلة

والمشروعات عاطلة ، والقوى البشرية عاطلة ، ولا استوت له عدالة بين الأقاليم أو الأفراد ، وكفى الناس شر الغلاء والشقاء ، بل حق علينا غضب الله وحربه بما أكلنا من الربا ، وأعرضنا فانكف الغيث وامتد التصحر وتكاثرت الهجرة من الخارج والنزوح من الداخل .

من أجل ذلك أعد مشروع متكامل لمنهج إصلاح ونهوض اقتصادى ، وهو مشروع إسلامى واقعى يبتغى إسلام شأن المعاش لله معبوداً محموداً والتوكل عليه رازقاً راحماً ، ويتوسل بالإسلام دافعاً وناظماً للتنمية ببواعث الدين التى تفجر طاقات العمل المنتج ، وتحقق الكفاية والقوة الاقتصادية وبنظمه التى ترشد الاستثمار والائتمان ولا تترك المال عاطلاً ولا الأرض مهملة وقيام المشروع الإسلامى هادياً وضابطاً للعدالة بما ينفى الجشع والشح والاستغلال الربوى وبسط الولاية العامة على الثروة ويفرض الزكاة ويكفى الضرورات لكل أحد ولا يترك المال دولة بين الأغنياء ، كما يتخذ الإسلام أيضاً توحيداً لطاقات الاقتصاد بتجاوز عقدة نزاع الملكية وقطاعاتها الخاصة والعامة ، فالمال كله لله من استخلف فيه من فرد خاص تصرف فيه بالمسئولية والقصد والعدل فى غنى عن كثير من اللوائح واللوائح المعوقة للإنتاج من ائتمن عليه عن موقف عام وليه بالقوة والأمانة من غير شائبة فساد وخسران .

ويعادل الإسلام ما بين التنمية والعدالة فى نسق من المعانى والنظم ، ويريد الاستهلاك بين التقتير والترف مما يبارك الطلب ولا يطغى به ، ويدرج المشروع الاقتصادى فى سياق من سائر أهداف السياسة الشرعية تحقيقاً للاستقلال الذى تتميز به البلاد وتنصلح دون انعزال عن التعاون الدولى العادل أو التوحيد الصالح بين الآخرين تمكيناً للاستقرار السياسى والقانونى والأمنى ، لتستقر معايير القيمة وإحكام المعاملة فى الكسب والعمل والاستثمار وليطمئن المجتمع على نظام حرمة المال ومسئوليته .

لا تقتصر الشريعة فى معناها فى الاصطلاح الرائج اليوم على القوانين ، ولكن نقصد الشريعة من حيث نظام الحياة الذى ينظم علاقاتنا الدولية من حيث نحن مسلمون بل وعلاقات المسلمين مع غيرهم وينظم حياة الفرد وأخلاق الفرد .

أما الصحوة فهى الثوبة الفكرية والروحية إلى الإسلام ، فقد كانت حركة لرد فعل ضد فعل كان يطمس هويتنا بدا منها شىء من القوة والجموح والعنف فبدأت

عاطفة أكبر منها فكرة ومنهجاً ، ستتقدم وتتضح وتستقر وسيوافيها مضمونه حتى يتجه نحو البناء .

★★★

إن التطبيق الإسلامى يؤكد التسامح مع أصحاب الديانات الأخرى ، ويحض على احترام المواطنة ، وحقوق الإنسان ، فتغلق عن هذا الطريق أبواب الفتنة ، وقد حققت الحركة هذا كله وأظهرت قدراً من المرونة وسعة الأفق أدى إلى محاصرة المتمردين فى الجنوب الذين تدربهم وتمولهم القوى المعادية وعلى رأسها إسرائيل .

★★★

لقد ثبتت براءة تجربة الحكم الإسلامى فى السودان من مظاهر الانحطاط ، فالقوم هناك على فهم إسلامى راشد ومتجدد ، وإنهم بهذا يحققون الشورى بشكل مبدع وملائم لظروف بلادهم .

وبإسلامهم يبدأون اقتصادهم بطريقة عادلة ومستقلة وكفاءة ، وقد أمد الله تبارك وتعالى ثورة الإنقاذ بأسباب التمكين .

★★★

« ملخص بتوسع عن رسائل قادة الدعوة الإسلامية فى السودان »

المسيرة المليونية سبتمبر ١٩٨٤

المرحلة الثانية ١٩٨٩

الباب التاسع

المسلمون الجدد فى الغرب

الإسلام : عالم بلا حدود

« إن الفكرة التى جاءت من الصحراء والتى انتشرت فى أقل من قرن من الزمان مثل الحريق فى مجتمعات ذات أصول وثقافات متنوعة تنفى قبل كل شىء أية مقارنة مبنية على أساس الجنس أو اللغة ، فالإسلام لم يفرضه وجود كنيسة ولا أية سلطة كهنوتية ، بل يقبل داخل نطاقه وفى حدود معينة بقية الأديان التى جاء ذكرها فى الكتاب ، ولا يقبل هيكلاً كهنوتياً كوسيط بين المؤمن والله .

إن بساطة عقيدة الإيمان بالله الواحد ـ التى هبطت كلماتها على محمد خاتم النبوة ـ واتساعها لكل الطبقات والأجناس لكافة البشر الراكعين فى اتجاه القبلة ، والذين ترتفع أصواتهم بالتسبيح من خلال الكلمات المقدسة وتطبيق أركان الدين التى تميز وتربط بين جموع المؤمنين ، كل هذا يفسر التماسك الداخلى للإسلام وانتشاره .

أتى الإسلام برأس المساواة ورفض المزايا الوراثية القديمة ، وأيد المكانة المبنية على الإيمان والتقوى » . [خوان لوتيسولو – العالم الأسبانى]

★ ★ ★

أكثر من سبعة مليون مسلم فى أوربا (١٩٧٠) استقبلوا شهر رمضان هذا العام بنفس الترحاب الذى استقبله به سائر المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها .

المساجد فى لندن وباريس وروما وبرلين الغربية تعج بالمصلين الذين يتوجهون فى صلاتهم إلى مكة المكرمة ، وصوت الأذان فى كل صلاة يقف شاهداً على أن الإسلام يكسب كل يوم أرضاً جديدة وأتباعاً جدداً وجدوا فيه الطريق .

وفدت أول موجه من المهاجرين المسلمين فى أوائل الخمسينيات حيث بدأت المآذن والقباب ترتفع لتزاحم أبراج الكنائس ، ثم تأكد أن الإسلام جاء إلى أوربا ليبقى ويستمر ويطيب له المقام ، فتضم فرنسا (١٠٠٠) مسجد وزاوية صغيرة تقام

فيها الصلوات ، ويبلغ عدد المسلمين فى أوربا (٧ ملايين نسمة) حسب أغلب التقديرات ، ورغم أن مسلمى أوربا وفدوا من بقاع مختلفة : من الهند وباكستان وتركيا والجزائر والمغرب وتونس ومصر ، إلا أنهم يشعرون جميعاً أن هناك رباطاً وثيقاً يوحد بينهم ومعظمهم من أتباع المذهب السنى ، وكان الدين الإسلامى هو الجسر الذى يربط بينهم وبين ثقافتهم وتقاليدهم القديمة .

ومن بين الانحرافات التى يجد فيها المسلمون فى أوربا أنفسهم مضطرين لمواجهتها ذلك التعصب المقيت من جانب بعض الاتجاهات العنصرية خاصة فى فرنسا ، حيث ساهمت الحملة العنيفة التى قادها (جان مارى لوبان) فى إذكاء روح الكراهية ضد الأقليات ومنها الأقليات الإسلامية .

إن المشكلة التى تمثل الشغل الشاغل للمسلمين فى أوربا هى كيف ينشئون أبنائهم وبناتهم التنشئة الإسلامية التى يريدونها لهم ، وقد أفردت الصحافة الفرنسية عدة صفحات بارزة فى جرائدها اليومية لصورة تجمع ثلاثة ملايين مسلم التقوا مرة واحدة فى مارسيليا – ميناء فرنسا المعروف – للاحتفال بشهر رمضان .

« إنها شمس الإسلام تشرق من جديد ولكنها هذه المرة تعكس كل حقائق الجغرافيا ، فإنها تشرق من الغرب ؛ من أوربا تلك القارة العجوز » [مجلة تايم الأمريكية]

★ ★ ★

« انتصروا بالإسلام ثم تخلوا عنه »

منذ قرون والغرب يتجاهل الإسلام ويرى فيه العدو الألد واليوم فإن المد الإسلامى الذى يشهده العالم يثير فى الغرب الريبة والخوف ، وهذه الأحاسيس العدائية كانت وراء العمليات الاستعمارية والإمبريالية ، وبرز منها طيلة أكثر من قرن ، وجعلت الغرب لا يعترف بجرائمه ومسئولياته ، وكيف يمكن أن تسمى حضارة الغرب حضارة .

وفى هذا اليوم يخصص الغرب ٤٥٠ مليار دولار (١٩٨٠) للتسلح فى حين أن ٥٠ مليون من البشر يموتون جوعاً ؛ إن الإسلام لم يعد ذلك الدين الكافر كما كنا نطلق عليه فى عهد الصليبيين ، والمسلم لم يعد ذلك الإرهابى فى عهد التحرر الوطنى الجزائرى ، ولم يعد الإسلام قوة عسكرية زاحفة مخيفة ، ولم يعد الإسلام

مجموعة قطع تراثية شرقية محفوظة فى متاحفنا .

الإسلام فى كلمة : هو دين شامل كامل ، لا يتجزأ وهو مجتمع وهو إلى جانب ذلك أسلوب فى الحياة والعقيدة ، الإسلام لم يظهر لأنه جاء آخر الأديان ، بل ظهر لأن العالم فى حاجة إليه ، ظهر بين يدى رجل واحد فى جزيرة صحراوية .

كان فى ذلك الوقت جماعة قليلة من الناس يعيشون فى هذه الجزيرة ، ومع ذلك استطاع الإسلام أن يؤسس حضارة رائعة امتد تأثيرها إلى اليوم - وعود الإسلام لجارودى - وإلى ما بعد اليوم .



تزايد تعداد المسلمين فى العالم ١٩٨١

٧٩٪ من سكان العالم ينتمون إلى إحدى المعتقدات الدينية المعروفة فى العالم وهو رقم يزيد عما كان عليه الحال سنة ١٩٧٠ إذ كان تعدادهم ٧٢٪ ، تناقص عدد غيرهم من ١٣٪ إلى ٤,٤ خلال نفس الفترة ، أما تعداد المسلمين فقد تجاوز المليون نسمة فى سكان العالم بينما يبلغ تعداد غير المسلمين واحد مليون ونصف .

الهندوس ٦٦١مليون ، فى النصف الأخير من القرن العشرين تصبح زيادة انتشار الإسلام بنسبة ٢٣٥٪ بينما يبلغ انتشار المسيحية ٤٧٪ ، البوذية ٦٣٪ ، الهندوكية ١١٧٪ .

انتشار الإسلام فى أوربا وأمريكا وآسيا وأفريقيا .

آخذ فى الازدياد إذ من المتوقع أن يصير ثلث سكان فرنسا مسلمين فى بداية القرن ٢١ ويبلغ تعداد المسلمين فى أمريكا ٢٠/١٥مليون (الآن ستة ملايين أمريكا الشمالية) يرجع ذلك إلى دعوة المرأة فى الغرب إلى إجهاض الأطفال والقضاء على الجنين فى الأحشاء فى المستشفيات المجهزة لهذا العرض فضلاً عن حماية أصحاب الشذوذ الجنسى .

وقيام مؤسسات تعمل على إقناع النساء بتأجير أرحامهن مقابل مبلغ معين يتعهدن بمقتضاه على حمل طفل لغير زوجها عن طريق التلقيح الصناعى .

[دائرة المعارف الكنسية]

فى إيطاليا أوربا تقبل على الإسلام

جريدة العلم (١٣ يونيو ١٩٩١)

راهبة ومهندسون ومثقفون وفنانون إيطاليون اعتنقوا الإسلام ، الإسلام يمكن الإنسان من ضبط النفس ويؤدى إلى تحسن حالته الجسدية والروحية .

يقول كلير بيدريك (روما) قبل عشرين عاماً كان روزابيو باسكوينى يدخن بشراهة ، ويفرط فى الشراب ، ويعيش حياة تعسة معذبة تحت وطأة الإجهاد النفسى بسبب حرصه الشديد على تحقيق النجاح فى مهمته كمحام بمدينة ميلانو المزدحمة فى شمال إيطاليا .

أما اليوم فإن باسكوينى هذا وهو فى أوائل العقد السادس من عمره لا يشرب ولا يدخن بتاتاً ، وقد اتخذ لنفسه إسماً إسلامياً .

وهو لا يزال يعيش فى ميلانو ولكنه استبدل حرفة المحاماه بشىء آخر يبعث فى نفسه الرضا ، إنه الآن يرأس تحرير صحيفة إيطالية متواضعة تعرف باسم (رسالة الإسلام) وهى عبارة عن جريدة صغيرة فى ثمانى صفحات موجهة إلى الأعداد المتزايدة بين الإيطاليين الذين قرروا التحول إلى العقيدة الإسلامية .

ويلاحظ أن الاتجاه إلى الاعتناق للإسلام بين صفوف المسيحيين فى إيطاليا قد أخذ فى التوسع يوماً بعد يوم ، ومثلما يحدث فى فرنسا وانجلترا التى كان أشهر من تحولوا إلى الإسلام فيها المطرب الشعبى (كات ستيفنس) الذى غير اسمه إلى (يوسف إسلام) فإن عدداً متنامياً من الإيطاليين يلوذون اليوم بالعقيدة الإسلامية طلباً للخلاص الروحى من عبودية الحياة المادية والعدد الكلى لا يزال صغيرا نسبيا إذ يقدر بنحو ألفى شخص فقط حتى الآن بالقياس إلى ٥٦ مليون كاثوليكى من مجموع سكان إيطاليا و٧٠٠ ألف مسلم من خارج البلاد ولكن النمو مطرد ، يومياً ترون أناس يريدون معرفة المزيد عن الديانة الإسلامية ويستفسرون عن كيفية التحول إلى اعتناق الإسلام .

فبالأمس جاء واحد واليوم حضر اثنان وهم يأتون من كل الأنحاء ومن شتى الطبقات والأوساط وبمختلف الدوافع .

فالمسيحيون الإيطاليون الذين اختاروا اعتناق الإسلام منهم المهندسون والفنانون والمثقفون والطلاب وحتى إحدى الراهبات .

والبعض قدموا على هذه الخطوة بعد الزواج من شخص مسلم بينما اختارها البعض الآخر لأسباب فكرية أو دينية صرفة .

ولكن أياً كان الدافع الأصلى فكلهم تقريباً يؤكدون أن القرار النهائى رافقه دائماً شعور بالضيق من حياة المجتمع الاستهلاكى الموغل فى ماديته ومن فرط الإجهاد ، وتوق جارف إلى الآفاق الروحية المفقودة فى معظم شرائح المجتمعات الغربية .

ويقول باسكوينى « إن بعض الناس يقررون دخول الإسلام يفعلون ذلك لأنهم مثلما كنت أنا ، يمرون بفترة عصيبة جداً من حياتهم وثمة آخرون يواجهون مشاكل عائلية معنية ، وهناك حتى بعض طلاب المدارس الثانوية أسلموا سراً ويخشون أن يخبروا والديهم ما أقدموا عليه ، ويقول باسكوينى : كنت فرنسية للإجهاد العقلى الفظيع من جراء المنافسة الشديدة الشائعة فى مثل مجتمعنا وبعد فترة بحث طويلة توصلت إلى اكتشاف الإسلام الذى يقول بأن الخضوع لله وحده وهذا ما كنت أنشده إذ وجدت فيه الخلاص من مجتمع نعتقد بأنه حر ولكنه بدلاً من ذلك يرغم أفراده على أن يرزحوا تحت نير العديد من المطالب المختلفة .

ومثل كثيرين غيره اعتنق باسكوينى عقيدته الجديدة بمنتهى الصدق والإخلاص وقد تعلم اللغة العربية كى يتمكن من تلاوة القرآن الكريم والمشاركة فى الحياة الدينية دون ما حاجة إلى ترجمة .

وكان من أهم العوامل التى أسهمت فى إقناع باسكوينى بالتحول إلى الإسلام لقاء تطور بعد ذلك إلى صداقة متينة بينه وبين على أبو شويمة الأردنى المولد ، الذى كان فى ذلك الوقت طالباً فى كلية الطب ويشغل الآن منصب مدير المركز الإسلامى فى ميلانو وهو متزوج من إيطالية قررت اعتناق الإسلام فغيرت اسمها من باولا مورينى إلى خديجة تيمناً باسم السيدة خديجة ـ رضى الله عنها ـ أولى زوجات النبى محمد ﷺ .

وهى تذكر اليوم الذى جازفت فيه بالخروج إلى الشارع محجبة وكان ذلك قبل ١٥ عاماً حين كانت رؤية المسلمات أغرب بكثير مما هى الآن على الإيطاليين عموماً، وعندما دخلت أحد المتاجر سمعت بعض النسوة الأخريات يتهامسن بكلام مثل (أهى راهبة ؟) أو (لعلها تنتمى إلى طائفة ما)، ولكن نظرة الاستغراب هذه لم تعد تضايقنى فأنا واثقة أننى أخذت الطريق الصحيح فأنا أعتبر الحجاب واجباً على النساء وليس من المعقول أن أقبل بجزء من تعاليم القرآن وأنبذ الباقى .

أما جوزينيا واسمها الآن فاطمة ، فكانت راهبة كاثوليكية تدرس اللاهوت ، وتقيم فى دير للراهبات بمدينة مودينا فى وسط إيطاليا ، وبدأت تقرأ القرآن فلما ازداد تعلقها به أخذت تساورها الشكوك حول ديانتها ومهنتها الخاصة ، وظلت تتردد على المركز الإسلامى فى ميلانو ، وأخيراً وبعد إطالة التفكير والتروى تخلت عن الرهبنة ودخلت الدين الإسلامى .

ويعتقد (فرانكو ليتشرزى) الذى يفضل أن يعرف باسم (عمر) أن الأحكام الدقيقة التى أتى بها الإسلام تمكن الإنسان من ضبط النفس إلى حد بعيد مما يؤدى بالتالى إلى تحسن حالته جسدياً وروحياً ، وإذ يسترجع ماضيه قبل أن يتحول إلى الإسلام منذ ست سنوات ؛ يقول عمر : « كنت دائماً أحاول أن أفرض على نفسى الانضباط الذاتى ولكن ذلك لم يدم طويلاً فى أى وقت ، أما خلال السنوات الست الماضية فقد لاحظت على نفسى تحسناً واضحاً فمراعاة مواقيت الصلاة خمس مرات فى اليوم تدفعك أيضاً إلى الفكاك من رتابة العمل اليومى المتعب وتتيح لك فرصة التوقف للتفكير والتمعن فى الأمور حتى لا تتحول إلى شبه إنسان آلى يعيش حياته مثل آلة صماء .

ويضيف : إن هناك ظاهرة تثير اهتمامى الشديد ، وهى الاختلاف المذهل بين كبار السن فى كثير من البلدان الإسلامية وبين أمثالهم فى الغرب ، فالمسلمون هنا يحتفظون بقواهم العقلية والبدنية حتى سن متأخرة جداً فى كثير من الأحيان بل منهم كثيراً ما يتمتعون بحيوية جسدية وذهنية مدهشة بالقياس إلى أندادهم هناك فى بلدان الغرب ، وهذا يرجع غالباً إلى أسلوب الحياة الذى يعتادون عليه منذ الطفولة ، والذى يمكنهم من تفادى الإجهاد العصبى والاستغناء عن الأشياء التى تسمم

أجسامنا وتعود علينا بالضرر فنحن الغربيين فقدنا الكثير من أبعاد حياتنا الروحية ، كما لو كنا غارقين فى سبات عميق ؛ نعم إننا نعيش فى فراغ هائل إلى حد مخيف.

وكان ليتشرزى كمعظم الإيطاليين نشأ على الدين الكاثوليكى ولكنه الآن يقول إنه ظل طيلة سنوات ينتابه شعور غامض بأن حياته ينقصها شيء ما ويقول : كنت عندما أقرأ الإنجيل أتفق تماماً مع كل ما ورد فيه ولكننى رأيت أن الأفعال تختلف عن الأقوال إلى حد بعيد ، فلم يكن الناس يتصرفون وفقاً لتعاليمه .

وبعد سلسلة من الزيارات إلى مسجد نابولى برفقة صديق إيطالى سبق له اعتناق الإسلام ، اقتنع ليتشيرزى بأن الدين الإسلامى سوف يضفى على حياته ذلك الشيء المجهول الذى كان يفتقده .

وقد واجه أصدقاءه بالريبة فى أول الأمر .

ويقول ليتشرزى :كان الموقف صعباً جداً فى البداية ، فالناس انزعجوا مما بدا لهم عملاً غريبًا كهذا وهو كان فى نظرهم خطوة على طريق المجهول وقد نظر الىَّ بعض الأذكياء من أصدقائى بشيء من الإعجاب وإن بقوا على اعتقادهم بأننى لابد مصاب بمس من الجنون » .

وكذلك صعب على زوجتى أن تتقبل الموضوع فى البداية ، وأنا لم أحاول أبداً أن أحملها على ذلك .

★ ★ ★

ويقدر عدد المسلمين الإيطاليين فى العاصمة روما بنحو ٣٠٠ أو ٤٠٠ شخص بينما يصل فى إيطاليا كلها إلى حوالى ٣٠ ألف نسمة .

وكان أبناء الجالية الإسلامية فى روما طيلة سنوات يضطرون إلى الصلاة فى مبنى ملحق بمقر المركز الإسلامى الضيق فى حى نابولى السكنى بالمدينة ، أما الآن (١٩٩١) وبعد أكثر من عشرين عاماً من طرح الفكرة لأول مرة باقتراح من الملك فيصل عاهل السعودية الراحل فإن مسلمى روما يستعدون أخيراً لامتلاك مسجد خاص بهم ، وهو مبنى رائع تعلوه ١٧ قبة ، ويتسع لألفين من المصلين دفعة واحدة.

أما المركز الإسلامى الذى يقوم كمبنى منفصل فى نفس الموقع فهو يباشر الآن أعماله ويضم مدرجات للمحاضرات وقاعة للمؤتمرات ومصلى ومكتبة إسلامية يقال إنها أغنى مكتبة من نوعها فى العالم الغربى كله ، هذا المجمع الذى اشترك فى تصميمه أعظم المهندسين المعماريين الإيطاليين ، وقد كلف بناؤه أكثر من ٤١,٥ مليون دولار أمريكى وتكفل بنفقاته صندوق مالى مشترك ساهمت فيه أكثر من عشرين دولة إسلامية ، أما الأرض فقد تبرعت بها بلدية روما وهى تقع على تلال فونتى نيتنبى المكسوة بغابات الصنوبر فى إحدى أجمل بقاع العاصمة الإيطالية .

يقول باسكونبى : إن الإسلام يسمو على الفوارق الثقافية والعرقية » .



مسلم جديد

يوسف إسلام بدلاً من كات ستيفنس المغنى

« نشأت فى المجتمع الغربى الذى لا يهتم إلا بالماديات ويمنحها المكانة الأولى فى حياة الإنسان ، إلا أننى فى أعماقى كنت غريباً عن هذه الماديات وكنت أحس أن شيئاً ينقصنى ولم أكن سعيداً ولم أشعر بالراحة والأمان إلا بعد أن أسلمت ووجدت فى دينى كل ما كنت أبحث عنه من سعادة واطمئنان كنت أبحث عن معنى الوجود وسر الحياة من خلال الفن .

كسبت شهرة فائقة ، وانغمست فى مظاهر الحياة وارتكبت كل ألوان المباذل التى أسفت لها وأخيراً جاءتنى رحمة الله (تبارك وتعالى) فى صورة مرض خطير ألم بى ، لقد أصبت بمرض السل نتيجة انغماسى فى كل مظاهر اللهو والفساد المنتشرة فى المجتمع الغربى وخاصة فى أوساط النجوم والفن ولمدة عام كان على أن ألزم المستشفى لأتلقى علاجاً مكثفاً ، وكان هذا العام فرصتى التى منحنى الله إياها للنجاة ، بدأت أفكر وأتأمل وأستخلص حقيقة واحدة هى أن الجسد لا سلطان للإنسان عليه بينما الروح هى السر الخالد الباقى ، تولدت عندى فكرة دراسة الروحانيات والقوى الخفية فاتجهت إلى قراءة الفلسفات للشرق الأقصى .

بدأت أشعر بالراحة ولكنى لم أجد كل الإجابة على تساؤلاتى وكان شعورى بوجود قوة مسيطرة على العالم يقوى يوماً بعد يوم ، وخرجت من المستشفى وأنا مازلت حائراً إلى إن شاء الله سبحانه وتعالى أن يقوم شقيقى بزيارة مدينة القدس وزيارة المسجد الأقصى ، وبمجرد أن دخل المسجد شعر بإحساس غريب من السلام والطمأنينة يسود نفسه فكتب لى يتساءل عن هذا الدين الذى لا يعرف عنه شيئاً « الإسلام » .

وعند عودته حرص على أن يقتنى نسخة من القرآن الكريم باللغتين الإنجليزية والعربية ولحسن حظى ولأن الله أراد أن ينير لى حياتى فقد أهدانى أخى نسخة من القرآن الكريم لأقرأها ، وقرأتها فشعرت أن هذا الدين هو ما كنت أبحث عنه وأن هذه الهداية إنما أرسلها الله لى ليرشدنى إلى الطريق القويم ، فقررت أن أعتنق الإسلام والحمد لله بعد قراءتى للقرآن مباشرة اعتزمت أن أدخل الإسلام خلال عام ونصف ، أقرأ القرآن الكريم وأعيد قراءته وتدبر معانيه ، وبدأت أتجه أكثر للقراءة عن الإسلام وأجهد نفسى لمعرفة الشعائر لممارسة الصلاة مثلاً ، ولكن كانت الصعوبة التى تواجهنى هى فى عدم اتصالى بالمجتمعات الإسلامية الموجودة فى لندن فاتجهت إليها والتقيت بالإمام ونطقت بالشهادتين وبدأت أؤدى الصلاة والصوم والزكاة واندرجتُ فى مجتمع إخوانى المسلمين فى لندن .

كنت ما أملك من مظاهر المدنية الحديثة ، كنت خاوى النفس تعيساً أما الآن فقد عرفت طريقى والحمد لله ، أن أجمل ما فى الوجود هو رضا الإنسان عن نفسه ، ورضاه عن علاقته بخالقه الكريم .

★★★

كنت المطرب الأوربى الذى نال الشهرة ، أملك ملايين الدولارات ، هذه الدولارات لم تحقق الاطمئنان النفسى ، وجلبت الحزن والكآبة حتى كادت تتقاذفنى مهاوى الجنون والأمراض النفسية ، إن القرآن هو الذى دعانى للإسلام فأجبت دعوته .

أما الكنيسة التى حطمتنى وجلبت لى التعاسة والعناء فهى التى أرسلتنى لهذا القرآن عندما عجزت عن الإجابة عن تساؤلات النفس والروح ، قرأت قوله تعالى :

﴿ **يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى** ﴾ [الروم : ١٩] فبدأت قصة انتقالى للإسلام .

الموسيقى دينى السابق والإسلام دينى الحاضر ، كان عندى إيمان بالله ولكن الكنيسة لم تعرفنى ما هو الإله وعجزت عن إيصال حقيقة هذا الدين الذى تتحدث عنه ، كانت الفكرة غامضة وبدأت أفكر فى طريقى لحياة جديدة وكانت معى كتب عن العقيدة والشرق ، وكنت أبحث عن السلام والحقيقة ، بدأت أفكر فى السعادة التى لم أجدها فى الشهرة ولا فى الكنيسة فطرقت باب البوذية والفلسفة الصينية وآمنت بالنجوم والتنبُّؤ بالطالع ، ولكنى وجدت كل ذلك هراء ، ثم انتقلت إلى الشيوعية ظناً منى أن الخير فى تقسيم ثروات العالم على الناس .

ولكنى شعرت أن الشيوعية لا تتفق مع الفطرة فالعدل أن تحصل على عائد مجهودك ، ثم اتجهت إلى تعاطى العقاقير المهدئة وبعد فترة أدركت أنه ليس هناك عقيدة تعطينى الإجابة وتوضح لى الحقيقة التى أبحث عنها ، ثم تبين لى أنى ما زلت لا أعرف عن الإسلام شيئاً ، فبقيت على معتقدى وفهمى الأول الذى تعلمته من الكنيسة حتى عدت بفكرى إليها بعد أن انسلخت منها إلى البوذية والصينية والشيوعية ، وانطلاقاً من الفكر الغربى المستمد من تعاليم الكنيسة الذى يوحى للإنسان أن يكون كاملاً كالإله إذا أتقن عمله أو أخلص له .

وفى عام ١٩٧٥ حدثت المعجزة بعد أن قدم لى شقيقى الأكبر نسخة من القرآن الكريم هدية وقد بدأت أفكر فى الإسلام الذى هو فى نظر الغرب عنصرى عرقى ، وأن المسلمين أغراب أجانب وليس هناك وضوح للمسلمين فى عقيدتهم ، ومن أول وهلة شعرت أن القرآن يبدأ باسم الله وليس باسم غير الله ، وعبارة بسم الله الرحمن الرحيم كانت مؤثرة فى نفسى ، إن القرآن قد بدأ بعبادة الله الواحد رب العالمين جميعاً مؤكداً وحده الحقائق والمخلوقات وليس له شريك يقتسم معه القوة ، وهذا مفهوم جديد : (الله على كل شىء قدير) واقترن ذلك بالإيمان باليوم الآخر وأن الحياة الآخرة خالدة ، إذن أنت لست كتلة من اللحم تتحول إلى رماد يوماً كما يقول علماء الحياة ، وإن ما نفعله فى هذه الحياة يحدد الحالة التى ستكون عليها فى الحياة الأخرى .

لم أجد على القرآن اسم مؤلف وحاولت أن أبحث عن أخطاء فى القرآن فلم أجد، كان كله منسجماً مع فكرة الوحدانية الخالصة ، وجدت فيه أسماء الأنبياء الذين شرفهم الله وكرمهم ولم يفرق بين أحد منهم لو فضلت نبياً على نبى ، لدمرت وحدة الرسالات ، لقد فهمت أن الإسلام هو نفس الدين الذى أوحى به إلى الخلق منذ عهد آدم ، وأن الناس كانوا على مدى التاريخ صنفين : إما مؤمن وإما كافر .

لقد أجاب القرآن على كل تساؤلاتى وبذلك شعرت بالسعادة ؛ سعادة العثور على الحقيقة ، ﴿ **لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى** ﴾ [البقرة : ٢٥٦].

ولما أشهرت إسلامى أحسست أنى ولدت من جديد وعرفت إلى أين أسير مع إخوانى من عباد الله المسلمين .

لقد اتجهت للإسلام من أفضل مصادره وهو القرآن ، ولو أن إنساناً دعانى للإسلام لرفضت دعوته بسبب أحوال المسلمين المتردية وما تشوهه أجهزة إعلامنا فى الغرب .

ثم درست سيرة الرسول ﷺ فأدركت الثروة الهائلة فى حياة الرسولﷺ ، إن الرسول محمداً ﷺ دعا المسلمين إلى أن لا يفعلوا فعل النصارى مع عيسى عليه السلام ، نحن نحب الرسول ﷺ لأن الله يحبه ولأنه جاءنا بالرسالة من عند الله ، قال ﷺ : « لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من أهله وماله والناس أجمعين » . لقد نسيت الموسيقى وهى مما لا يرضاه الإسلام الذى يحث على بناء الرجال ، علينا أن نبنى أسرنا وأولادنا وأزواجنا كما يريد الله وليس أن نهدم الأسر والأولاد والبنات بالموسيقى والغناء الذى يلجئون إليه عندما تعجز المعتقدات الباطلة عن توفير الطمأنينة والسعادة فى نفوسهم ، أما الملايين التى كسبتها فقد وهبتها للدعوة الإسلامية ، وأقول لكل إنسان غير مسلم أن يقرأ القرآن بحياد وموضوعية دون تحيز لمعتقده أو للمسلمين فإنه سيجد فيه ما يقنعه وسيجد أنه كلام الله تبارك وتعالى .

وقد أدى انعزال الدين المسيحى عن حياة الناس هناك إذ إنه كان محارباً لهذا التقدم مناهضاً له ، ثم لم يلبث أن قدم مقالات كثيرة شوهت معالمه وغيرت مبادئه ، واتخذوه ديناً لهم بدلاً من النصرانية ، وحاربوا دينهم وعادوا كل دين .



كيف ينظر الغرب إلى الإسلام

بقلم : يوسف إسلام

تأكد الغربيون على ما توفر لديهم من معلومات عن الإسلام ، وكانوا من قبل يعتمدون على الكتاب المشوه واليوم يعتمدون على وسائل الإعلام المسموعة والمرئية وكلها كما لا يخفى بيد أعداء الإسلام ، فإلى عهد قريب كان أكثر من ٢٨٠ من الكتب الإنجليزية المؤلفة عن الإسلام هى من تأليف كتاب غير مسلمين .

الإسلام دين العنف فى نظر الغربيين الذين لا يعرفون حتى دينهم إذ إنهم يعتمدون على القساوسة والرهبان الذين يصوغونه لهم كما يشاءون ، فإذا جهل هؤلاء القوم دينهم فكيف يعرفون الإسلام ، فنظرة الغربيين إلى الإسلام يقوم على أساس نظرتهم إلى الحياة وإلى الدنيا وهى نظرة مادية صرفة فكل ما يرونه من الدنيا هو ظاهرها وقشورها فقط ولا يرون الإسلام إلا هو فن العمارة ، وما خلفه القدماء من ملابس وغيرها .

كانت لى فكرة سابقة عن الإسلام مفادها أنه قومية معينة ، أو أنه دين جنس محدد كالعرب والأتراك ولا شيء غير ذلك ، كما أن الإسلام فى الغرب يصور على أنه دين العنف وأن المسلمين عبارة عن رجال سمر عابسين يشهرون أسلحتهم فى وجه الرجل الأبيض الطيب القلب تماماً كما فى صورة الهنود الحمر تجاه رعاة البقر فى العالم الجديد .

ولذلك فإن على المسلمين أن يغيروا هذه النظرة ، ولنبدأ بالسلوك وأول مظاهره الابتسامة ، فالرسول ﷺ يقول « تبسمك فى وجه أخيك صدقة » لكى نفهم عقلية الإنسان الغربى لا بد أولاً من فهم مكونات هذه العقلية ، إن المجتمع الغربى مجتمع وثنى فهو يجهل الله ولذلك يؤلهون الإنسان كما هو الحال فى تراثهم الشعبى عن الأساطير والصور والتماثيل التى لا تزال تملأ ساحاتهم ، ولما جاءت النصرانية أخذت تتكيف مع التراث اليونانى الغربى فقد حولوا نظرتهم إلى الإنسان الإله وأطلقوها على

عيسى عليه السلام وخلعوا عليه صفات الألوهية ، وبذلك أوقع الغربيون أنفسهم فى مشكلة كانوا فى غنى عنها إذ نظروا إلى أن الإنسان كامل وبوسعه أن يصل إلى الكمال ، ولما يفاجئهم الواقع بأن الإنسان خطاء وأنه ضعيف وأن الكمال لله وحده لفقوا قصة الفداء وألصقوها بعيسى وقالوا بأن الله أرسل ابنه للتكفير عن خطايا البشر.

لقد كنت أعانى من هذه النظرة وأنا طالب بالمدرسة إذ كنت أعتقد أننى إنسان كامل لا يخطئ أبداً ، وكنت أتعرض لأزمات بسبب عدم التوافق بين هذا التصور المثالى الزائف للنفس وبين واقع الحياة ، وقد اكتشفت بعد إسلامى أن المسلمين أناس واقعيون يقرون بضعفهم البشرى ولا ينسبون الكمال إلا لله تبارك وتعالى .

★ ★ ★

الباحث عن الحقيقة فى الغرب

لماذا يعتنى الغربيون بالإسلام :

يقول محمد أمان هوبوهم (ألمانيا) :

هناك أسباب عديدة : إن الحقيقة ذات قوة غلابة دائماً ، فمبادئ الإسلام على أصالتها مبادئ إنسانية وطبيعية وجذابة لدرجة أنها تؤثر فى الباحث عن الحقيقة تأثيراً فعالاً ، ولنضرب على ذلك مثلاً :

مبدأ التوحيد وكيف يرتفع بكرامة الإنسان ويحرره من آثار الخرافات وكيف يتحقق مبدأ المساواة بين بنى البشر على أساس أن الله (تبارك وتعالى) خالقهم وأنهم عبيد لإله واحد ، والإيمان بإله واحد بالنسبة للألمان بوجه خاص يعتبر مصدراً للإلهام والشجاعة التى لا تعرف الخوف والأمان الذى ليس بعده أمان .

والإيمان بالحياة بعد الموت له أثر فعال فى مقاييس البشر فليست الحياة الدنيا هدفاً لذاتها بل إن كثيراً من نشاط الإنسان لابد من قصره على إصلاح أمورنا فى الدار الآخرة والإيمان بيوم الحساب ، فضلاً عن ذلك يحث الإنسان على أن يبتعد عن الرذائل وتشجعه على الإتيان بفضائل الأعمال وحدها فهى الضمان الوحيد للنجاة من النار فى يوم الحساب والإيمان بأن كل إنسان لابد أن يحاسب أمام إله

عادل غير متحيز وقادر على كل شيء يجعلنا نفكر مرتين قبل أن نرتكب الآثام وهذا يعتبر أكفأ وأكبر قوة رادعة فى العالم .

والشيء الثانى الذى يجذب الغربيين إلى الإسلام هو تأكيد مبدأ التسامح فضلاً عن أن الصلاة اليومية تعود الإنسان المواظبة كما أن شهر الصيام يعلم الإنسان ضبط النفس وسيادته على عواطفه وحواسه .

إن أعظم ما أنجزه الإسلام هو نجاحه فى تكوين روح مراعاة الحدود الأخلاقية فى نفوس متبعية من غير إكراه أو ضغط خارجى فالمسلم أياً كان يؤمن تمام الإيمان بأنه خاضع لله تبارك وتعالى فى أقواله وأفعاله ، وهذا الشعور يبعده دائماً عن الخطيئة ، وبما أن الإنسان يميل بفطرته إلى الخير ، فإن الإسلام يقدم لأتباعه سلاماً فى القلب ، وسلاماً فى العقل ، وهذا يفتقده المجتمع الغربى المعاصر ، فقد عشت تحت نظم مختلفة هى نظم الحياة كما أتاحت لى الظروف أن أدرس مذاهب مختلفة، والنتيجة النهائية التى انتهيت إليها هى أن الإسلام هو الدين الكامل بلا مراء فالشيوعية فى جوانبها الخداعة التى تجذب البسطاء ، كما أن الديمقراطية الغربية لها عشاقها ولكن لا يوجد مذهب نظر إلى الحياة نظرة نبيلة متكاملة كما نظر إليها الإسلام ، ولذلك انجذب الناس إليه . .

والإسلام ليس دين نظرى بحت ، ولكنه دين عملى قام على الأصالة وهو ليس مجزءاً إلى خلايا وأقسام ولكنه « **خضوع كامل لإرادة الله تبارك وتعالى** » .

الإسلام يقتحم الوجدان الغربى :

يقول محمد صديق المسلم الألمانى : لقد كان الإسلام بالنسبة لى كعملية استكشاف لفطرتى ، لقد اكتشفت أن الإسلام كمنهج حياة كان ينسجم من كافة الوجوه مع فطرتى البشرية : ﴿ **فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون** ﴾ [الروم : ٣٠] .

إن هناك مسلمين فى الغرب والشرق على السواء يعربون عن إعجابهم بالحضارة الغربية بل ويحاكونها محاكاة عمياء ، فعلى هؤلاء أن يتذكروا ما قاله (برتراند راسل) الفيلسوف الإنجليزى بأن الناس فى الغرب غير قادرين على تطوير

الجانب الإنسانى من الحياة بالكمية نفسها التى تتقدم بها الناحية المادية وأن كل خطوة إلى الإمام فى المخترعات المادية هى خطوة نحو فناء الإنسان ، فعلينا أن نكون دائماً على يقظة فلا نلقى بأنفسنا تحت رحمة هذه الحضارة ، إن علينا أن نأخذ منها ما ينسجم وإسلامنا ونلقى عن كواهلنا عفنها وفسادها .

وهذا أمر ممكن وميسور حين نؤمن بالإسلام عن بينة وهدى والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم إن الحضارة الغربية لا تضع حلاً لغير مشكلات الحياة المادية ونحن نشاهد أثرها المدمر على الحياة الإنسانية فقد تحطمت الأسرة كما جمدت صلات المودة بين الأفراد ، ولذا فإذا شئنا أن نكون بشراً بحق أن نتصرف تصرفات إنسانية وأن نعرض إعراضاً كاملاً عن التقليد الأعمى للحضارة الغربية .



الزعيم الزنجى المسلم
لويس فرقان قائد المسيرة المليونية

خرجت من ظلام الأندية الليلية إلى نهار الإسلام المشرق ، انتظر اليوم الذى يعتز فيه السود تجاه أمريكا .

فتح عينيه على عالم الموسيقى والرقص والغناء ، وكان أبرز أفراد كلية بوسطن مغنياً معروفاً وراقصاً مشهوراً .

أشرقت أمامى الدنيا عندما قابلت مالكوم إكس ، وأصبحت مسلماً فتركت عالم الأندية الليلية بلا رجعة ، سافرت آلاف الأميال لأجل الوعظ والإرشاد ، وتكوين الحركة الإسلامية ، وهى المدن الرئيسية للنشاط والقوة اليهودية ، ورأيت محاولة إخواننا السود فى استغلال قوتهم الذاتية لإيجاد القوة الاقتصادية أو السياسية لتغيير الاتجاه السياسى للولايات المتحدة .

سأعكف على دراسة القرآن والسنة النبوية وسيرة الرسول ﷺ وتنمية مجموعة إسلامية تكون بإذن الله النموذج الأمثل للمجتمع الإسلامى فى الغرب .

إن المسلمين فى أمريكا يمثلون قوة كبرى فى المجتمع الأمريكى وهى جزء من مجتمع يعتبر بمقاييس هذا العصر متقدماً ومنظماً وبالتالى فإن درجة المعرفة لدى

المسلمين لهـا عـائدها ، فى أمـريكا وفى العـالـم الذى تؤثر فـيـه أمـريكا بمكانتـهـا الحضارية .

وهناك مخاوف كبيرة بسبب هذا النمـو الإسلامى من جانب الحكومة ومن الصهيونية ، ولأن أمريكا لا تريد قيام مجتمع إسلامى له مكانته وقوته – خاصة بين السود – فإنها تعمل ما فى وسعها لتقسيم وتجزئة هذا المجتمع الإسلامى حتى يكون ضعيفاً وغير مؤثر .

وبالفعل هناك تقسيمات كثيرة فى الجسم الإسلامى فى أمريكا وقد تنبهت لذلك ومع العمل الجاد من أجل الوحدة بين المسلمين ليكونوا قلعة قوية موحدة تجمع وتنظم كل العمل الإسلامى فى أمريكا .

وتقع الانقسامات بين المسلمين فى أمريكا فى إطار الأيديولوجية وأحياناً فى نطاق مشاكل الأئمة والعلماء واختلافاتهم المعروفة وأحياناً هناك مسائل التفسير وتوضيح بعض المعانى فى ترجمة معانى القرآن وأحياناً تكون فى نطاق الاختلافات المعهودة بين المذاهب الفكرية الإسلامية .

وخلال العشر سنوات الأخيرة لهذا القرن حدث تقدم عظيم للإسلام فى أمريكا من كل من السود والأقليات المضطهدة .

والحقيقة أن اليهود يعرفون حقيقة إيمان المسلمين بالنبى عيسى عليه السلام وغيره من الرسل والأنبياء ويرون أنه إذا ما تحققت عودة نبى الله عيسى إلى الأرض مرة أخرى فإنها لا شك ستكون آية للمسلمين لكى يتخذوا مع المسلمين فى ظل دين واحد ، واليهود يخافون دوماً الظهور مايسمى بالمسيح أو المهدى بين المسلمين لأنه سيكون إعلاناً لنهايتهم فهم يعملون لتدمير الزعامات السوداء فى أمريكا أو الكاريبى أو فى القارة الأفريقية ويخططون لتدمير الزعامة الإسلامية .



أنا واحد من تلاميذ المعلم إليجا محمد الذين تابعوا وطوروا خطاه فى مجال الدعوة إلى الإسلام وإلى تجميع الجهود نحو توسيع مجال انتشار الإسلام فى أمريكا ، وإن أسوأ ما يحاوله أعداؤنا الآن هو إشعال الفتنة بين الإخوة ليقتل بعضهم بعضاً .

وهذه الصورة موجودة الآن فى الحرب بين العراق وإيران وبين الشيعة والسنة فى لبنان ، وفى عدد من أجزاء العالم الإسلامى الأخرى .

★ ★ ★

كنت مسيحياً فى معظم صباى ، أى حتى بلغت الحادية والعشرين من عمرى، ثم بدأت ألاحظ الكثير من المتناقضات فى الديانة المسيحية .

قال إليجا : لو أن محمداً ﷺ كان حياً ، وعلم أننا تحت هذا القهر الإنسانى ، فإن المحيط الهندى لن يقف أمام مجيئه إلى هنا لكى ينقذنا . وهذا جعلنى أحب الرسول ﷺ وأؤمن بكل أحاديثه فى الوقوف ضد الظلم وضد المتجبرين ، ولو حمل البليون مسلم فى عالم اليوم تعاليم الرسول ﷺ فى قلوبهم واستشعروا هذه المعانى فى نفوسهم فإن كل طغاة العالم سوف يقهرون ويهزمون .

ماهى حصتكم فى بناء المجتمع المسلم فى أمريكا ؟

عندما يصبح المجتمع المعان قادراً على كفالة نفسه اقتصادياً فإنه بالإمكان إعادة الأموال التى اقترضها لتعود بالنفع إلى جهة أخرى ، ولدينا من المسلمين كفاءات اقتصادية عالية يمكن الاستفادة من خبراتها لإرساء قاعدة التنمية الاقتصادية لأى مجموعة إسلامية بحيث يكون يكل مجموعة مسجدها الخاص ومدرستها ومشاريعها الزراعية والصناعية ، ونأمل أن تكون اللغة العربية منهجاً رئيسياً ضمن برامج تعليم الأطفال ، ونطمع فى إرسال المبرزين منهم إلى مكة المكرمة لدراسة اللغة والدراسات الإسلامية الأخرى فنضمن أن يكون الجيل الثانى مشبعاً بالمعرفة الإسلامية الأصيلة التى لم نجد نحن الفرصة الكافية لأخذها .

★ ★ ★

مليون مسلم أسود فى أمريكا :

أسلم كثير من مليون أمريكى أسود خلال السنوات القليلة الماضية حيث ينتشر الإسلام ويجتذب كثيراً من الأمريكيين من أصل أفريقى وآسيوى وأوربى .

قال رئيس مجلس المساجد فى أمريكا :

إن الإسلام أصبح أكثر الأديان قبولاً وأهمية وشعبية فى أمريكا ، ويعيش فى

الولايات المتحدة ستة ملايين مسلم معظمهم من أصل آسيوى وأفريقى ، ويعتقد أن ٨٠٪ من المسلمين هم من الأمريكيين السود ويتركزون فى نيويورك وشيكاغو ولوس انجلوس وديترويت وأوهايو .

وقد أقام المسلمون العديد من المراكز الإسلامية و ٥٣٦ مسجداً فى عدد من المدن ، ويقومون بنشاطات كثيرة لنشر الدعوة الإسلامية ، وفى مدينة نيويورك وحدها ١١٢ مسجداً ، وكان فيها عام ١٩٥٣ ثلاثة مساجد فقط .

★ ★ ★

مجتمع إسلامى متكامل داخل أمريكا :

٤٠ مدرسة لا تكفى لتعليم أربعة ملايين مسلم أمريكى:

يتحدث المهندس نور الدين دوركى رئيس منطقة دار الإسلام بولاية نيو مكسيكو بالولايات المتحدة عن المجتمع الجديد الذى زرع فى بلاد الكفر حوالى ١٣٠٠ فدان تقريباً ثم أنشئت دار الإسلام منذ خمس سنوات مشروعاً تعليمياً تربوياً إسلامياً على منهج الإسلام .

وإنه يفكر فى عمل أروقة على غرار أروقة الأزهر ليعلم طلاب المسلمين فى جميع المراحل ، والعمل الآن يركز على استكمال نقص الأبنية والمدرسين المتخصصين حيث يوجد ٤٠ مدرسة إسلامية فقط .

وإلى جانب التربية يجرى توضيح وشرح وتصحيح الصور الوهمية التى ارتبطت فى ذهن الأمريكى عن الإسلام ، ولذلك فنحن نطرح له واقعاً إسلامياً حياً واجتماعياً يراه قبل أن يقرأ عنه .

لقد استقبلنا فى السنوات الخمس الماضية مئات الأمريكيين الذين جذبتهم أخلاق المسلمين وحلاوة العمل الإسلامى ، هؤلاء الرواد الذين جاءوا لمعرفة أحوالنا لم يرو المسلمين كما صورتهم لهم وسائل الإعلام ، فقد كانت الفرصة متاحة لمعايشة الناس والبيئة وطريقة الحياة الإسلامية والنشاط والعمل الإسلامى ، وفى كل مرة يطرحون علينا أسئلة جديدة ويسمعون إجابات عليها ، ويجدون إكرام الضيوف والمعاملة الحسنة وبشاشة الوجه ، فما كان منهم إلا أن نطقوا بالشهادة وأشهروا إسلامهم .

إن الغرب اليوم فى ظمأ وجوع شديد للروحانية وهناك تطلعات كبيرة لهذا الأمر يجدونه فى الإسلام فإنهم يقبلون عليه .

يقول أشهر رجل اقتصاد (كريستوفرشامونت) أحمد الآن :

لقد وجدت فى الإسلام ما كنت أبحث عنه وأى مشكلة يواجهها الإنسان يجد حلها فى القرآن الكريم .

الإسلام هو الذى يخاطب عقل الإنسان ويضع يده على بداية الطريق لتحقيق السعادة فى الدنيا والآخرة ، لقد وجدت أخيراً ما كنت أبحث عنه بشأن عملية التثليث حينما قرأت فى القرآن الكريم ، إن المسيح رسول الله وأنه بشر ، وهناك إله واحد فقط هو المستحق للعبادة والطاعة وأن العالم الغربى الآن قد بدأ يدرك أن الإسلام هو الدين الذى يحل جميع مشاكل البشر .



حوار مع إنجليزى مسلم

ترنتس جيفن (محمد عطاء الله) من أصل أيرلندى

زار صديقه الذى أسلم فى مدينة (لوزيتش) شرق إنجلترا ، كان الإسلام عنده كلمة لا معنى لها قبل ذلك ، ثم ماذا بعد ذلك ؟ إننى فى صلاتى أجد الرضا والراحة النفسية التى لم أكن أشعر بها إطلاقاً قبل إسلامى ، إننى أنتعش بالصلاة عندما تعلمت أن الله خلقنا لنعبده ، والصلاة عماد الإسلام .

أشعر أننى منسجم مع الكون كله ومتجانس مع ما خلق الله فيه ، وكلما زدت عباداتى زادت درجة إيمانى ومعرفتى رتعلقى بالله ، وكلما ازددت قرباً من ربى ازددت اكتشافاً لنفسى ، وكل يوم يمر على أكتشف شيئاً جديداً كان خافياً على قبل إسلامى وكلما ازددت اتباعاً للرسول صلى الله عليه وسلم أشعر بأننى ازددت قرباً من ربى .

قبل إسلامى اتجهت إلى الفن ، كان الفن حياتى ، تركت هذا بمجرد أن

دخلت الإسلام ، فقد فقدت إحساسى القديم بالفن وأصبح الفن بالنسبة لى لايساوى شيئاً .

فى إنجلترا كلهم مخدرون ويحيطون أنفسهم بأسوار من الوهم ويعتقدون أنهم يشبعون أرواحهم بما يتعاطونه من المخدرات والخمر والموسيقى .

إن ٩٥ ٪ من الشعب الإنجليزى ملاحدة ولا يمارسون المسيحية ، وكل ما يوجد فى التليفزيون عن الإسلام والمسلمين يجعل الشعب الإنجليزى يرفض الإسلام كدين ويرى المسلمين على أنهم قتلة وقطاع طرق وثوار همج وإرهابيون .

رأينا فى المغرب أن الشباب يعود إلى الإسلام من جديد وبسرعة محسوسة نتيجة معرفته بخطورة اتباع النمط الأوربى للحياة وفقدانه الثقة فى الحضارة الأوربية فى جوانبها الإنسانية .

لم يعد التحلل والانفلات من القيم الخليعة يبهر الشباب الإسلامى ، ثم حالة الإحباط الشديدة التى تسيطر على الواقع الإسلامى المعاصر جعل الشباب يتجه نحو الإسلام كطريق خلاص ومخرج من هذا المأزق الذى تعيشه المجتمعات الإسلامية فى النصف الثانى من هذا القرن .

إن أخطر ما يملكه المسلمون هو الثروات الضخمة ولكن بدل أن تكون عامل إصلاح وقوة صارت عامل إفساد فالرشوة والفساد والاختلاسات والترف تنخر فى عظام الشعوب الإسلامية .



الحضارة الغربية خلت من المضامين الروحية

[جريدة الاتحاد (أبو ظبى) ٢٤ / ١٢ / ١٩٨٥]

يقول ستيف جونسون : حديث قدسى هدانى إلى الحق والإسلام .

: فراغى الروحى قبل الإسلام جعلنى أدمن المخدرات .

: الكنيسة تستغل المدارس والمستشفيات لتنصير الآخرين .

يقول : عندما كنت أحضر للدكتوراة فى الفلسفة ابتداء من عام ١٩٧٩ وكنت قبل ذلك قررت أن أكون قسيساً كاثوليكياً ، عملت مدرساً مساعداً فى كلية التربية بجامعة إنديانا ، ولقد حدث أول لقاء لى بالمسلمين عندما تعرفت على أحد الإخوة المسلمين من الإمارات وكان يدرس فى ذات الجامعة ولفت نظرى حرصه على تأدية العبادات الإسلامية ، والتمثل بالأخلاق والمعاملات والأوامر التى يأمره بها الإسلام .

عرفنى هذا الأخ ذات مرة على المسجد وكانت المرة الأولى التى أشهد فيها مثل هذا الجمع يؤدون عبادتهم بهذه الطريقة كانت صلاة الجمعة تقام حينذاك ، وكانت طريقة الصلاة والجو المحيط بها واجتماع الناس فيها يعطى انطباعاً بأن هذا الدين يختلف عن الذى ألفناه فى طقوس الكنائس .

وبدأت أهتم بهذه الطقوس الإسلامية من صلاة وصيام ومن باب الفضول وحب الاستطلاع فى تلك المرحلة قرأت لفلاسفة مسلمين كابن رشد وابن سينا وخاصة الأول الذى كنت أهتم بكتاباته لطبيعة دراستى ، وفى الجامعة كان أحد الدكاترة يدرس مساقاً عن الإسلام فسجلت فيه ولكن العرض المشوه الذى كان يقدمه جعلنى أخرج فى النهاية أكثر كرهاً للإسلام من قبل أن أعرفه .

وكنت أرى فى هذه المرحلة أن الإسلام متشنج يرفض المحبة والتسامح على عكس النصرانية واعتبرته رجعة إلى القوانين والتشريعات اليهودية المتزمتة والمتشددة ، ولذلك لم أهتم به بعد ذلك ولم أجد فيه جديداً منفرداً إلى أن أعطانى هذا الأخ المسلم كتاباً عن

الأحاديث القدسية فقرأت فيه حديثاً عن الله تبارك وتعالى يقول فيه لعباده :

« يا عبادى إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعاً فاستغفرونى أغفر لكم » .

عندئذ أحسست بعظيم المحبة والرحمة الإلهية فى هذا الحديث لدرجة أننى ظننت أن المسلمين فقد اقتبسوا ذلك من النصرانية ثم لما تمعنت فى البحث والقراءة وصلت إلى قناعة فكرية بأن الإسلام هو دين المحبة والرحمة الإلهية ، لكن ارتباطى الوجدانى بالمسيح عليه السلام واعتقادى الذى رسخته السنوات السابقة إنه مركز الرحمة والمحبة والفداء والإخلاص جعلنى أستغرق وقتاً لأصل إلى صفاء فكرى ونقاء إعتقادى وفق ما أتى به الإسلام وتخلصت من هذه العقدة لأدخل فى الإسلام عن قناعة كاملة وفكر خالص متحرر من الرواسب الكنسية المنحرفة .

★ ★ ★

لا شك أن تغييرات أساسية فى سلوكى قد طرأت عند اعتناقى الإسلام لكن الصلاة بالذات لم تكن تغييراً أساسياً بالنسبة لى شخصياً لأننى كنت قد اعتدت على الصلاة والمناجاة ولو بصورة مغايرة أثناء سعيى لكى أكون قسيساً ، التغيير الأساسى من ناحية السلوك عندى أننى كنت مدمناً على المخدرات والخمور ، فكان ترك هذا الإدمان هو التغيير الأساسى فى حياتى الشخصية .

كنت أحس بفراغ نفسى هائل ، فلما دخلت الإسلام أحسست بامتلاء هذا الفراغ ، ولم يعد هناك داع لملئه بالخمور والمخدرات ، أما الأصدقاء فقد نظروا إلىَّ نظرة استنكار واعتبرونى مجنوناً ، أما القساوسة ورجال الكنيسة الذين كنت فى مجموعة دراسية معهم فقد استمر ارتباطى وثيقاً بهم ؛ ولأن العلاقة بيننا فكرية ودراسية بالدرجة الأولى ، فقد اهتموا بإسلامى وما زالت المداولات والنقاشات بيننا ، بل إن أحدهم يقرأ ويطلع بشغف عن الإسلام ويفكر فى اعتناقه بالفعل ، ولقد دخل الكثيرون فى دين الله ولا يزالون يدخلون .

س : هل كنت تتلقى برنامجاً معيناً من أجل هذا الغرض ؟

ج : الكنيسة الكاثوليكية تستخدم فى العادة طرقاً أخبث من غيرها فى مجال

التنصير ، حيث يتسللون بواسطة المدارس والمستشفيات إلى البلدان الأخرى ، ويجعلون الآخرين يعتمدون عليهم فى هذا الأمر ومن خلاله تبث الأفكار النصرانية بسهولة سواء للطفل فى المدارس وللمريض المحتاج فى المستشفيات ، لقد كنا على قناعة أن الطفل الذى لم يجاوز ثمانى سنوات يعتبر بحكم النصرانى فيما لو قدر له الوقوع تحت تأثير المبشر فى المدرسة .

هناك بعض الكنائس البروتستانتية تحاول فى مسعاها التنصيرى أن تشوه الإسلام فى نظر الآخرين ، وتستخدم لذلك أساليب سخيفة ، كالتلاعب ببعض آيات القرآن أو تبديلها وتحريفها ، ويحاولون تشويه سمعة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ولقد قام معهد زويمر فى كاليفورنيا بتدريب ثلاثة آلاف منصر للعمل فى العالم الإسلامى فقط ، وهؤلاء يعكفون على دراسة تفاصيل الإسلام ، ويأخذون الماجستير فى عالم اللاهوت أو فى الإسلام ذاته ، ويعمدون بعد ذلك إلى انتقاء النصوص الإسلامية واجتزائها لتشويه معانى الإسلام الحقيقية .

س : الحضارة الغربية هى الوحش الذى غزا عقول الأمم الأخرى مثلما غزا مقدراتها وهيمن على سياستها ، كيف تنظر إلى هذه الحضارة وأنت أحد أبنائها ؟

ج : الحضارة الغربية ليست ذات معنى وإن كان مظهرها الخارجى براق الملامح، فهى لا تحمل أية مضامين ، لكنها تنجز وتنتج أعمالاً مدنية تكنولوجية ، لكن جميع هذه الإنجازات لا تحمل أى معنى وليس هناك من هدف تخدمه باستثناء الربح المادى .

إذا نظرنا إلى مسيرة هذه الحضارة وتتبعنا آثارها وجدناها غاية فى السوء ، فعلى سبيل المثال هناك أكثر من ٩,٥ مليون أمريكى فى العام الماضى عاطلون عن العمل، بينما واحد من خمسة من الشبان الأمريكيين لا يقدرون على القيام بمهام الجندية و٦,٣٪ من نسبة عدد السكان مدمنون على الكحول والمخدرات ، هؤلاء مهما قدموا من إنتاج فإن عملهم سيكون بغير فائدة وبلا معنى أو هدف .

ولذلك كانت النتيجة حصاداً مراً دفعته هذه الحضارة من حسابها الخاص ، ففى السنوات العشر الأخيرة ارتفعت نسبة الانتحار بشكل مروع ليكون أحد أبرز عوامل هلاك الشباب وفقدانهم بغير فائدة وبلا معنى أو هدف .

هذه الحضارة بلا معنى ولذلك نرى تحولاً متنامياً نحو الإسلام فى المجتمع

الأمريكى ، وفى الدول الأوربية فالإسلام هو الدين الأول الذى ينتشر ويمتد هناك ، وأعداد المسلمين فى ازدياد ، والأمل أن تعود كل هذه الحضارة بل كل الدنيا إلى الإسلام بعدما جربت ما جربت وفشلت .

وللمسلمين دور ملحوظ فى السياسة الأمريكية ، وهناك منظمة إسلامية تعمل على الرد على أية محاولة لتشويه الإسلام أو سمعة العرب والمسلمين ، وعندما أصدرت إحدى الجامعات كتاباً لها يتضمن إساءة متعمدة للإسلام استطاعت هذه المنظمة أن تستصدر حكماً قضائياً بحظر الكتاب ومنعه ، أهم شىء أن يتحد المسلمون على صوت واحد ، وقد بلغ عددهم ٤,٥ مليون وفق التقديرات المتوسطة منهم ٢,٥ مليون مسلم أمريكى أود أن يكونوا كتلة واحدة فاعلة ، تماماً كما فعل اليهود ، وعلى المسلمين أن يلتقوا بممثلى الحكومة ونوابها ويعرفونهم على احتياجات المسلمين ومشاكلهم ويكونوا قوة ضاغطة تحقق مطالبهم .



أمريكا فى طريق العودة إلى الله

[مجلة العربى - يوسف الشريف - ١٠ أكتوبر ١٩٩٤]

مع بداية الربع الأخير من القرن العشرين ظل الأمريكيون يبتعدون خطوة خطوة عن ارتياد الكنائس بينما حاولت الكنائس جذبهم إلى رحاب الإيمان عبر مغريات شتى تراوحت بين تنظيم الحفلات الغنائية والموسيقية الراقصة وتقديم المشروبات والفطائر فى أعقاب أداء الصلوات ولكن معظم الكنائس ظلت تنعى من بناها شاغرة المقاعد إلا من بعض العجائز المتدينين أو لشغل أوقات الفراغ والحنين إلى الصحبة الاجتماعية فى ضوء ظاهرة تفسخ الأواصر العائلية ومن الملاحظ ما يأتى :

* الخواء الروحى يهدد بانهيار المجتمع .
* الإسلام يحتل المركز الثانى بين الأديان فى أمريكا .
* المسلمون أصبحوا قوة سياسية انتخابية .
* رغم قوة الشواذ الانتخابية إلا أن الإيدز فى نظر الأمريكيين إنذار وانتقام من الشذوذ .

ها هو المجتمع الأمريكى فى طريقه إلى استعادة توازنه الروحى بعد أن تجرع شتى ألوان الحريات الشخصية والفوضوية حتى الثمالة وإلى حد إباحة الشذوذ الجنسى وضمان القانون حقوق الشواذ فى الارتقاء إلى أعلى سلم الوظائف القيادية وتخصيص صحف ومجلات وقنوات تليفزيونية تعرض مفاتن الشواذ وأفكارهم وأنشطتهم وعوالمهم الخاصة وقيام مؤسسات تروج للشواذ وتدافع عن مصالحهم ، بل إن وجودهم وكيانهم المتنامى أصبح يشكل قوة سياسية يحسب أى مرشح للرئاسة وحكام الولايات حسابها ، وهو مايفسر توجه الرئيس الأمريكى الواضح والمعلن لخطب ودهم وكسب أصواتهم خلال معركته الانتخابية .

أمريكا اليوم فى رحلة مضنية تستهدف العودة إلى الله والقيم السماوية ، ودوافعها ومبرراتها إلى خوض رحلة العودة متباينة ، فـ (الإيدز) إنذار بالتوقف عن إنكار الغيبيات ومجافاة الدين وفوضى البدع والخلاعة والإباحية الشخصية ، لأن الله تبارك وتعالى يمهل ولا يهمل .

ومن المعروف أن المجتمع الأمريكى حقق نقلة حضارية نوعية ، نجحت فى استغلال المتناقضات السياسية الدولية حتى تربعت على النظام الدولى الجديد ، وأصبحت أقوى دولة فى العالم بلا منافس ، إثر انهيار المنظومة الاشتراكية ، لكن كل الفلسفات والثقافات والفنون المادية كشفت عجزها فى النهاية عن إشباع غرائز المواطن الأمريكى النهمة والارتقاء بمشاعره الإنسانية وتوفير قدر معقول من الاستقرار الاجتماعى والانسجام الروحى والأخلاقى ، فكانت النتيجة تصاعد أعراض القلق النفسى والتوترات العصبية وارتفاع معدلات الجريمة خلال ربع القرن الأخير بنسبة ٥٦٠ ٪ والطلاق بنسبة ٣٠٠ ٪ والأبناء غير الشرعيين بنسبة ٤٣٠ ٪ فضلاً عن انتشار ظاهرة الإدمان الجماعى للماريجوانا ، والهيروين ، والكوكايين ، واستفحال مآسى الانتحار التى طالت رجال البوليس فى الآونة الأخيرة .

على أن عاملاً ثالثاً جديداً فرض نفسه مؤخراً على أشواق الحنين أو القناعة بالعودة إلى الله تبارك وتعالى واستعادة اليقين بمصداقية الأديان السماوية وأى دين آخر متبوع بالأنصار والمؤمنين الملتزمين بمبادئه وتعاليمه .

وتظهر الآن عوامل تنافس خطير من خلال الطفرة الاقتصادية فى اليابان

والصحوة فى الصين ، وترصد مراكز الأبحاث حقائق صاعقة تؤكد على نقاء تلك المجتمعات من أمراض وأنماط الحياة فى المجتمع الأمريكى القائم على الاستهلاك وإشباع الغرائز واستفحال الجريمة والتفكك الأسرى وفوضى الحريات الشخصية ، بينما تركز الصين المرشحة لاحتلال المركز الثانى للقوى الاقتصادية على حماية موروثاتها الحضارية والأخلاقية التى تنتمى إليها الديانات القديمة ، وكذلك اليابان وديانتها البوذية ، بينما الدين المسيحى والإسلامى والبوذية فى دول النمور الآسيوية له دور فاعل ومؤثر فى استلهام روح الصحوة والتحدى الاقتصادى .

إذن ليكن الحل أو النجاة فى العودة إلى الله تبارك وتعالى واستعادة المبادئ الدينية والقيم الأخلاقية مدخلاً لإعادة صياغة الإنسان وإعادة التوازن والانسجام إلى المجتمع حصناً واقياً من السقوط والتخلف فى حلبة المنافسة الاقتصادية العالمية خاصة وأن أمريكا تبلغ من عصر الاستكشاف والهجرة البشرية زهاء ٢٠٠ عام فلا تراث ولا حضارة موروثة ولا أساطير شعبية تغنى عن الأديان ، ويعتقد بعض الباحثين الأكاديميين فى أمريكا أن (عقدة الذنب) تؤرق جانباً من قيادات الرأى العام فى أوساط الأدباء والفنانين والمفكرين وأساتذة الجامعات الذين يؤمنون بالأخلاقيات والمثاليات أو بالدين معياراً للتقدم ، وأن هذه الفئات شرعت بوضوح إلى إعلان احتجاجها وأسفها للجرائم الإنسانية التى ارتكبتها السياسة الأمريكية فى حق غيرها من الشعوب ، وهو ما يمكن استقراؤه من جملة مقولاتهم ومؤلفاتهم وإبداعاتهم .

★ ★ ★

ومشكلة المجتمع الأمريكى مع الدين أن المواطن يحسب ألف حساب للمردود الاقتصادى المتوقع لأى عمل أو نشاط فى ظل النظام ونمط السلوك الرأسمالى الليبرالى ، ومشكلة رجال الدين أنهم تخلفوا كثيراً عن مواكبة روح العصر فى إقناع الأمريكيين بفضائل الدين وجدوى العودة إلى الله (تبارك وتعالى) اقتصادياً ونفسياً وطائفة المسيحيين المعروفين (بالمورمن) نجحوا إلى حد كبير فى إثبات الجدوى الاقتصادية والاستقرار النفسى الذى يوفره الدين .

فتعاليمها تبيح تعدد الزوجات بديلاً عن الخيانات الزوجية والعلاقات الجنسية الفوضوية وتحرم شرب الخمر والتدخين ، وتسعى إلى تمتين الروابط الأسرية إلى حد

إلزام شبابها بمشاركة الوالدين فى اختيار فتى أو فتاة أحلامهم حتى يسود التفاهم والوئام بين أفراد الأسرة فضلاً عن مداومة أداء المناسك الدينية وحض الأتباع على القدوة الحسنة بالتفانى فى أداء العمل والسماحة فى التعامل مع الآخرين .

كل ذلك كان وراء التصاعد المضطرد فى تعداد طائفة (المورمن) وكسب الصداقة الروحية والعملية كمقوم للمجتمع وضابط للحياة .

الإيمان بالله والحاجة إلى الدين إذن ـ وحتى اختراع الأديان غير السماوية ـ وازع إنسانى وضرورة اجتماعية ، لكن عجز آليات الدعوة والتبصير من جهة واستشراء النزوات وإشباعها لتحريك دورة الاقتصاد الاستهلاكى من ناحية وسيادة الأفكار والفلسفات المادية من ناحية أخرى ، كانت العدو العنيد والمبين للدين ، حتى أفاق المجتمع الأمريكى مؤخراً من سباته العميق على حادث الانتحار الجماعى المروع فى مدينة (واكو) .

كان (دافيد كوريش) قد طرح نفسه داعية للدين المسيحى ولم يكن صعباً أن يلتف حوله العشرات من الأمريكيين الذين يشعرون بالخواء الروحى والملل والقلق ، وحتى جدوى الحياة ، ولأنه كان يتمتع بشخصية (كاريزمية) استطاع أن يقنع أتباعه بتكفير المجتمع الأمريكى وهجرته إلى عالم آخر أكثر رحابة وتجرداً من الماديات بعد الالتزام بطاعته العمياء وأداء قسم الولاء المطلق للزعيم الداعية ، فكان يحضهم على التخلص من حساباتهم المصرفية والزهد فى ممتلكاتهم ومنقولاتهم الشخصية ، ثم يخضعون بعد ذلك إلى طقوس صارمة لسلب إرادتهم تماماً .

والغريب أن تنجح دعوة (ديفيد كوريش) فى مجتمع مفتوح يعج بمظاهر الاستنارة والتقدم والعلمانية وأن يسلم أنصاره زوجاتهم وبناتهم ـ وبعضهن لم يتجاوز الحادية عشرة من العمر ـ للزعيم الداعية يرتكب معهن الفاحشة أمام أبصارهم ، لكونه الأعلم بتعاليم الدين والأقدر على تفسيره .

اختار (كوريش) لأتباعه مكاناً نائياً مقراً لمجتمع الدعوة وفرض حوله طاقماً من الحراسة المزودين بالرشاشات وأجهزة الاتصال والمراقبة ، وكان يغير بين يوم وآخر من تعاليم الدعوة وطقوسها ، بل كان يختار قائمة طعام لأتباعه ، كما يرددون التراتيل الإنجيلية وراءه مرتين ، بينما كان يستأثر نفسه بالطعام الوفير وبكل الملذات المحرمة

عليهم ، وفجأة أعلن ديفيد كوريش نفسه نبياً جديداً للمسيحية ، واستمر يؤكد الأكذوبة لأتباعه على مدى ٥١ يوماً بعد أن مهد لخطوته طويلاً فى عقولهم وأعدهم نفسياً لمواجهة التحدى والبلاء العظيم ، وصدق ما توقعه ، فقد وصل الأمر إلى المباحث الفيدرالية التى أحاطت المعسكر من كل جانب بقوات مزودة بأحدث الأسلحة والمعدات ، وعملاً بالمثل القائل (بيدى لا بيد عمرو) قرر مسيح القرن العشرين الدجال الانتحار الجماعى مع ٥٨ من أتباعه الذين خطب فيهم قائلاً : الشمس لن تستحيل سوداء والقمر لن يصبح أحمر ، ولكن العالم سيفنى معنا كما دعوتكم من قبل . ورغم نداءات ضباط الأمن (لكوريش) بالاستسلام من دون أن يصيبه أذى إلا أنه رد عليهم مخاطباً أتباعه : إنهم سوف يشنون الحرب ضد الحمل لكن الحمل سوف يغزوهم بالموت والانتحار الجماعى ، وبيديه أشعل النار فى خزان الغاز حتى احترقوا جميعاً .

وبينما شككت بعض الكتابات الصحفية فى انتحار (كوريش) وأتباعه واحتمالات موتهم بطلقات وقنابل القوات الفيدرالية التى أشعلت حريق الغاز ، كان رأى علماء النفس فى جامعة كاليفورنيا أن (كوريش) مريض نفسياً و (سيكوباتى) منحرف ، وأكدوا أن هذه الشخصية تكون عادة ساحرة ولامعة وقادرة دائماً على التأثير فى أتباعها وكسب ثقتها وإخضاعها للسيطرة ، وهى نفس مواصفات شخصية (جيم جونز) الذى انتحر و٩٠٠ من أتباعه فى جويانا عام ١٩٧٨ احتجاجاً على المجتمع ودليلاً صارخاً على ما يعانيه من خواء روحى .

وقد أشار ريتشارد نيكسون فى كتابه عن (ما بعد الإسلام) إلى ضرورة ممارسة جهود خاصة ومتطورة لفهم الإسلام وبناء جسور للتعامل مع العالم الإسلامى وندد بالشعور الخاطئ لدى الشعب الأمريكى إزاء العالم الإسلامى باعتباره مجموعة من فقراء العرب ، بينما الحقيقة أن العالم الإسلامى يضم ٨٥٠ مليون مسلم ينتمون إلى ٣٧ دولة و ١٩٠ مجموعة عرقية ويمتلكون ثروات وإمكانات هائلة ، وهم رغم اختلاف ثقافاتهم ومصالحهم وتوجهاتهم إلا أن رابطة الإسلام تجمعهم فى السراء والضراء والمصير الواحد ويقدر عدد المسلمين فى أمريكا بنحو ١٤ مليوناً وفقاً للإحصاءات العشوائية .

ولكن مراكز الأبحاث ترصد زيادة التناسل النسبى بين المسلمين عن غيرهم من جنسيات المهاجرين والديانات المختلفة ، وهو ما سوف يؤدى خلال السنوات العشر القادمة إلى احتلال المسلمين المرتبة الثانية بين أتباع الديانات السماوية ، وقد ارتفع عدد المسلمين فى أمريكا خلال الربع قرن الأخير بنسبة ١٠٠٠ ٪ عن تعدادهم عام ١٩٦٠ وذلك بعد فتح باب الهجرة أمام المسلمين بدون تمييز .

ومن جملة الملاحظات التى تستحق التأمل عودة (الأفرو أمريكان) وهم فئات الزنوج الذين تم جلبهم من إفريقيا إلى دينهم السابق الإسلام حيث يشكلون الآن نحو ٤٥ ٪ من تعداد المسلمين فى أمريكا وتضم ولاية كاليفورنيا أكبر تجمع للمسلمين ويليها نيويورك وألينوى وميتشجان وفريجينيا .

وأكبر تجمع للمسلمين العرب فى نيوجرسى وديترويت التى تضم معظم أفراد الجالية اليمنية ولأن الحركة الإسلامية متصلة بجذورها ومنابعها فى العالم الإسلامى.

ونظراً لاعتماد الرأى العام الأمريكى فى معظم معلوماته على أجهزة الإعلام فقد ساد الجهل بالإسلام وسماحته وحضارته وأن المسلمين فى أمريكا لا يختلفون فى كثير أو قليل عن الجماعات الإسلامية الأخرى .

ريغذى اللوبى اليهودى فى أمريكا بعض المزاعم عبر سيطرته شبه الكاملة اقتصادياً وفكرياً وعملياً على وسائل الإعلام ؛ صحافة أو إذاعة وتليفزيون ونشرات دعائية تصل إلى المواطن الأمريكى .

ومن ذلك ما يدعيه من الخطر الداهم الذى يتهدد الحضارة والرأسمالية الغربية بعد زوال الاتحاد السوفيتى من ناحية الأمة الإسلامية ، وذلك رغم تحذير (الإكونومست) من خطأ وخطورة هذا الزعم الذى لا يفرق بين المسلمين المعتدلين وبين المتطرفين . وهم يعملون على إثارة الكراهية ضد المسلمين والتحذير من تصرفاتهم عبر تمويل إنتاج أفلام سينمائية ومسلسلات تليفزيونية تصور تخلف المسلمين ، وأن إسلامهم يستهدف تدمير الحضارة الغربية .

وقد تحشد اللوبى اليهودى إلى تنفيذ مخططهم المشبوه بعد أن أصبح المسلمون قوة سياسية تفرض نفسها على انتخابات الرئاسة والمناصب الفيدرالية العليا وتدريس الدين الإسلامى فى المدارس ، وتعيين وعاظ للمسلمين فى الجيش إثر اعتناق المئات

من الضباط والجنود للإسلام إبان مشاركتهم فى حرب الخليج .

وينتشر الإسلام بشكل واسع وسط الزنوج الأمريكيين ويشعرون فى مبادئه وتعاليمه بالمساواة والعدل والكرامة .

وأكثر ما يقلق اللوبى اليهودى حركة (لويس فرخان) الزعيم الزنجى الذى يقود الدعوة إلى اعتناق الإسلام وسط الزنوج الأمريكيين بشكل خاص واعتناق البيض للإسلام على يديه وقد أسس فرخان (مصدرها فرقان) شركة ناجحة لحراسة ناطحات السحاب والشركات والبنوك والمناطق السكنية ويقوم أتباعه بمهام الحراسة بدون سلاح ، ويتميزون بالسلوك الحسن والتعامل الودود مع السكان ومساعدتهم فى قضاء مصالحهم ورعاية أطفالهم وسعى فرخان وأتباعه إلى ممارسة نشاطات الدعوة والإرشاد الدينى داخل السجون ونجحوا مع أعتى المجرمين فى إقناعهم باعتناق الإسلام وبينهم (تايسون) بطل الملاكمة العالمى فى الوزن الثقيل وبينهم كذلك محامى زنجى كان نزيل السجون واختار لنفسه اسم (محمد خالد) الذى حقق لنفسه شهرة واسعة فى أمريكا كداعية إسلامى مستنير تسنده القدرة الأدبية الرفيعة وفهمه العميق للإسلام ووعيه بالتعامل مع العقلية الأمريكية وقدرته على مبارزة أعداء الإسلام وخصومه حتى أصبح من الوجوه الجذابة التى يستضيفها التليفزيون ومراكز الأبحاث.

ووصل أجره عن المحاضرة الواحدة إلى ٣٠ ألف دولار وهو نفس المبلغ الذى يتقاضاه المفكر وأستاذ الجامعة العربى المسيحى : إدوارد سعيد حين يتصدى فى محاضراته للدفاع عن الإسلام .

ويصف محمد خالد ـ الساعد الأيمن لفرخان ـ اليهود الأمريكيين فى خطبه بمصاصى الدماء فلا توجد منطقة سكنية للزنوج إلا كان لهم داخلها خمارة أو مكتب للمراهنات ، وهم السبب المباشر وراء تخلف الملونين وعدم حصولهم على فرص التعليم الجامعية والامتناع عن توظيفهم فى الشركات والمصانع .

إن الزنوج يمثلون الفئة الغالبة بنسبة ٣٥٪ من الأمريكيين الذين يعيشون تحت حاجز الفقر ومعظم (الهوملس) أى الأمريكيين العاطلين بلا مأوى من الزنوج ، والأخطر من كل ذلك أن اللوبى اليهودى يخطط الآن لهجرة الزنوج من

أمريكا إلى جنوب أفريقيا بدعوى فرص العمل المتاحة وامتلاك المساكن الرخيصة والتميز الاجتماعى عن الأغلبية الزنجية فى جنوب إفريقيا .

ورغم التزام لويس فرخان بالامتناع عن التعليق على الهجوم السافر الذى يشنه محمد خالد ضد اليهود إلا أن اللوبى اليهودى لم يعد له شاغل ولا هم سوى تشويه حركة لويس فرخان والتحذير من خطورة زيادة أتباعه ونجاحاته المضطردة والمتتابعة فى اجتذاب السود والبيض إلى اعتناق الإسلام .



إن قافلة العودة إلى الله فى أمريكا قادمة عبر المسيحية وعبر الإسلام والحاجة إلى الدين أو اختراع الدين ، أو حتى التمسك بأهداب الأخلاقيات كحد أدنى تفرض نفسها الآن بقوة على المجتمع الأمريكى ، وعلى أصحاب القرار ، وتباشير العودة تلوح فى عمران الكنائس تباعاً بالمصلين ، وفى بناء المساجد وانتهاج المسلمين فضيلة القدوة الحسنة بالحوار وبالتى هى أحسن وبلا تعصب ، وسعيهم الدءوب إلى توحيد صفوفهم وفض خلافاتهم المذهبية والعرقية ، وها هو الكونجرس يواصل اجتماعاته مع أصحاب محطات التليفزيون وينذرهم باتخاذ إجراءات مشددة إذا استمروا فى إحباط معنويات الشعب الأمريكى ، وتفسخ المجتمع عبر برامج الجريمة والعنف والجنس والانحلال .



العمل الإسلامى فى أنحاء العالم

حاشيـة :

١ ـ المسلمون فى جنوب أمريكا :

يجرى إعداد معهد عالى للدراسات الإسلامية فى كاليفورنيا لتخريج دعاة عصريين ويحتاج العمل إلى عالم شاب مثقف ثقافة دينية وثقافة واسعة ليستوعب الواقع الاجتماعى للحوار فى أمريكا حيث يتكلمون اللغة الإنجليزية ويكون عندهم الوعى الكافى لمعالجة الأوضاع الخاصة ، وبالنسبة للأساليب ومخاطبة العقلية الأمريكية الغربية ولعرض الإسلام لهم بصورة يفهمونها ، ياحبذا لو أن هناك دعاة للإسلام من بين الشباب المثقف من

خريجى الأزهر الذين درسوا بعض دراساتهم فى الدول العربية ويتكلمون اللغة الإنجليزية ويفهمون الحضارة الغربية بمبادئها الاجتماعية ، وأساليب معيشتهم ، هؤلاء يعالجون قضايا التوعية الإسلامية من خلال تجربتهم فى الحياة هناك .

٢ ـ شمس الإسلام تشرق على أمريكا :

مجتمع إسلامى فى قلب أمريكا يقوم على أخلاق ومعاملات وتعاليم الإسلام وترفع شعار (لا إله إلا الله محمد رسول الله) ، فى ولاية نيو مكسيكو بقيادة (نور الدين دوركى) حيث يبلغ عدد المسلمين فى أمريكا اليوم حوالى أربعة ملايين مسلم ، معظم هؤلاء هاجروا إلى أمريكا من أجل الدين فأصبحوا يعملون من أجل الدين .

★ ★ ★

مستقبل الإسلام فى أوربا الغربية

من الحقائق التى لا يعوزها الدليل : أن الإسلام يكسب كل يوم معتنقين جدداً وهذا الأمر لا يخص فئة معينة يحكمها ظرف خاص أو شريحة بشرية لها تركتها وتاريخها وعاداتها وتقاليدها وعقائدها أو بنمط حضارى معين له أزماته ومآسيه ومعاناته .

فى أوربا وأمريكا على الرغم من المناخ الذى أفرزته الحروب الصليبية والجهود المسممة لتشويه صورة الإسلام ، فإن المراكز الإسلامية تستقبل يومياً كثيرين من الذين يعلنون إسلامهم من مستويات وأعمار شتى .

إن القضية الإسلامية أصبحت تتحرك بأبعاد عالمية فهى أكبر من أن تكون محصورة فى جماعة أو جيش أو قوم أو لون ، ومن الخطأ العقدى والتاريخى ربط الإسلام بجنس أو قوم أو جماعة ، فالإسلام أصبح موجوداً أو مطروحاً فى كل مكان ، وعلى كل لسان على الرغم من الجهود التى يبذلها أعداؤه للحيلولة دون انتشاره وانتصاره .

ومما يذكر أن أوربا فى استعمارها الحديث للعالم الإسلامى ومن قبله الحروب الصليبية استماتت تاريخياً لكسر شوكة الإسلام فى منبته ، وحاولت إقامة الحواجز والسدود فى وجهه حتى لا يصل إليها بدافع الأحقاد التاريخية

الصـليبية لكنهـا عجـزت فكـرياً وإن انتصـرت عسـكريـاً .

والحركة الاستشراقية فى دراسة لتراث المسلمين ودينهم تشكل دليلاً فكرياً وثقافياً ، وطليعة متقدمة للاستعمار ،كل هذا ساعد على حجب العقل الأوربى عن نور الإسلام ، وساهم باستعدائه وتعصبه ضد الإسلام والمسلمين ، حيث لم يبق لأوربا من النصرانيـة إلا صـور التعـصب والحقـد ضـد الإسلام ، ولم يبق فى ذهن المسلمين عن أوربا إلا ما ورثه هذا الحقد من الاستعمار وصور التمزق والتجربة التى تمت ممارستها فى عالم المسلمين .

★ ★ ★

ففى فرنسا يسعى الفرنسيون إلى نزع شوكة الإسلام حيث يتصاعد الاهتمام بظاهرة الانتشار المطرد للصحوة الدينية ، ويكتسى هذا الإعلام بطابع خوف وريبة وقدر ملموس من الاستنكار والضيق والتأفف ، فهم يتخوفون من ضخامة قوة التناسل لدى أسر الجاليـة الإسلامية حيث يبلغ عدد المسلمين المقيـمين فى فرنسا (ثلاثة ملايين) ، ويتخوفون من تزايد عدد الذين يعتنقون الديانة الإسلامية .

وهناك ٥٠ ألف امرأة ألمانيـة أسلمن فى السنوات الأخيـرة بعد زواجهن برجال مسلمين .

وقد اندلعت منذ سنوات مايسمى بحرب الحجاب فى فرنسا ، والتى تفجرت فجأة إثر إشعال الشرارة الأولى بطرد التلميذات المسلمات الثلاث : نيللى وفاطمة وسميرة واللاتى طردهن (أرنست شايتر) مدير مدرسة غبريال ، والذى ينتمى إلى واحد من أكبر المحافل الماسونية فى فرنسا ، وبعد اللكمات البالغة القسوة والركلات التى انهار بها مدير المدرسة (شايتر) على تلميذته القاصرة سميرة ، قال لها : أنت جميلة وجذابة يا سميرة فلماذا تشوهين جمالك بهذا الحجاب . فقالت : هـذه مسألة خاصة بى وأنا إنسانة مؤمنة بالله تبارك وتعالى ، وفخورة بإسلامى . عند ذلك اندفع العقل الأوربى المتحضر ، وراح يكيل للحجاب والمحجبات سيلاً من الشتائم والتهكمات على مسمع من التلميذة التى اعتصمت بالصمت .

ثم لحق بها إلى الحصة التالية ، وكانت حصة رسم حر ، وكانت سميرة ترسم

مسجداً فقال لها : ألا يكفينا حجابك وحتى الرسم أيضاً ، فانهال عليها ركلاً ورفساً أمام المعلمة والتلميذات عاملاً على انتزاع حجابها عنوة عن رأسها وتمزيقه .

وقد انتشرت حملة على الحجاب فى عدد كبير من مدارس فرنسا الحكومية وكأنهـا ضمن خطة مبرمجـة سلفاً ، خصص (جـان دانيل) رئيس تحـرير مجلـة (النوفيل أوبزرفاتور) المعروفة بانحيازها الفاضح للصهيونية وضد العرب والمسلمين وخصص افتتاحية للكلام عن مسألة الحجاب مفيداً أنه يجب أن ينظر إليها كدلالة سياسية أكثر منها دينية فالحجاب عنده محاولة قديمة من المسلمين لإظهار احتقارهم وتحديهم للمجتمع الفرنسى الذى يرفضونه.

ونبه دانيال إلى ضرورة التحسب لخطر الغزو الإسلامى من الداخل لفرنسا مقرراً أن عدد المسلمين قد اقترب من الثلاثة ملايين والأخطر هو أن عدد الفرنسيين الذين اعتنقوا الإسلام حتى الآن أصبح فى حدود النصف مليون مما يعنى وجود مخطط رهيب لأسلمة فرنسا محذراً من أن ذلك قد يؤدى مع الوقت إلى اندلاع حرب أهلية طائفية فى فرنسا . ويرجع ذلك إلى خضوع الإعلام الفرنسى للمنظمات اليهودية بشكل مطلق .

هذا فى فرنسا أما فى بريطانيا فالأمر مختلف .

أما فى بريطانيا (جريدة العلم ٨ يناير ١٩٩٠) فالعناوين كالتالى :

ـ الحجاب مسموح ومجلس العموم مفتوح للمسلمين فى الانتخابات القادمة ، بلد المليونى مسلم والمئة مئذنة والألف مصلى . الحزب الإسلامى البريطانى يخوض انتخابات مجلس العموم فى الربيع القادم .

ـ ميثاق برمنجهام : حفظ حقوق المسلمين ضمن حقوق الأنظمة البريطانية .

ـ الحجاب مسموح به فى المدارس منذ عام ١٩٨٢ وحقوق التلاميذ المسلمين محفوظة فى الطعام الشرعى والمسابح .

ـ مسلمو بريطانيا لوبى سياسى وقوة انتخابية يستقطبها حزب العمال لمدينة براد فورد .

جامعة إسلامية فى يوركشاير و١٨ مدرسة قرآنية فى المدن البريطانية.

الله أكبر فى كنيسة الجامعة

الله أكبر ، الله أكبر ، حى على الصلاة

ويستمر الطالب الأفغانى محمد على فى أداء أذان الظهر واضعاً أصبعه فى أذنيه لكى يعلو صوته إلى أقصى حد ممكن فلا مئذنة هنا ولا مسجد ، ومحمد على يضطر إلى أن يؤذن من على ناصية الشارع الداخلى فى جامعة برمنجهام البريطانية .

وتبدو علامات الارتياح على وجه محمد على فيما هو يؤذن إذ يرى الطلبة المسلمين يتوافدون من مختلف أقسام مبانى الجامعة تلبية لنداء رب العالمين ويدخلون لأداء صلاة الظهر فى كنيسة سان فرنسيس هول التابعة للجامعة .

أجل ولا غرابة ، صلاة إسلامية فى كنيسة : تحريف مبناه أن هذه الجامعة البريطانية أقاموا فيها كنيسة للطلبة البريطانيين المسيحيين طبعاً ولم يكن فى حسابهم أن أتباع دين محمد سوف يصبح لهم شأن وحسبان هنا . ولأسباب تقنية تعذر على الطلبة استحداث مصلى إسلامى خاص بهم داخل الجامعة ، فتوصلوا بعد مفاوضات عسيرة مع إدارة الجامعة ومع الأسقف المسئول إلى استخدام الكنيسة نفسها كمصلى.

وهكذا قبيل موعد صلاة الظهر كل يوم خاصة صلاة الجمعة تتحول قاعة كنيسة سان فرنسيس هول إلى ورشة عمل حيث يقوم بضعة متطوعين من الطلبة المسلمين بتجميع مراسى الكنيسة فى أحد الزوايا وكذلك بإنزال الصلبان والأيقونات من الجدران ووضعها جانباً بحيث تتحول الكنيسة فى غضون أقل من نصف ساعة إلى مصلى إسلامى بكل معنى الكلمة وبالسرعة نفسها والترتيب نفسه يعيد الطلبة المسلمون الكنيسة إلى ديكورها المسيحى السابق ، وما يحدث فى جامعة برمنجهام ليس سوى نموذج عما يحدث فى سائر جامعات بريطانيا الأخرى والأمور سائرة بانتظام كلى بدون أدنى حد من الإشكالات .

وهكذا تمر الأمور منتظمة تماماً ولا أثر لأى خلاف بين المسلمين والبريطانيين والواقع أن الحجاب الإسلامى المدرسى الذى أقام قيامة فرنسا الرسمية والحزبية والشعبية ولم يقعدها بعد ، لا جدل حوله فى بريطانيا وعلى جميع المستويات ، فالتلميذة المسلمة تستطيع ارتداء حجابها فى أية مدرسة حكومية بريطانية بدون اعتراضات .

وعدد المسلمين فى بريطانيا يتجاوز المليونين ، ثمانون بالمئة منحدرون من شبه القارة الهندية : هنود وباكستانيون ، وبنجلاد معظمهم من العمال المهاجرين المقيمين فى ضواحى المدن البريطانية الصناعية الكبرى وإلى جانب هؤلاء العرب والأتراك الإيرانيون ، بالإضافة طبعاً إلى معتنقى الإسلام من ذوى الأصل البريطانى وبالإجمال فإن الإسلام هو الديانة الثانية من حيث الحجم العددى فى بريطانيا .

ويختلف وضع مسلمى بريطانيا عن مسلمى فرنسا، فإن التجمع الصباحى الذى هو من التقاليد العريقة والمتبعة حتى الآن فى سائر مدارس بريطانيا يجرى بإشراف رجل دين مسلم ، وكذلك فإن هناك فى كل مدرسة إمام مسلم يؤم التلاميذ المصلين ويلقى فيهم خطبة صلاة الجمعة ، وهكذا فإن الدكتور نور محمد إمام مسجد كوفنترى الرئيسى يقوم بجولات منتظمة على مدارس المنطقة ملقياً عظات الجمعة أو محاضرات دينية فى قاعاتها العامة لإرشاد المسلمين وتنوير التلاميذ من غير المسلمين .

ويقول الشيخ الدكتور نور : إن ابنتى ترتدى الحجاب مثل عدد كثير من زميلاتها المسلمات وبدون أى ممانعة من أى جهة ، فالحجاب مسموح به فى المدارس الحكومية بموجب قانون خاص جرى إصداره عام ١٩٨٦ ، الشرط الوحيد المفروض على الحجاب المدرسى هو أن يكون لونه متلائماً مع ألوان الزى المدرسى المعتمد فى كل مدرسة ، كما أن الوجبات الغذائية التى تقدم فى المطاعم المدرسية العامة تراعى شروط الشريعة الإسلامية فى أطباقها المخصصة للتلاميذ المسلمين ذبح حلال لا لحم خنزير ، وفى المسابح المدرسية هناك فواصل زمنية أو مكانية حسب خصوصية كل مدرسة بحيث يكون مسابح الإناث مستقلة عن مسابح الذكور .

والسؤال البديهى هنا : ما هى أسباب كل هذا التسامح البريطانى إزاء المسلمين؟ والجواب عند الشيخ نور محمد الذى يقول :

إن الأمر عائد بالدرجة الأولى إلى المهاجرين الذين يشكلون ثقلاً سياسياً حقيقياً فى الساحة البريطانية ويشار هنا على الأخص إلى المسلمين المنحدرين من بلدان الكومنولث الذين حصلوا على الجنسية البريطانية بسرعة وبالتالى على الحق فى التصويت ، وفى بعض المدن البريطانية الكبرى مثل برمنجهام أو ليدز أو برادفورد التى

يشكل المهاجرون كثافة ملحوظة فيها ، فإن المسلمين يمثلون بيضة الميزان فى الانتخابات المحلية ، بل إن مسلماً اسمه محمد محجوب نجح منذ مدة فى أن يصبح عمدة مدينة برادفورد وفى برمنجهام نفسها هناك عدد لا بأس به من المسلمين فازوا فى عضوية مجلسها البلدى ، ولا مبالغة فى القول بأن مسلمى بريطانيا يشكلون وبكل معنى الكلمة (لوبى إسلامى فاعل) ففى عام ١٩٨٧ خلال معركة انتخابات محلية قادت ٢٤ جمعية إسلامية حملة منظمة تحت شعار « مصلحة الإسلام مقابل أصوات المسلمين » .

وبالإجمال فإن حزب العمل يعتبر تقليدياً من المتعاطفين مع المطالب والمصالح الإسلامية بسبب اللوبى الإسلامى فى داخل صفوفه ، ولعلها من المفارقات أن يحصل مسلمو بريطانيا على هذه الامتيازات مع إن بريطانيا ليست بلداً علمانياً فالمسيحية هى الدين الرسمى لبريطانيا وقوانين الأحوال الشخصية فى بريطانيا خاضعة للأنظمة الدينية المسيحية وكذلك القوانين التربوية ومع ذلك تعامل المسلمين بنفس الطريقة المعتمدة مع المسيحية .

هناك ٦٤ جمعية إسلامية رسمية كبرى فى بريطانيا وفى مدينة كبرى مثل مانشستر هناك ما يزيد على الأربعين جمعية إسلامية ، وبالوصول إلى العاصمة لندن نجد أن غالبية مسلمى لندن من البنغال والهند والباكستان وتركيا بالإضافة إلى السعودية ولبنان وسوريا والأردن والخليج ويتمتع السعوديون على الأخص بنفوذ مميز سيما وأن جامع لندن الأكبر القائم بشارع (ريجنت بارك ستريت) به عدد كبير منهم .

وفى بريطانيا حوالى مائة مسجد مع قبة ومئذنة بالإضافة إلى ما يزيد على الألف مصلى تحظى باعتراف حكومى ناجز بالإضافة إلى جامعة (طايلنجى) فى يوركشاير ثمانى عشرة مدرسة قرآنية خالصة يجرى تمويلها على أن أهم حدث بالنسبة لمسلمى بريطانيا هو ولادة حزب إسلامى سياسى فى قلب بريطانيا ، وقد أعلنت الولادة الرسمية لحزب المؤمنين أخيراً فى مدينة برمنجهام .

ولهذا الحدث أهميته التاريخية ليس على صعيد بريطانيا فحسب بل كذلك على صعيد أوربا والغرب على العموم فهو سيكون أول حزب إسلامى خارج البلدان

الإسلامية ، ومن خلاله قد يدخل المسلمون إلى مجلس العموم البريطانى الذى سيكون أول دخول إسلامى إلى برلمان غربى .

وتقرأ فى ميثاق الحزب الإسلامى المطبوع فى كتاب أخضر اللون يحمل عنوان (طريق الهداية) :

« إن العالم الذى يسمى نفسه متمديناً لا يطرح أى حل للمعاناة البشرية ، فالسجون مزدحمة ، والفسق والرذيلة والشذوذ فى كل مكان ، الناس محبطون والعقائد الأيديولوجية أو السياسية التى عملها بشر لم تثمر سوى مزيد من الآلام للبشر.

إن الفكر المادى لم ينتج سوى مجتمعات موبوءة بالكحول والمخدرات والرذيلة.

والإسلام هو الحل الوحيد ، ومن وحى القرآن الكريم والشريعة الإسلامية يطرح (حزب المؤمنين) برامج عمل شاملة ومفصلة تشمل جميع الأصعدة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية ، والمكتب السياسى لهذا الحزب الإسلامى مؤلف بغالبيته من بريطانيين يعتنقون الدين الإسلامى ، أما سكرتيره العام فهو صحفى ألمانى اسمه (صاحب مستقيم بلايهر) وللانتساب إلى هذا الحزب شرط واحد ؛ هو أن يكون طالب الانتساب مسلماً صالحاً » .



مصير ٨٠ مليون مسلم بالاتحاد السوفييتى

الجمهوريات السوفييتية ذات الأغلبية الإسلامية أكثر من ٨٠٪ من السكان .

ست جمهوريات هى : (أوزبكستان ، كازاخستان ، أذربيجان ، طاجكستان ، تركمانيا ، قرغيزيا) ، يضاف إلى ذلك أربع جمهوريات غير اتحادية تابعة مباشرة للسلطة المركزية فى موسكو وسكانها المسلمون ما بين ٥٠ و٧٠٪ وهى : بشكريا ، وتيارنيا ، وداغستان ، وإجاريا .

وهناك عشرات الألوف من المسلمين منتشرون فى بقية الجمهوريات السوفيتية

الأوزبك هم الأكثر عدداً « ١٥ مليون » ويليهم التياريون « ٤ مليون » ثم الكازات – الفرسان « ٨ مليون » ثم الازبرين فى جمهورية أذربيجان « ٧مليون » إلى آخر القائمة ، يضاف إليها التركمان والقزعير والباسكترمون والقوقاز والداغستانيون وتضم كل من عدد الشعوب ما بين ٢ مليون و٤ مليون هؤلاء المسلمون موزعون على أربع قارات دينية تابعة للاتحاد السوفييتى .

وقد زادت النسبة فى المناطق الإسلامية إلى ٣١٪ ، وكانت زيادة السكان المسلمين خمسة أضعاف الزيادة بين الروس والغالبية العظمى من المسلمين السوفيت هم من أهل السنة (أحناف) يتركزون فى أوزبكستان (منطقة الثقل السكانى الأكبر من المسلمين) ، وفى سيبيريا وتاريخياً فإن الإمام أبا حنيفة النعمان ينحدر من أصول تنتمى إلى آسيا الوسطى وأكثر أركان المذهب الحنفى فى هذه المنطقة ، ويأتى الشافعية بعد الأحناف ، أما الشيعة الجعفرية فيتركزون فى أذربيجان ، وللمذهب الإسماعيلى وجوده المحدود فى جبال البامير البعيدة فى أطراف طاجيكستان (مليون شخص) .

الطرق الصوفية : النقشبندية فى بخارى وخوارزم والشاذلية والقادرية .

والمعروف أن ما يخرج من بترول يوجد فى جمهورية أذربيجان ، وفى تركستان ثروات معدنية (٢٥ منجماً للذهب والفضة والحديد والرصاص والبترول والفحم والكبريت والصوديوم ، وذلك عدا اليورانيوم والزئبق والبخارى والقصدير والبلاتين .

وكان السوفيت قد هجروا المسلمين من مناطقهم إلى برارى وأواسط آسيا ، واستقدمت ألوف موغلة من الروس والسلاف والأكراد ، وسميت بهم أذربيجان وتركستان والقرم حتى تضيع هويتها الإسلامية ، وأقيمت جمهوريات إسلامية روعى فى قيامها عدم التجانس القومى واللغوى وإخفاء اللغات الإسلامية الأم لتحل محلها لغات مستحدثة تكتب بالحروف الروسية بدلاً من الحروف العربية .

وكذلك استخدام اللهجات التترية القومية بدلاً من الأبجدية العربية ، وقد جرت المحاولة خلال سبعين سنة لمحو ثقافة مسلمى الروس وصنعوا الأدب الشيوعى الموجه ضد الإسلام وفى أربعة مراكز روحية رسمية ترعى الشئون الإسلامية هناك خضوعها الكامل للسلطة الشرعية ، وقد ظل المسلمون المضيَق عليهم يدافعون عن شعائرهم وتعليم أولادهم .

وكان هناك الصراع قائماً بين الدين والقومية وقد جمعتهم الشيوعية وفرقتهم القومية [أحمد الشنوانى] .

وفى تقرير عن تنامى الإسلام فى روسيا يقول الكاتب : إن اتساع التيار الإسلامى فى داخل روسيا يقلق السوفيت فى آسيا الوسطى ، وفى غضون الأشهر الثلاثة الماضية جرى استبدال ثلاثة من زعماء الجمهوريات السوفيتية فى آسيا الوسطى :

١ ـ جمهورية أوزبكستان يصل عدد سكانها إلى ١٨ مليون نسمة وهى كبرى الجمهوريات السوفيتية فى آسيا الوسطى ، تشهد حالة انبعاث جديدة بدأت بتعيين زعيم منهم .

٢ ـ زيادة ممارسة الشعائر الإسلامية فى بعض المناطق ، أن مسجدين جديدين رسميين فى إقليم تاترهيك فى كورجان تابوب المتاخمة لأفغانستان يشهدان أمة مقبلة على ممارسة الشعائر الدينية كما أن أماكن العبادة الإسلامية ازدادت فى جمهورية تركستان .

٣ ـ زيادة العلماء غير الرسميين والاهتمام بالإسلام يشكل جزءا من المشكلة الكبرى ، وهى مشكلة تقارب العادات فى آسيا الوسطى مع مستويات موسكو ، وتقول التقارير الرسمية وغير الرسمية : إن العائلات والعشائر الآسيوية الكبرى تقاوم الدعوة السوفيتية وتزاول الشعائر الإسلامية فى كثير من الأنحاء ويستخدم الأفراد فى إظهار قوة العائلة.

وفى أكثر من تقرير أشير إلى الخوف المرعب الذى يحس به المسئولون فى روسيا ويقول : يخشى جورباتشوف من انتماء المسلمين السوفييت الظاهرى للماركسية ، وانتمائهم الحقيقى والعميق لمبادئ الإسلام خاصة وأن المناخ الديمقراطى الذى بدأ يتمتع به الاتحاد السوفيتى فتح أمام المسلمين حرية التعبير والإعلان عن عقيدتهم .

ويتركز المسلمون فى ست جمهوريات سوفيتية فى الجنوب ، وتمثل جمهورية أوزبكستان أعلى نسبة تجمع للمسلمين فى روسيا حيث تضاعف عدد المسلمين بها من ٨ ملايين عام ١٩٥٩إلى ٢٠ مليون عام ١٩٨٩ .



عودة الإسلام إلى الأندلس

منذ خمسمائة عام خرج المسلمون من أسبانيا ولكن الإسلام لم يخرج

مدخـل :

كان خروج المسلمين من الأندلس ١٤٩٢ بعد سقوط غرناطة وانتهت حرب الاسترداد بزوال الوجود السياسى الإسلامى على أرض الأندلس ، غير أن سقوط غرناطة لم يكن نهاية الصراع بين المسلمين والنصارى .

كان فتح القسطنطينية على يد محمد الفاتح السلطان العثمانى عام ١٤٥٣ مرحلة أخرى .

وكان سقوط غرناطة هو رد الفعل الطبيعى على سقوط القسطنطينية واعتبر المؤرخون فى الغرب أن بداية التاريخ الحديث هو عام ١٤٩٢ وليس ١٤٥٢ حتى يجعلوا من سقوط غرناطة تتويجاً لأعمالهم .

وهو بدء خروج المسلمين من الأندلس وقد أطلق عليهم لقب (الموريسيكيون) وقد مارسوا شعائر دينهم سراً وغيروا أسماءهم وألقابهم .

وقد واصلت الكنيسة سياسة التنصير القسرى وتعميد الأهالى بالقوة وتحويل جميع المساجد إلى كنائس ، فضلاً عن إحراق الكتب الإسلامية المكتوبة بالعربية ، وبالتالى أحرقت آلاف الكتب فى ساحة الرملة بغرناطة .

وقد استغاث المسلمون بسلطان المغرب وسلطان مصر والسلطان العثمانى ، وكانت محاكم التفتيش من توجيه الكنيسة الكاثوليكية فى إيطاليا ، وصدرت قوانين الطرد ١٦٠٩ واتجهت جموع المسلمين نحو فرنسا براً وبحراً حتى يحافظوا على أبنائهم كما اتجه عدد كبير منهم إلى المغرب العربى حيث أقاموا فى سبتة ومليلة .

وقدر المسلمون النازحون من الأندلس إلى المغرب بنحو ٤٠ ألفاً بالإضافة إلى ٨٠ ألفاً نزحوا إلى تونس .

وأخذ الأسبان يتعقبون المسلمين على الساحل الإفريقى واحتلوا مليلة ووهران

والجزائر وسوسة وصفاقس وغيرها ، وبدأ الأسطول الأسبانى (الارمادا) بالهجوم فعلاً على المرسى الكبير واستولى الأسبان على وهران حيث قتل ٤ آلاف وأسر ٨ آلاف ، وفى عام ١٥١٠ استولى الأسبان على تونس ، وظهر على بابا عروج وأخوه خير الدين بارباروسا وواصلا الحرب ضد الأسبان ، واتصل خير الدين بالدولة العثمانية فاحتضنته وأصبح القرن ١٦ هو قرن الصراع بين المسلمين فى شمال القارة .

وكانت أعنف مواجهة فى معركة ليبنانتو عام ١٥٧١ الذى خسر فيها العثمانيون ٣٠ ألف شهيد ، وحرر الأسبان حوالى ١٥ ألف من أسرى النصارى .

وتعاون الأسبان والبرتغاليون فى شن حملاتهم ضد المسلمين ولم يتوقف هذا المدّ على الساحل الشمالى الأفريقى ، بل واصلوا سيرهم إلى غانا وعبروا خط الاستواء ووصلوا إلى رأس الرجاء الصالح ١٤٩٨ ، والتقوا بالأسطول البرتغالى ١٥٠٧ فى منطقة ديو فى الهند وتراجع المماليك ، وبعد سقوط غرناطة تحولت القارة الإفريقية إلى ساحة للصراع وصلت إلى حد قيام القوى النصرانية بالتحالف مع الحبشة لضرب مكة والمدينة لولا يقظة السلطان العثمانى بايزيد وتهديد البابوية ، وبدأت جمعيات تنصيرية تثير دعايتها ضد الإسلام والمسلمين ، وبرز جهاد الزعماء سوكوفو والحاج عمر الفونى فى السنغال ومحمد الأمين فى غينيا وأيضاً ساموری نوری وتابجامينا ورابح فضل الله فى تشاد والسيد محمد عبد الله حسن فى الصومال .

وكان سقوط غرناطة واندفاع القوى النصرانية لضرب المسلمين والقضاء على حضاراتهم عاملاً على تجمع قوى المسلمين ، ووقوفهم صفاً واحداً أمام الخطر الصليبى .

والسؤال هو هل توقف المد الصليبى ضد المسلمين .. فما تزال الكنيسة تمارس نشاطها حيث جندت أكثر من ١٠٤ ألف منصر من أجل التنصير فى القارة ، كما قامت بترجمة الإنجيل إلى ٤٢٢ لغة ، وقدمت خدمات اجتماعية فى أرض القارة من الجفاف والمجاعة ، وأقامت ٦٠٠ مستشفى ، ٣٠٠ ملجأ للأيتام ، ١١٥ مدرسة للحكومة ، ٨٥ ملجأ للأرامل ، ٥١١ مستوصفاً للعلاج .



المجتمــــع الأسـبانى

كان سقوط آخر الممالك العربية فى غرناطة (١٤٩٢) ، وكان الهدف القوى تغذية الكراهية والازدراء لكل ما هو عربى وإسلامى ، فى محاولة لمحو تأثيرات العرب على الثقافة الإسلامية ، واعتبرت كتب التاريخ الأسبانية فترة الحكم العربى الإسلامى كفترة احتلال أجنبية بغيضة.

ولكن بدأت من القرن التاسع عشر مرحلة مراجعة التاريخ الأسبانى على يد قلة قليلة من المستشرقين الأسبان حاولوا فيها على استحياء رد الاعتبار للتدمير العربى فى صياغة الثقافة والمجتمع فى أسبانيا ، وظلت هذه الحركة تنمو بالتدريج إلى أن دهمتها الصراعات الداخلية فى أسبانيا ووصلت إلى قمتها فى الحرب الأهلية الأسبانية أواخر الثلاثينات من هذا القرن واستعانت القوى الفاشية فى تلك الحرب بالكنيسة الكاثوليكية ضد القوى الجمهورية الديمقراطية وانتصرت عليها وأسست نظاماً فاشياً حاكماً بقيادة الجنرال فرانكو ظل يهيمن على مقاليد السياسة والثقافة حوالى أربعين عامًا متصلة ، وانكفأت أسبانيا على شئونها الداخلية وتباطأت حركة الاستشراق الأسبانية وأن لم تتوقف تمامًا ، وبعد انتهاء حكم فرانكو وبداية التحول الديمقراطى فى السبعينات دب النشاط بوتيرة أسرع فى حركة الاستشراق الأسبانية ورد الاعتبار للدور العربى فى التاريخ والثقافة الأساسيتين من جديد .

وحمل لواء هذه الحركة الدكتور (بدرو مارتينيز مونتالير) الذى شغل فى وقت من الأوقات منصب رئيس جامعة مدريد حيث حرص الرجل على تنشئة جيل جديد من المتخصصين فى الشئون العربية عموماً باستخدام منهجيات جديدة .



مسلمو الأندلس المعاصرون

عاش (الموريسيك) مسلمي أسبانيا غرباء في الأندلس ، عاشوا ١٢٥ عاماً مسلمين في السر مسيحيين في العلن .

يقول الدكتور محمد حسن البحر في بحثه المستفيض :

« إننا الآن مع ٢ مليون مسلم عاش أجدادهم ١٢٥ عامًا مسلمين في السر مسيحيين في العلن » .

تاريخ هذه القصة ذهب أبطاله وطويت صفحته من حوالي خمسة قرون ولم يبق سوى الأحفاد الذين ينطقون دوماً : « **لا إله إلا الله محمد رسول الله** » .

مسلمو الأندلس البواسل الذين اضطروا إلى إعلان التنصير في ظل ظروف تعسة وصفها الكاردينال رتشيلو في مذكراته بقوله : « إنها أكثر صفحات التاريخ فظاعة ووحشية » ، ودخل هؤلاء المسلمون التاريخ باسم (الموريسيكين) ، و (موريسيك) يعني مسلم ، والأسبان هم أصحاب التسمية منذ كان أول عبور المسلمين إلى أوربا عن طريق المغرب.

وكانت مملكة غرناطة قد ظلت تحمل وحدها راية الإسلام على مدى قرنين تقريباً لأنها كانت حصن الإسلام الأخير في الأندلس وقد احتمى بها كل من استطاع الوصول إليها من المسلمين .

والمشهد الأخير من تسليم غرناطة لا يزال يدمي قلوب المسلمين في كل مكان، وكان تسليم غرناطة آخر القلاع الإسلامية في الأندلس (٢ ربيع الأول ٨٩٧ ـ ٢ يناير ١٤٩٢) ، وتسمى منطقة (زفرة العربي الأخيرة) حيث وقف أبو عبد الله ملك الأندلس المهزوم وألقى نظرة أخيرة على قصور الحمراء ثم أجهش بالبكاء يوم تسليم مفاتيح الحمراء وقد قالت له أمه : « ابك ملكاً » .

وكان المسلمون يطلق عليهم في الممالك التي سقطت بأيدي الكاثوليك اسم (المدجنون)، والمدجنون هم المسلمون الذين بقوا في الأندلس تحت الحكم

الكاثوليكى، وظلوا على ديانتهم من أهل السنة (مذهب الإمام مالك) ، ومنذ القرن السابع الهجرى أطلق هذا الاسم .. (المدجنون = الموريسيك) .

وكان فريق من المسلمين ينزح إلى الجنوب ثم يهجر الأندلس كلها إلى المغرب ولكن كثيرين بقوا وتركزوا أساساً فى شرق الأندلس وكانت لهم أحياؤهم الخاصة .

هناك وثيقة (أسنى المتاجر فى بيان أحكام من غلبه على وطنه النصارى ولم يهاجر) ، وهى فتوى لأحد فقهاء المغرب الشيخ أحمد بن يحيى التلمسانى الونشرينى وكان رأى هذا الفقيه أن الهجرة من أرض الكفر إلى أرض الإيمان فريضة قائمة إلى يوم القيامة ، وأن المشرك الذى يعلن إسلامه ينبغى أن يترك دار الحرب ويلحق بدار المسلمين حيث تجرى عليه أحكامهم وتجب عليه الهجرة ، والمعروف أن عدداً من المسلمين بقوا فى الأندلس وغيروا دينهم ، وفى منطقة (البشرات) هذه القبائل جميعها مسلمو الديانة يعتنقون مذهب الإمام مالك رضى الله عنه ويعيشون على الزراعة ولكل قبيلة مسجد خاص .

وكانوا قد أثاروا معارك كثيرة واستمروا فى الانتقام من الموريسكيين عبر محاكم التفتيش ولكنهم جميعاً ظلوا على إسلامهم الذين ذهبوا إلى ربهم والذين عاشوا بقيت الشهادة فى انتظارهم .

وظهر بحارة من المسلمين يعبرون على الثغور الأسبانية وينقلون المسلمين سراً إلى شواطئ المغرب ، وتسجل محاكم التفتيش حتى القرن السادس عشر على إصرار هؤلاء المسلمين على البقاء مع التمسك بدينهم سراً .

ويظل (الموريسيكى) أو المسلم الذى عاد إلى الإسلام بعد التنصر لا يكف عن الصلاة على رسول الله ﷺ ويستقبل الإشراق يومياً باسم الله ، ويوثق أرجل الماشية ويرفض أكل الذبيحة التى لم يذكر اسم الله عليها ، ويختن الأولاد ويسميهم بأسماء عربية للتبرك ، ويصوم رمضان ولا يأكل لحم الخنزير ولا يشرب الخمر ، ويتزوج طبقاً للشريعة الإسلامية ، وينشد الأغانى العربية ويغسل الموتى .

وفى قرية (برذنار) يعيش الفصل المثير فى أحداث ثورة الموريسيك الشيخ عبد الله الهاشمى (١١٤ سنة) ، وعندما اندلعت الثورة وطالب الموريسيكيون باستقلالهم وشرعوا فى البحث عن أمير لهم توجه إلى (البشرات) أحد الأشراف من سلالة بيهان القشتالى ، وأقام فى برذنار حيث كان أهله فتوجوه ملكاً عليهم فى

ديسمبر ١٥٦٨ ، فى هذا الاستقلال فرشت الأرض بأعلام أسبانية ذات أهلة فصلى عليها الأمير متجهاً صوب مكة وقبل أحد أتباعه الأرض رمزاً للخضوع والطاعة وأقسم الأمير أن يموت فى سبيل دينه ووطنه ويسمى باسم نور ابن أميه صاحب الأندلس وبدا يعمل لاستقلال الموريسكيين وعودتهم إلى دينهم الحقيقى .

ويتحدث الباحث دكتور محمد حسن البحر عن محنة المسلمين الذين تحولوا إلى موركسين إذ تنبه إلى ذلك بعض المتعصبين حيث تم الاتفاق على أن يقضى عليهم بالرق وأن يرسل من بينهم ألوف كل عام للعمل فى السفن ومناجم الفحم حتى يتم إفناؤهم عن آخرهم ، وذهب رأى إلى قتل البالغين واسترقاق الباقين وبيعهم عبيداً ، ورأى وزراء فيليب الثانى أن يجمع الموريسكيون ويحملوا على السفن ثم يغرقوا فى عرض البحر .

وفى عام ١٦٠١ قدم المطران ريدا تقريراً إلى الملك يقول فيه : الموريسكيون لا يعترفون ولا يقبلون البركة ولا الواجبات الدينية ولا يأكلون لحم الخنزير ولا يشربون النبيذ ، وهذا يرجع إلى مسألة العقيدة والعزم الراسخ أن يبقوا مسلمين كما كان آباؤهم وأجدادهم .

وفى عام ١٦٠٩ أعلن مرسوم النفى وطالب القرار كل الموريسيكين بمغادرة الثغور الأسبانية خلال ثلاثة أيام على سفن أعدت لهم ، ولكن النفى فسح لبقاء ستة بالمائة من الموريسكيين فى كل مدينة للانتفاع بهم كعمال وخدم ، وقرر المسلمون أن يرحلوا جميعاً ولا يبقى منهم أحد .

وكان قد نفى منهم حوالى ٦٠٠ ألف موريسيكى حملتهم السفن تباعاً إلى شواطئ المغرب العربى وبعضهم عاد سراً إلى جبال البشرات فيما بعد وهم البقية التى تعيش الآن فى أسبانيا .

وكان من نتائج الجريمة ضربة لأسبانيا عصفت بموارد عيشها ، ودفع بها القحط إلى الخراب ، وانهارت الفنون والصناعات ، وحلت المعاهد والفرسان محل التجار والزراع والدهماء ، فحل البأساء محل نضرة الوديان الخصبة بعد رحيل وضرب المدن الكبيرة التى زويت .

هذا والمعروف أن الموريسكيين الباقين منذ خروج المسلمين من الأندلس هم ثمرة هذا الوضع الجديد .

واقع المسلمين فى أسبانيا

وعن تقـرير جـديد عن وضع المسلمين [جـريدة العلم المغـربيـة فى ١٩ يناير ١٩٩٠ للدكتور عبد الحميد النمسمانى]

تعتبر الجالية الإسلامية فى أسبانيا شابة إذا قورنت بمثيلاتها فى معظم الدول الغربيـة ، ويظهـر هذا بوضـوح حين نذكـر أن أول مكان أقيـمت فيه صلاة الجمعة كـان فى مـدينة غـرناطة بعد سقـوط الأندلس بخـمسة قـرون ، وهذه الجالية مكونة بالدرجـة الأولى من الذين قدموا من البـلاد العـربيـة بقـصـد الدراسة أو البـحث عن عمل ، ويقدر عددهم ١٢٠ ألفاً ، ولكنا نستطيع الجزم أنه قلما تخلو مدينة أسبانية من المسلمين إلا أن أمـاكن تواجـدهم الأسـاسـيـة هى : غـرناطة ، قـرطبـة ، ملقـا ، الشـاطئ الشـمـسى ، الجزيرة الخضـراء ، ويعيش أغلبيـة المسلمين فى شبـه الجزيرة الأيبرية كـمـا هو الشأن فى دول أوربا ، حالة نفـسية يهيـمن عليـها الشعور بالنقص الذاتى تجـاه المواطنين الأسـبـان ، ويتـمـخض عن هذا الشـعـور آثار سلوكـيـة ذات انعكاسات خطيرة ؛ أهمـها : سيطرة الاضطراب على حياة الطلبة المسلمين العزاب داخل بيئة يكتنفها التمتع الجنسى المطلق ، ويرجع إقبال الشباب المتزايد على الزواج بالأسبانيات إلى ضعف التربية الإسلامية ليرى هؤلاء الإغراءات الجنسية المتولدة عن طريق الاختلاط والإباحة ، وقد أفرز هذا الزواج مشاكل معقدة يمكن تلخيصها فى مستقبل الأطفال ثمرة هذا الزواج .

وبالنسبة للعمال فإن المشكلة الكبرى تتجلى فى تربية الأطفال الذين لا يجدون أمـامهـم سـوى المدارس الأسبـانية التى يتلقـون فى أحـضـانهـا تربيـة نصـرانيـة وأغلبـهـم ينشئون جاهلين بالعربية قراءة وكتابة ، فهم يعانون من سيطرة الثقـافة الغربية بسبب نشأتهم فى أحضـان الأم ، وهناك مبادرات للدعوة وهى تفتقـر إلى متخصـصين فى العلوم الشرعية واللغة الأسبانية والإلمام بعقلية الأوربى المخاطبة ، ويؤكد هذا على ثلاثة أمور :

الأول : عدم وجود خطة مرحلية أو بعيدة المدى للدعوة لدى المسلمين الوافدين ، وهذا يرجع إلى طبيعة تكوينهم وإلى القدرات التى لديهم .

الثانى : الظروف التى حصل فيها إعلان الإسلام من قبل مجموعة من الأسبان والأطر التى مرت بها وواقع معظم المشرفين على تجمعاتهم ، كل هذه الاعتبارات جعلت بقية المسلمين يقفون من تلك الجمعيات موقف الحذر .

الثالث : حرص المسلمين الأسبان على الانفراد بنشاطاتهم ورفضهم إقامة علاقات مع بقية المسلمين ، فإذا أنكر عليهم ذلك تعللوا بأنهم لا يريدون أن تنتقل إليهم أمراض العالم الثالث (الإسلامى) .

ومن هنا فإن علينا أن ندرس مفهوم الدعوة الإسلامية فى أسبانيا .

إن الإسلام يوقظ إحساساً جديداً داخل الإنسان ويجعل لحياته تصوراً جديداً ، والإنسان بتصوره الجديد هذا ينضم إلى جماعة تقوم على الإيمان ، ويشارك فى حركة وجهد جماعى لتغيير الحياة البشرية والمجتمع .

★★★

الإسلام فى أسبانيا

يقول الدكتور عبد الحميد النمسمانى :

إن صلة الإسلام فى أسبانيا ذات تاريخ حافل وملون ، ظلت أسبانيا جزيرة إسلامية طيلة ثمانية قرون وكان لها أثر فى بقية أجزاء القارة الأوربية غير أن هذا الأثر ظل جزئياً وغير مباشر ، ثم جاء عصر الحملات الصليبية التى قامت على أساس من التعصب وتشويه الحقائق ، وأسفرت عن سفك الدماء والعداء ، ومنذ ذلك الحين ظل العالم الإسلامى وعالم النصرانية متباعدين .

وصل الإسلام إلى الجزيرة الأيبيرية عن طريق الفتح ولقد ساد الأثر الفكرى والثقافى الإسلامى طيلة قرون وما زال محسوساً حتى اليوم ، لكن هذا الأثر الفكرى

لم يتمكن من إزالة التعصب ضد الإسلام كما لم يتمكن من تمهيد الطريق لتفهم أفضل لرسالة محمد صلى الله عليه وسلم فى هذا الجزء من العالم .

أما المرحلة الحالية فى العلاقة بين الإسلام وأسبانيا فقد بدأت مع انحسار الاستعمار وظهور عدة دول إسلامية مستقلة ، ولقد عاش بعض المسلمين فى أنحاء كثيرة من أسبانيا على مر المسلمين ثم جاءت موجات كثيرة من الهجرة على أسبانيا وقد نجم عن هذه الهجرة فى العقدين الأخيرين وجود جاليات إسلامية كثيرة وكذلك فقد وفد إليها عدد ضخم من الطلاب مستمراً فى تدفقه .

وينزل بعض التقديرات المتحفظة أن عدد المسلمين حالياً فى أسبانيا يفوق (١٢٠ ألفاً) ولكن هذه التقديرات هى فى أفضل الأحوال تقديرات غير مبنية على اطلاع وعلم وتحتاج فى هذا الأمر إلى بحث ودراسة تفصيلية والواقع أن هذا مجال يدعو الباحثين المسلمين إلى بذل جهد كبير للتأكد تماماً من القوة العددية الصحيحة للمسلمين فى أسبانيا وتحليل السكان المسلمين يبين وجود ثلاث مجموعات رئيسية :

١ ـ المسلمون المحليون .

٢ ـ جاليات إسلامية كبيرة مهاجرة تعيش فى مدن معينة

٣ ـ عدد كبير من الطلاب المسلمين وموظفى المنظمات الدولية ، وهذه المجموعة الأخيرة يفترض أنها تقيم فى عملها لفترة محدودة فقط .

لقد حاول المسلمون فى كل مكان تقريباً أن ينشئوا المساجد وأنواعاً من المراكز الإسلامية لكنه لم تتخذ حتى الآن الترتيبات لتوفير تعليم إسلامى للأطفال المسلمين والصلات بين المسلمين المحليين والمسلمين المهاجرين منعدمة ، ولهذا فإنه لجدير بنا أن نقوم بدراسة مستفيضة للمشكلات التى تواجهها الدعوة الإسلامية والإمكانيات المفتوحة أمامها ، وللمشكلة بعدان :

١ ـ كيفية توفير الحماية والحفاظ على الشخصية العقيدية والثقافية للمسلمين الذين يتعرضون لمناخ غير ملائم لهم خلقياً وثقافياً ، وهذا يعنى بعبارة أخرى : كيفية جعل المسلمين مسلمين حقاً على الصعيد الفردى والجماعى .

٢ ـ ما هى أفضل السبل لتبليغ رسالة الإسلام لغير المسلمين مع الأخذ بعين الاعتبار لخلفياتهم الفكرية والثقافية .

وبالرغم من أن الحكمة تقتضى تحديد أهداف معينة واستراتيجية لكل من هذين الجانبين فإن من الواجب أن لا نغفل عن الترابط الوثيق بينهما .

الظروف الموضوعية فى أسبانيا والدعوة الإسلامية:

لعل من المفيد قبل أن نحاول اقتراح وأهداف واستراتيجية مناسبة للدعوة فى أسبانيا ، أن نتعرض باختصار للظروف الموضوعية التى تتضافر لتشكل الإطار الذى لابد من بذل الجهود داخله حيث يتآلف المسلمون فى معظم المدن الأسبانية من المجموعات التالية ولكل منها ملامحها ومشكلاتها وقيودها نخبة مثقفة من الرجال والنساء العاملين فى التجارة أو المهن المتخصصة ، ولقد كان لهؤلاء نفوذ كبير فى كل مكان شاركوا فيه شؤون الجالية ، ولكن اشتراك هذه النخبة مع الجالية مازال بعيداً عن النتائج المتوخاة، لذلك يجب مراعاة التحديات التى تواجه الدعوة الإسلامية حيث تبذل جهود تبشيرية واسعة فى أوربا وفى كل أنحاء العالم تقوم بها الديانات والعقائد الأخرى ، خصوصاً الطوائف النصرانية ، والشيوعية كما دخلت الحلبة كل من البهائية والقاديانية .

وهكذا فالنظام القديم هو فى طور النزع والنظام الجديد لما يولد بعد ويتفق المؤرخون على أن الحضارة الغربية تمر الآن بمرحلة أزمتها المتأخرة ، وأن المسرح مهيأ لظهور حركة جديدة تقوم على قيم تختلف اختلافاً جوهرياً عن قيم الحضارة الغربية المعاصرة ، والشىء الذى يمكن أن يقال على أساس معقول من الذكاء التاريخى هو أن التربة قحلة والنفوس تعانى فراغاً عقيدياً وروحياً ، وأن من سنن التاريخ أن لا يظل فراغ دون أن يملأ .

أما السؤال ماهى العقيدة التى ستملأ هذا الفراغ ؟ فإن ذلك مرهون بعدة عوامل ، وأن للإسلام فرصة لملء هذا الفراغ ، فالقلق قد استفحل حيث أصبحنا نشاهد فى الأفق الفكرى أو الثقافى عدداً كبيراً من التيارات والحركات وهنا تكمن فرصة الإسلام فالمسلمون الأسبان مفتقرون إلى العلم ويبدو هؤلاء قانعين بما اكتشفوه من نعمة فى صورة اعتناقهم للإسلام ولكنهم لايبدون كبير حماس لدعوة غيرهم إلى سلوك هذا السبيل .

إن الإسلام لا ينادى بإنكار الحياة ، وإنما يدعو إلى تحقيق الحياة تحقيقاً كاملاً

وهو يقدم برنامجاً لتغيير جذرى فى الفرد والمجتمع على ضوء المفهومين الأساسيين : توحيد الخالق والتساوى بين الناس ، وهو يقدم نظرة شاملة للإنسان تنصهر فيها فى كتلة واحدة الجوانب الخلقية والمادية والروحية والدنيوية ، وهو يرفض تقسيم الحياة إلى قسمين مستقلين منفصلين لا رابط بينهما ، بل يعتبر العالمين متكاملين وهو يدعو الإنسان إلى الأخذ بالذى هو خير فى هذا العالم الآخر على السواء .

﴿ **ومنهم من يقول ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار** ﴾ [البقرة : ٢٠١]

ولهذا أضحى لازماً أن يكون مفهوم الدعوة كما يستبين من القرآن والسنة مفهوماً واضحاً :

١ ـ أن الإسلام دين عالمى وأن محمداً ﷺ ليس مبتدع الإسلام ، ﴿ **وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل** ﴾ [آل عمران : ١٤٤] .

إن الدعوة الأولى الإسلامية لتقوم على التركيز على هذا العامل المشترك والبعد عن التحزبات القومية .

إن الإسلام دين ومنهج كامل للحياة وليس برنامج إصلاح حزبى فهو يجعل موضوعه الإنسان بكل مقوماته وكل جوانب وجوده الروحى والخلقى والفردى والجماعى ، وهو يحاول أن يغير الإنسان من داخله ﴿ **إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم** ﴾ [الرعد : ١١] وأن ييسر لهذا الإنسان الجديد خلق مجتمع عامل رحيم متوازن ، أما المثل الخلقى الإسلامى فهو يتحقق فى صورة الإنسان المتقى الذى يعدل فى مجتمع خلقى يستوحى علاقاته الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والوطنية والعالمية من قيم الحق والعدل الإسلامية ، وهذه الصورة هى التى تستحق أن تعرض فى الدعوة .

٣ ـ لابد من عرض الدعوة الإسلامية بالكلمة والعمل على الصعيد الفردى والصعيد الاجتماعى ، وتقوية ذلك بنشر المعلومات عن الإسلام وتكييف الحياة وفق ما يدعو إليه ، ولقد أكد القرآن على ضرورة التوافق بين القول والعمل خصوصاً فى إطار الدعوة .

٤ ـ القيام بدراسة الإطار والأبعاد التى تبلغ بها الرسالة دراسة دقيقة ، ومعالجة

مشكلات المجتمع بأسلوب يكافح الشر من جذوره ومحاولة تصحيح مفهوم العلاقة بين الله تبارك وتعالى والإنسان فى فهم الواقع .

٥ ـ لا بد من التدرج بالدعوة تدرجاً صحيحاً وتقديم الأمور الجوهرية على التفصيلية بحيث يكون الإيمان هو الهدف الأول وذلك بتقديم الفرائض على النوافل، ويجب تجنب الخلافات الطائفية على كل صعيد ، ولا ينبغى تحقيق كل شىء مرة واحدة ، فلقد كانت الحكمة فى تنزيل القرآن منجّماً هى أن ينعتق المجتمع خطوة خطوة .

ويقول بهيج بلاجوين مدير المركز الإسلامى (فى شأن الدعوة الإسلامية فى أوروبا) : الدعوة الإسلامية فى أوربا بدأت فى بداية القرن الحالى وكانت لها وسائل تختلف عما يجب أن يكون عليه الآن : ذلك لأن النظرة إلى الجالية الإسلامية فى الماضى تختلف عن الجالية الإسلامية اليوم حيث لها وجود فى حقل العمل والسياسة والتجارة والعلاقات الاجتماعية .

أهم القضايا التى تواجه المسلمين فى أوربا هى قضية التعايش فى المجتمع بما يحفظ لها الهوية الإسلامية والوطنية وإحباط كل محاولات أعداء الإسلام التى تجعل من وجود المسلم عالة على المجتمع الأوربى .

ويجب إعادة صياغة التفكير بما يتناسب والمستقبل وإقامة مبدأ الحوارات بين الحضارات والأديان ، ويوجد الآن فى أوربا الغربية ١٥ مليون نسمة يختلفون فى مشاربهم وتوجهاتهم ولا يبحث الآن تجمع المسلمين ككيان دولى .



الباب العاشر
رسالة الإسلام إلى قلب أوربا

إبان العصر اليونانى الرومانى كانت البوسنة جزءا من الإمبراطورية الرومانية ، وفى القرن السابع الميلادى بدأت القبائل السلافية تستوطن البوسنة ثم أخذت تمتزج مع السكان الأصليين ، ثم ضمت البوسنة إلى الإمبراطورية البيزنطية ، وفى القرن الثانى عشر ضمت البوسنة إلى المجر الآخذة فى القوة ، وفى القرن الثالث عشر أصبحت إمارة مستقلة لأول مرة فى تاريخها ثم تحولت بعد ذلك إلى الملكية .

وبعد انتصار تركيا على المجر والتشيك فى معركة (موخاتش) ١٥٢٦م أصبحت البوسنة منفصلة تماماً عن أوربا المسيحية حيث أصبح الأتراك يهددون فينا نفسها ، وتمكنت قوات الخلافة العثمانية بقيادة السلطان محمد الفاتح من الامتداد غرباً تجاه شبه جزيرة البلقان لتضم جمهوريات صربيا والبوسنة والهرسك ومقدونيا وجزء من كرواتيا ، وهو الضم الذى استمر حتى الربع الأخير من القرن التاسع عشر حيث نشبت حرب جديدة بين روسيا وتركيا عامى ١٨٧٧ ، ١٨٧٨ ، ثم انضمت البوسنة والهرسك إلى المجر النمساوية وقاوم شعب البوسنة هذا الإجراء مقاومة عنيفة .

وفى ديسمبر ١٩١٨ تم الإعلان عن قيام مملكة الصرب والكروات والسلوفيين وسرعان ما عادت النزاعات القومية إلى الظهور كأبرز عوامل عدم الاستقرار .

ولكن المسلمين منذ انحسار النفوذ العثمانى عن المنطقة كانوا الضحية الأولى لكل النزعات العرقية الداخلية والأطماع الخارجية وعانوا كثيراً من التجاهل المطلق لكافة حقوقهم وكانوا عرضة للتقتيل والتنكيل .

وكان تيتو عام ١٩٤٥ قد ارتكب خطأً بالغاً تجاه البوسنة والهرسك بمحاولاته تغيير التركيبة السكانية وتوطين أعداد كبيرة من الصرب والكروات فى مناطق المسلمين وكذلك كانت من أعمالهم التى كانت لها نتائج تشجيعية تزويج المسلمات من الصرب والكروات .

وبسبب هذه الأعمال اختل توازن التركيبة السكانية فى البوسنة والهرسك التى كانت تضم أغلبية ساحقة من المسلمين حيث أصبح منهم أعداد كبيرة من الصرب

الأرثوذكس والكروات الكاثوليك وبعد تحطيم يوغوسلافيا حتى أعلنت كرواتيا ومقدونيا وسلوفينيا استقلالها ، أما البوسنة والهرسك فقد عارض السكان الصرب .

وما إن أعلن استقلال البوسنة والهرسك وشعر المسلمون أن حقهم فى الحياة العزيزة الحرة الكريمة قد حان ، ولكنهم كانوا مخدوعين فالحرية متاحة للجميع ما عدا المسلمين لأنهم فئة أخرى بل أن هناك فى الغرب من يعلنون أن الإسلام هو العدو الأكبر للغرب ويجب استئصاله من أوربا .

وتعد الصرب نقطة الانفجار المتوقعة فى شرقى ووسط أوربا ، إذ أن قادة هذه الجمهورية يمارسون سياسة (التطهير العرقى) مما يؤدى إلى ارتكاب مجازر بشعة ومذابح تقشعر لها الأبدان ضد المسلمين وغيرهم من القوميات

وعندما عمل الصرب على التطهير العرقى لإقليم كوسوفو الذى تغطيه أغلبية ألبانية مسلمة فإن جنوب وشرق أوربا سيكون مهدداً بانفجار واسع النطاق .

ثم جرت عملية التطهير العرقى التى استهدفت تدمير وجود المسلمين حتى لا تقوم فى أوربا دولة مسلمة وتعاقدت دول أوربا على عدم تمكين مسلمى البوسنة والهرسك من الدفاع عن أنفسهم وتصفيتهم بكل وسائل القتل والتعذيب والدفن أحياء ، وتعاقدت دول أوربا على الوقوف فى وجه المسلمين .

يظهر ذلك واضحاً فى الخطاب الذى أرسله جون ميجور رئيس وزراء انجلترا إلى دوجلاس هوج رئيس مكتب الأجانب والكومنولث برئاسة الوزارة ، والذى نشر بجريدة ليليان البوسنوية بتاريخ ١٩٩٣/٦/٧ :

شكراً على تقريركم الوافى حول الوضع الحالى والماضى فى منطقة البوسنة والهرسك فى يوغسلافيا السابقة وكما تعلمون أن كلاً من مجلس الوزراء وحكومة جلالتها لم تغير موقفها من أى من السياسات التالية :

١ ـ نحن لا نوافق الآن ولا مستقبلاً على أى تسليح أو تدريب للمسلمين فى البوسنة والهرسك .

٢ ـ سوف نستمر فى الالتزام وإرغام الأمم المتحدة على حظر السلاح إلى منطقة البوسنة والهرسك بينما نعلم جيداً أن اليونان وروسيا وبلغاريا يمدون صربيا بالسلاح ، كما أن ألمانيا والنمسا وسلوفينيا وحتى الفاتيكان يقومون بنفس المجهودات

لصالح الكروات فى المنطقة مع التأكد على عدم نجاح الدول والجماعات الإسلامية فى توصيل المساعدات فى البوسنة .

وسوف نستمر فى اتباع هذه السياسة حتى يتم تقسيم البوسنة والهرسك وتدميرها كدولة إسلامية متوقعة داخل أوربا ـ الأمر الذى لا يحتمل ـ ولا نريد أن نكرر خطأ تسليح وتدريب المجاهدين الأفغان ضد قوات الاتحاد السوفيتى السابق ، وتحولهم لما يسمى بالمجاهدين المسلمين ، الأمر الذى يؤدى إلى مشاكل خطيرة فى المستقبل بين التجمعات المسلمة المهاجرة فى المجموعة الأوربية وأمريكا الشمالية .

إن هناك اهتماماً خاصاً من قبل أجهزة الأمن الداخلى سوف يتخذ تجاه التجمعات الإسلامية فى أوربا ، وخاصة هنا فى المملكة المتحدة ، وحتى يستقر الوضع فى يوغوسلافيا القديمة يجب علينا مهما كلفنا الأمر أن نتأكد من أنه لا يمكن لدولة تعتبر إسلامية أن تقوم فى المنطقة وعليه فإن من الضرورى أن نستمر فى المحادثات الصورية (لفانس ـ أوين) للسلام بهدف تأخير أى تحركات ممكنة حتى لا يعود هناك أى وجود للبوسنة والهرسك ، ويزاح التجمع الإسلامى تماماً عن أرضها.

هذه الرؤيا يجب أن تعرف أنها السائدة فى كل حكومات أوربا وأمريكا الشمالية وعليه فإننا لن نتدخل فى هذه المنطقة لحماية التجمعات الإسلامية أو ندفع إلى رفع حظر السلاح عنهم .

إن المسلمين يجب أن يعلموا أنهم لا يمكن أن يعترضوا رؤيتنا للعالم فى ظل النظام العالمى الجديد وفى ظل جمود ما يسمى بالحكومات الإسلامية وفى ظل عجزهم عن فعل أى شىء لمنع القضاء على المسلمين فى البوسنة والهرسك وعدم جدوى فعل أى شىء لتحقيق وعودهم بعد مؤتمر (منظمة المؤتمر الإسلامى بتاريخ ١٩٩٣/١/١٥م فإنهم جميعاً ليس لديهم قوة لاعتراضنا إذ أننا نتحكم فى حكوماتهم .

إننى أعلم تماماً أنك لا تشعر بالذى أشعر به ويشعر به وزير دفاع بريطانيا حول هذه القضية ، ومن المهم أن نعرض جميعاً وجهة نظر موحدة للبرلمان حول هذه القضية خاصة بعد الهجوم القوى على هذه السياسة من رئيسة الوزراء السابقة .

إننى أتوقع من كل هؤلاء الذين يخدمون الحكومة أن يحترموا مسئولية مجلس الوزراء [جون ميجور ـ رئيس وزراء بريطانيا] .

وثيقــة البوسنــة

وثيقة مؤرخة ١٩٩٣/٥/٢ موجهة من جون ميجور رئيس وزراء بريطانيا إلى وزير خارجيته دوجلاس هيج تكشف حقيقة الموقف البريطانى خصوصاً والغربى عموماً من مأساة شعب البوسنة :

إن حكومتى لا ولن توافق مستقبلاً على تسليح المسلمين أو تدريبهم وستواصل مساعيها لإحكام المقاطعة التى فرضتها الأمم المتحدة بالرغم من أنها تعلم أن اليونان وروسيا يمدان الصرب بالسلاح ويقومان بتدريبهم ، كذلك فإن عدداً من الدول الغربية بينها سلوفينيا والفاتيكان تقوم بدور مشابه لمصلحة الكروات الصرب .

يشير ميجور على ضرورة عرقلة كل الجهود التى تبذل من جانب المسلمين فى المنطقة أو الدول الإسلامية والمجموعات الأخرى لفك الحصار عن شعب البوسنة والهرسك ، ويعترف ميجور بأن قيام دولة إسلامية فى وسط أوربا لا يحتمل ، وأن السياسة البريطانية ستظل على موقفها ذاك حتى يتم تجريد البوسنة والهرسك من السلاح ويتم تدمير الدولة الإسلامية .

ويعيد ميجور إلى الأذهان ما يسميه بالخطأ الذى ارتكب عند تدريب المسلمين الأفغان والمتطوعين ضد القوات السوفيتية ويؤكد على أن مثل هذا الخطأ يجب ألا يقع ثانية لأنه سيقود إلى نتائج خطيرة فى أوساط المهاجرين المسلمين فى دول المجموعة الأوربية وفى أمريكا الشمالية مستقبلاً .

وتشير الوثيقة إلى موقف الولايات المتحدة من إيران وأوربا ووجوب وضع الجاليات الإسلامية فى الدول الغربية عموماً تحت المراقبة الصارمة أمنياً وبخاصة فى المملكة المتحدة .

ويضيف : يجب على بريطانيا ألا تسمح ومهما كلف الأمر لأية دولة مسلمة بأن تتدخل فى سياسة الغرب فى هذه المنطقة ، ويؤكد على ضرورة الاستمرار فى مسعى (فانس ـ أوين) لتأخير أى عمل محتمل ريثما تمحى البوسنة والهرسك من الوجود كدولة ويتم تهجير كل المسلمين.

ويضيف : إن مثل وقيم أوربا يجب أن تظل قائمة على أسس الحضارة المسيحية مضيفاً أن تلك النظرة هى السائدة فى أوساط الحكومات الغربية عموماً وأمريكا خصوصاً .

ولذلك فإن بريطانيا لن تتدخل لحماية المسلمين ولن تضغط لرفع الحظر المفروض على مدهم بالسلاح ، ويجب أن يفهم المسلمون الذين يعيشون فى الغرب أنهم لن يستطيعوا الاعتراض على المنظور الأوربى للنظام العالمى الجديد .

ويقول: إن حكومات منظمة المؤتمر الإسلامى لاحول لها ولا قوة ويسيطر الغرب على معظم حكوماتها وهى تستطيع تعزيز سياسة من خلالها كما تستطيع تجريدها من إمكانية تعزيز سياسة مختلفة لمصالحه وتوجيهاته .



العودة إلى الأصالة

كان السيد : على عزت بيجوفيتش هو صاحب الدعوة إلى العودة إلى الأصالة، بدأ ذلك منذ وقت بعيد حين أصدر كتابه : « **البيان الإسلامى** » الذى أحدث هزة خطيرة فى أوربا كلها والذى اعتبره تيتو عام ١٩٧٠ أكبر خطر يهدد أوربا والشيوعية ؛ لأنه يمثل ميثاق عمل إسلامى يضم المسلمين من أندونيسيا إلى المغرب فى اتحاد وثيق متكاتف ، وقد تم اعتقال على عزت بيجوفيتش بعد صدور الكتاب حيث ألقى فى غياهب السجون ، وكان قد أدرك الخطر الذى واجه البوسنة بعد ذلك ، وقد أدرك أيضاً بقدرته التحليلية عوامل الضعف والقوة والتناقض والقصور وأطلعنا على حقائق لم تستلفت انتباهنا ، والرجل منذ بداية التسعينات لم يكن معروفاً على المستوى الدولى رغم أنه رئيس دولة البوسنة المسلمة التى تقع فى قلب أوربا ، وحتى حينه لم تكن متوفرة لدينا عنه سوى أنه صاحب كتاب « الإعلان الإسلامى » الذى صدر عام ١٩٧١ وطرح فيه فكرته لإقامة دولة إسلامية يسودها الخير والحق فى قلب أوربا .

ومنذ إعلانه هذا ذاق الأمرين من جانب سلطات بلجراد التى أعملت القتل والتعذيب وإراقة الدماء وهتك الأعراض ومعسكرات التعذيب لشعب البوسنة المسلم ،

وبدا اسم على عزت بيجوفيتش يطرح نفسه على الساحة بقوة وأخذ يتردد فى كافة الأصعدة ، ولفت انتباه العالم بأحاديثه المؤثرة وخطبه القوية فى المحافل الدولية مع زعماء العالم.

ظهرت بساطته الإسلامية فى التعامل مع أبناء شعبه ، وظهر ذلك خلال زيارته إلى الأسر المنكوبة فى سراييفو وكولينيا وبيهاتشى وجورازدى وغيرها من مدن البوسنة الصامدة ليعيد فيهم الأمل ويمسح عنهم الحزن فى مواجهة مؤامرة دبرت بإحكام وصمت دولى رهيب وغياب كامل للأمم المتحدة وضعف وتخاذل من أوربا ، حتى المساعدات الغذائية والمعونات الإنسانية والطبية لم تعد تصل للمنكوبين فضلاً عن استمرار حظر السلاح على المسلمين فى البوسنة ورفعه عن الصرب والكروات .

وعندما قدم من أوربا إلى الأراضى المقدسة قدم نفسه للمسلمين فقال : أنا قادم من البلد والشعب اللذين يتعرضان للإبادة ، وقد تحدثت فى ذلك كثيراً فى الشهور الماضية ولكننى لن أتحدث من ذلك اليوم ، فقط سأقول أنه بعد ثلاث سنوات من الحرب فإننا مازلنا ـ بفضل الله ـ نقاوم القوة الأكبر ، لقد كبدونا خسائر فادحة لكنهم لم ينجحوا فى الإجهاز علينا وسنبقى بعون الله ولن تفلح عقوبة الإعدام المفروضة على شعبنا ولن تجدى .

تتوقعون منى أمام الجمع السامى بعض كلمات عن الإسلام والثقافة العربية فى العالم الجديد أو العهد الجديد ، ومعرفتى بهذه الموضوعات ليست كبيرة ولكن سأقدم بعض أفكارى حولها :

أولاً : نظرة على البدايات فى الماضى البعيد :

لقد مضى محمد ﷺ عام ٦٣٢م وبعدها بمائة عام فقط غطت القوة الروحية والسياسية للإسلام جزءاً هائلاً من المحيط الأطلنطى حتى الصين ومن بحيرة أرال حتى أدنى مساقط النيل ومع هذا التوسع الفريد الذى لا يوجد ما يقاربه من قبل أو من بعد تشكلت منطقة لتطور الحضارة الإسلامية فى الدوائر الثقافية الثلاث (آسيا والشرق الأوسط والهند) التى غطت نحو ألف سنة من التاريخ .

لقد كتب أحد المؤرخين العرب قائلاً : إن المسلمين العرب الأوائل لم يكونوا يملكون ما يقدمونه إلى حضارات تلك المناطق إلا شيئين : (الإيمان بالله واللغة) ،

ومع ذلك فقد نجحوا فى فتحها ، ليس فقط عسكرياً وإنما ثقافياً أيضاً دون أن يدمروا شيئاً فى أى مكان أو زمان ، وقد أظهروا مقدرة عظيمة على التبنى وقد ربطت الحضارة والثقافة الإسلامية فى العصور الوسطى كل ثقافات العالم فى ذلك الوقت وحضارته .

وتساءل بيجوفيتش فى كلمته : لماذا لا يستطيع العرب والمسلمون أن يردوا هكذا وهم يواجهون الغرب الآن ؟ وحاول أن يجيب من خلال طرح بعض الأسئلة قائلاً :

إن علينا جميعاً أن نواجه الحضارة الغربية فهذه المواجهة حتمية ، والمعضلة الوحيدة هى هل نأخذ وضع الرفض الكامل أو القبول التام بكل أوجه تلك الحضارة دون اختيار ؟ إن مأساة الكثير من الأمم أو انتصاراتها تتوقف على كيفية إجاباتها عن هذا السؤال الشائك .

إن اعتماد العالم الإسلامى على الشمال المتقدم أمر واضح ويقوم تطور كثير من البلدان الإسلامية على التكنولوجيا المستوردة ، وتؤدى هذه الاعتمادية التكنولوجية إلى اعتمادية سياسية لامناص منها وطبقاً لليونسكو فإن كل مليون من البشر يجب أن يكون بينهم ١٤٠٠ عالم ولكن دولاً إسلامية كثيرة جداً لا تملك هذه النسبة ، بل إن ٩٥ ٪ من علماء العالم يتركزون فى أمريكا وأوربا واليابان بينما باقى العالم وبينه الدول الإسلامية توجد فيه النسبة الباقية ٥ ٪ .

والعالم الإسلامى بدلاً من أن يصبح منتجاً نشطاً أصبح مستهلكاً سلبياً للمعرفة والتكنولوجيا ، ولذلك يستمر نزيف العقول والعلماء المسلمين وتحولهم إلى الدول المتقدمة فتصبح الهوة أوسع ، ويتناقض هذا الوضع مع حقيقة أن العالم الإسلامى يشمل وضعاً جغرافياً متميزاً ، ويملك طاقات مادية وبشرية هائلة ، كما أن الشعوب المسلمة تعيش فى مناطق تميزت عبر التاريخ وبين الشعوب المسلمة تتمثل كافة الأجناس على نحو متساوٍ .

إن الإسلام دين الفطرة ، والقرآن كتاب مقدس يدعو إلى التأمل ، وأحب أن أستعيد تلك الرسائل القرآنية : انظروا ، تأملوا ، سيحوا فى الأرض ، إن قوة الغرب ليست فى قوة جيوشه أو اقتصاده فقط فتلك مظاهر خارجية دون هذا التعبير فى الاتجاهات الروحية .

وهناك قوة أكثر خطورة داخل الشعوب الإسلامية نفسها : إنها الهوة بين عامة الناس وأغلبهم غير متعلمين وبين نخبة تعلمت خطأ ، فبدلاً من فتح المدارس وإحضار المدرسين والأساتذة إلى الداخل أرسلنا أطفالنا إلى العالم الغريب عنا وهم عادة ما يرجعون بشعور النقص تجاه الغرب الغنى والاستعلاء تجاه البيئة الفقيرة المتخلفة التى نشأوا فيها ودون تنشئة دينية حازمة يبدأ هؤلاء الصغار فى الاعتقاد بأن ازدراء القيم المحلية وتقديم القيم الغربية عليها يجعلهم وكأنهم سيلحقون أوربا فى طرفة عين دون تفرقة بين الخير والشر فى الغرب وبأخذ هذه الحقائق فى الاعتبار يمكننا القول بحق أن النظام المدرسى فى عالمنا الإسلامى اليوم هو المؤسسة التى تتطلب تغيرات كمية وكيفية عاجلة وجذرية .

فإلى جانب الدين بعد التعليم هو العامل الحاسم الثانى فى تحرير العالم الإسلامى من الوضع المتدنى الذى يعيشه حالياً .

إن البلدان الإسلامية لا تملك رؤوس أموال كافية لكن ماتملكه يجب أن تستثمره فى أكثر المجالات ربما كالتعليم وهكذا فالسؤال ليس ما إذا كنا سنقبل العلم والتكنولوجيا أم لا .. إذ أننا سنضطر لقبولها إذا أردنا البقاء .

السؤال هو كيف نفعل ذلك ؟ بكرامة أم بإحساس بالنقص ؟

هل سنضل طريقنا أم سنحافظ على تقاليدنا وثقافتنا وقيمنا ؟ وأخيراً يلح على ذهنى أسئلة .

أولها : إن عالمنا غير دقيق، إننا لا نحترم الوقت ، كيف يحدث ذلك ؟ صلاتنا مرتبطة بمواقيت .

والثانى : إن مدننا غير نظيفة ، كيف يحدث ذلك فى عالم تمثل فيه الثقافة والصحة العامة أجزاء لا يتجزأ من الدين والصلاة ؟

الثالث : إن الجوانب الروحية باتت مهتزة وتحولت إلى خرافات وهواسية ، كيف تفسر ذلك رغم الطبيعة التأملية للقرآن وتوجهاته نحو الطبيعة والعالم الخارجى ؟

وأخيراً من أين جاءت عبادة الشخص فى عقيدة تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن البشر أياً كان أصلهم ليسوا آلهة ؟

الهيكل الأساسى لكتابى (الإسلام بين الشرق والغرب) كتبته فى سن مبكرة

وكان عمرى ٢٥ سنة فى ذلك الوقت وتلك حقيقة غير معروفة أذيعها لأول مرة وباعتبارى كنت أعيش فى دولة ذات نظام شيوعى لم أتمكن من نشر أى شىء فى هذا الاتجاه ، لكنى قررت أن أحهز هذا الكتاب للنشر وفعلاً قمت بتجهيزه للنشر فى الفترة ما بين ١٩٢١ إلى سنة ١٩٧٥ ، معنى ذلك أن هذا الكتاب كان مختفياً عشرين سنة تقريباً ، فى نفس الفترة كتبت بعض المقالات الأخرى تحت اسم مستعار لكن الشيوعيين اكتشفوا ذلك فسجنت مرة أخرى عام ١٩٨٣ وصدر حكم بسجنى ١٤ سنة قضيت منه ست سنوات فى السجن وبفضل انهيار النظام الشيوعى خرجت من السجن ، وبعد خروجى قمنا بتأسيس هذا الحزب (حزب مسلمى البوسنة والهرسك) وفزنا فى انتخابات ١٩٩٠ بنجاح كبير والبقية معروفة .

كنت أشعر أن النظام الشيوعى سينهار ولكنى لم أستطع أن أكتب هذا وتركت هذه الحقيقة ليستنتجها القارئ بنفسه .

أعتقد أن من لم يعش تحت هذا الحكم الشيوعى لا يعرف ديكتاتوريته ، هناك ديكتاتورية سطحية هى ديكتاتورية السلطة ، وهناك نوع آخر هو ديكتاتورية الفكر الذى يسعى للسيطرة على أفكار الناس وضمائرها من نموذج النمط الأول ، ديكتاتورية فرانكو مثلاً كان فرانكو يحتكر السلطة وديكتاتوراً ولكنه عندما غاب كان المجتمع الإسلامى موجوداً ، كانت ديكتاتوريته ديكتاتورية سطحية لأنه يريد السيطرة على سلوك الناس وما إن رحل وجدنا مجتمعاً حراً ومتعدداً ، ولكن النمط الثانى هو نمط ديكتاتورية الفكر كالاتحاد السوفيتى السابق وما فعله فى أرمينيا مثلاً ، وكان نموذج يوغوسلافيا حيث تريد الديكتاتورية السيطرة على أفكار الناس ووعيهم ، لذلك لم يكن فى إمكانى عندما كتبت هذا الكتاب أن أقول كل ما أريد قوله فانتقدت بعض النتائج الأساسية (الراديكالية) وأتوقع من القراء أن يصلوا إلى هذه الخلاصات بأنفسهم .

★ ★ ★

بالنسبة للمجتمع فى البلقان : أهمها خارطتين : خارطة الشعوب أى الأقوام ، وخارطة الدين ، ونحن نعرف أن فى البلقان خارطة تضم الشعوب أو الأقوام الذين كانوا يعيشون فى ظل الدولة العثمانية فى ظل الحكم الإسلامى ، الآن نحن نواجه ما يسمى بالدولة الأم .

ونحن نتابع هذا الموضوع الآن فى البوسنة والهرسك وبذلك نواجه دائماً بسؤال هو : ما معنى القومية الإسلامية ؟ ذلك أن تعبير القومية (Nationalty) هو تعبير حديث ، فهناك القومية المصرية والسورية والقومية الإنجليزية إلخ ، ولكن فى ظروف معينة ظهر تعبير القومية الإسلامية فى بلادكم ، وبعد هذه الحرب الشرسة التى نعانى منها جميعاً كيف نرى هذه المشكلة وكيف نرى العلاقة بين الأقوام والملل ؟

والإجابة : إذا عدنا مائة سنة إلى الوراء فسترى فى هذه المنطقة ثلاث ديانات [الأرثوذوكسية ، والإسلام ، والكاثوليكية] وفى نهاية القرن الماضى وبداية القرن العشرين بدأ ظهور القوميات فما الذى حدث فى منطقتنا ؟

الأرثوذوكس جميعاً تحولوا إلى صرب والكاثوليك جميعاً تحولوا إلى كروات ، والمسلمون لم يختاروا تعريفاً قومياً حتى عدة سنوات مضت ، وأطلقنا على أنفسنا أننا بوسنيون ، وقد سألنا الناس أنتم مسلمون بالديانة لكن ما قوميتكم؟ ونتيجة لهذه الظروف التى أحاطت بالمنطقة توقف تطور قوميتنا التى اخترناها منذ سنين طويلة .

وهكذا نحن الآن واعون بأننا مسلمون بشناق ديننا هو الإسلام وقوميتنا هى البوسنية ، ولكن البوسنة بلد خاص جداً لماذا ؟

لأن هناك خليطاً لا يصدق من الأمم والأديان ، إنه وضع خاص ، على سبيل المثال فى (سارايفو) نصف سكانها تقريباً مسلمون وأكثر من ٣٠٪ من الصرب و٢٠٪ كروات ولكنهم مختلطون فى كل شارع وفى كل بيت .

أنا ـ على سبيل المثال - جارى اللصيق صربى والقاطن تحتى كاثوليكى ، وأسرة مختلطة من المسلمين والكاثوليك كان هذا هو الوضع ، فإذا نظرت إلى الخريطة الأثنية فستجد جزراً من الأثنيات حتى أن بعضهم شبهها بجلد النمر ، ذلك ما جعل مشكلة البوسنة شديدة التعقيد وصعبة الحل جداً .

ثم بدأ العدوان وأراد الصرب تجميع شعبهم وطرد أو إبادة الآخرين ، كانوا يريدون تركيزهم لعمل مجموعة منسجمة ، ولهذا بدأ التطهير العرقى ، إبادة للشعب وطرده خارج مناطقهم ، وكنتيجة للحرب وبسبب الجيش الذى كانوا يملكونه من قبل حاولوا الاستيلاء على ٧٠٪ من أراضى الجمهورية ، ونحن الآن نسيطر على ٣٠٪ من المناطق ، ولكن هذه الـ٣٠٪ هى أفضل أجزاء أراضينا وأكثرها تطوراً فهى

واد يجمع النهرين الكبيرين ولكننا نجحنا فى إقامة توازن قوى .

لقد فقدنا فى العام الماضى ٣٠٠ ألف بينهم ٢٠ ألف جندى ، ولكننا كبدناهم نفس الخسائر ولم نقتل المدنيين وقتلنا ٥٠ ألف من جنودهم ، فماذا بعد؟ ما المستقبل الذى نتوقعه ؟

برنامجنا هو الحفاظ على الدولة الواحدة ونحن نعرض على الصرب والكروات أن يعيشوا معنا بالحقوق نفسها ، هذا هو مفهومنا السياسى ، فنحن الأغلبية فى البوسنة وقد أقمنا جيشاً من ٢٠٠ ألف جندى ولن يمكنهم التخلص منا .. هم يريدون ذلك ولكن لن نمكنهم من هذا .

فى بداية الحرب كان لدينا نحو ١٥ ألف رجل مسلح وليس جندى ، وقد بدأت الحرب فى إبريل ١٩٩٢ وفى نهاية ذلك العام كان لدينا بالفعل ٥٠ ألف جندى وفى نهاية ١٩٩٣ كان لدينا مائة ألف جندى والآن فى نهاية ١٩٩٤ لدينا مائتا ألف مقاتل .

إنهم يعرضون الآن نوعاً من السلام ، نوعاً من الاتفاق ، والمحادثات جارية .

[صحف ٢٧ يناير ١٩٩٥]

من الذى يعرف ماذا سيحدث ؟

الله وحده يعلم ، لابد أن أقول لكم إننى لا أعرف ، إن واجبى وواجبنا أن نقاتل وأن نعمل بأفضل طريقة فى المستقبل والمصير فى يد الله ، أنا أؤمن بأننا سننجح فى الحفاظ على الدولة ولكنها نوع من المباراة تتم بجولات وبحساب النقط .

وربما كنا الآن فى الجولة العاشرة أو الحادية عشرة من المباراة ذات الخمس عشرة جولة ، كلانا تعب ، هم ونحن أيضاً ؛ لأن القتال استمر ثلاث سنوات تنتهى فى إبريل المقبل ، ولكننا سنعيش إن شاء الله حيث لم نكن نتوقع الاستمرار لجولات الخمس عشرة ، ولكننا نجحنا .

هكذا تكلم على عزت بيجوفيتش الشاعر والمفكر والفيلسوف فى كتابه : [الإسلام بين الشرق والغرب] عن الثنائية التى تعبر عن نفسها فى عالم مادى وعالم روحى ، وعن اللحظة الفارقة التى يتحول فيها الإنسان من الإنسان المادى الضائع إلى الإنسان الإنسان ، وهى قضية ثنائية : هذه الثنائية بين مستوى سطحى وآخر عميق .

ونرى أن الإسلام هو الدين الذى يجمع بين المستويين المادى والدينى بالمعنى الروحى .

قال المسيرى : مفهومك عن اليوتوبيا مثير للغاية والقراء العرب يفرقون بين اليوتوبيا التكنوقراطية فى مواجهة المدينة الفاضلة ، فهل لهذا أية علاقة بالعداء الذى يبديه النظام العالمى الجديد تجاه البوسنة ، أى لأنها ليست يوتوبيا تكنوقراطية خاصة أنك قدمت الإسلام كخطاب موجه للعالم والإنسانية كلها وليس للمسلمين فقط .

وأنك باعتبارك محامياً قلت أنه كلما زادت القوانين كان ذلك دليلاً على مرض المجتمع ، كيف تخطط لقيادة البوسنة وفق هذه القاعدة ؟

أجاب بيجوفيتش : من الصعب على الآن أن أتحدث عن هذه الأفكار لأننى كنت خارج هذه الصيغة لوقت طويل خلال سنوات الحرب ، حيث لم أقرأ أى كتاب ، لم أقرأ سوى التقارير ، لابد أن أذكر أن هذه الرؤية عن الإسلام وعالميته وعن فكرة الثنائية بدأت بالنسبة لى مع الصلاة ، بدأت بالتأمل فى العلاقة بين الوضوء والصلاة ، وأن الوضوء عمل جسمانى بينما الصلاة أمر روحانى ، وفى كل مرة كنت وأنا أحلل الواجبات الإسلامية الأخرى أجد نوعاً من العلاقة الثنائية مثل الزكاة فهى عمل روحانى ومن ناحية أخرى عمل مادى ، وقد حاولت وضع جدول لهذه العلاقات ، وأدركت فى النهاية أن شخصاً ما يجب أن يأتى ويكمل هيكل البناء الذى أوردته ، فى كل مجتمع هناك نوع من الثنائية حتى العالم الشيوعى كان مادياً من جانب ومثالياً من جانب آخر ، فلا شىء يقوم على أمر واحد فقط .

سأل محجوب عمر : أعتقد أن قدركم هو أن تعودوا دولة مسلمة فى أوربا وواجبكم أن تقودوا دولة مسلمة فى أوربا وواجبكم أن تقدموا نموذج الإسلام فى قلب قلعة المادية وهى مهمة صعبة جداً ، لماذا الحفاظ على دولة تم تخطيطها بمعرفة النظام الدولى القديم وفرضت على الشعب وأقيمت على أنقاض الدولة العثمانية ؟ أليس من الصالح للشعب المسلم أن يقيم قاعدته الخاصة دون تطهير عرقى طبعاً وبكل روح الإسلام مقدماً النموذج الشامل للعدالة والسلام والإخاء ؟

وأجاب بيجوفيتش :

كل ما يمكننى قوله هو أننا سنحاول عمل ذلك ولكننى أنبهك إلى إننى لا أملك متسعاً من العمر لأنى فى السبعين ولكن مهمتى الأولى الآن هى العمل على

إنقاذ شعبى وبقائه وجزء من بقائه على قيد الحياة هو تعريفه بهويته ودون ذلك لن تكون هناك مقاومة .

إن شعبنا يعرف أنه مسلم وذلك هو جوهر مقاومتنا ، وبمرور الزمن أصبح جيشنا يعى أنه جيش مسلم برغم وجود أناس آخرون هناك من الأرثوذوكس والكاثوليك ولكن شعبنا وجيشنا على وعى كبير بأن الإسلام هو الجوهر والأساس فى مقاومته ، وقد بدأنا نؤمن بأن المسلمين الأوربيين لديهم مهمة خاصة فى هذا الشأن لإظهار الوجه السمح للإسلام ، وأعتقد أننا نجحنا حتى الآن ؛ لأنهم قتلوا نساءنا وأطفالنا (وهنا اغرورقت عيناه بالدموع) ونحن لم ننتقم ، لقد دمروا مساجدنا ولم ندمر الكنائس بل أكثر من ذلك ؛ إذا جئتم إلى سراييفو فى أثناء أعياد الميلاد مثلاً فستسمعون أصوات أجراس الكنائس وأعتقد أننا قدمنا بالفعل الوجه الطيب للإسلام .

لقد حاولت مندوبة (الأسوشيتدبرس) أن تسأل بيجوفيتش عن تقييمه لموقف الدول الغربية من أزمة بلاده فأجابها بيجوفيتش :

أحياناً أرفض إجراء حوارات لأنى لا أستطيع أن أقدم الإجابات الملائمة ، لأننى لو فعلت فسأقع فى مشاكل مع كل الدول لذا لن أعطيك أى إجابة .

وقال بيجوفيتش فى الختام :

شعبى متعلم فى غالبيته ٩٨٪ وأؤمن دائماً بأن ثنائية الأديان والقتال ضرورية ، والآن علينا أن نعلم أطفالنا أن يكونوا متدينيين وأن يكونوا مؤمنين .

هذا كل ما أستطيع أن أقوله ؛ هو توجيه رسالة من كلمتين : الدين والعلم .

هذه وثيقة يجب مراجعتها على مدى الزمن فيما بعد عام ١٩٩٥ ـ ١٤١٥هـ فإنها تمثل علامة فارقة .



الإنسان والحضارة الغربية

[مراجعة مع : مصطفى الشكعة وعبد الوهاب المسيرى]

حاول بيجوفيتش من خلال فصول كتابه [الإسلام بين الشرق والغرب] أن يبرز أفكاراً متحررة حتى لا يظن أحد أنه متعصب أو تابع لمذهب معين ، لكنه يصل لضرورة المحافظة على الدين للحفاظ على المجتمع وكيانه وعقله حتى يتمكن المسلم من التغلب على التناقض الذى يعيش فيه بين السماء والأرض ، أو بين التقدم المذهل السريع وبين الدين ، فالإسلام ليس طريقة حياة وإنما هو بصفة أساسية مبدأ تنظيم للكون ، ولذلك نجد انسجاماً فطرياً بين الإنسان والإسلام .

وهو ما يسيمه بيجوفيتش تطابق الإنسان مع الإسلام .

لقد ميّز بيجوفيتش بين مفهومين للإنسان ، هى الإنسان الضائع والإنسان الغافل ، وقد أرست الحضارة الغربية مبادئها على مفهوم داروين غير أنها تجاهلت الإنسان الذى كرمه الله تبارك وتعالى ، كما تعامل الكتاب مع المبادئ والعقائد ومع تعاليم الإنسان بهدف توضيح مكانة الإسلام وليس بهدف المقارنة بين الأديان واتسم أيضاً بحدة التناقضات المطروحة وهو يحيا بين المجتمع الأوربى بشقيه الرأسمالى والاشتراكى ، وأحس بمدى النكبة لعدم الارتباط بنظام معين لأنه يعى ويدرك تماماً أن مجتمعه بحاجة إلى مبادئ أعمق من الرأسمالية والاشتراكية .

وتناول البحث [الإسلام والوحدة الثنائية] عبر موضوعات موسى وعيسى ومحمد عليهم السلام ثم الطبيعة الإسلامية للقانون ـ الطريق الثالث خارج الإسلام ـ وقوله إن الحضارة العلمانية لا تهدم الإسلام بل الإنسان وهى معادية لكل ماهو إنسانى ، ومن ثم فهى غير مستعدة للتعامل مع أى نظام يحمى الإنسان حتى ولو كان مسيحياً .

ويرى الباحثون أن هذا الكتاب دعوة لرفض إلحاق أمتنا بأى من الحضارات التى علت فى الأرض وتغزو بلادنا ، والكتاب دعوة للحرص على الهوية الإسلامية ، ويدعو إلى التسليم لله تبارك وتعالى .

وخلاصة القول ما توصل إليه على عزت بيجوفيتش بعد عرض متقن وبعد

استعراض فكر مؤسسى الحضارة الغربية المعاصرة وبعد المقارنة بين فكر هؤلاء المؤسسين والفكر الإسلامى ، تبين أن الفكر الإسلامى أكثر سمواً وشمولاً مما يدل على أنه من لدن حكيم خبير ولذلك تبرأ المؤلف من فكر الحضارة الغربية لأن مصيرها الاندثار والغلبة للإسلام فى النهاية ، وهو الطريق الوحيد أمام البشرية للخروج من المأزق.

ومن خلال الكتاب يبرز التحذير والصرخة التى أطلقها على عزت بيجوفيتش للاستنجاد بمثقفى ومفكرى العالم الإسلامى باستمرار العمل الدءوب على ترسيخ الهوية الإسلامية فى مواجهة حرب الثقافات التى تسعى إليها القوى الكبرى للهيمنة على باقى العالم .

ويعرّف الأستاذ محمود بيومى الدعوة التى يحملها كتاب الإسلام بين الشرق والغرب ويقول : إنه ليس كتاباً عادياً ، فالمؤلف [على عزت بيجوفيتش] نشأ فى قلب نظام شيوعى مستبد لكنه لم يستسلم لتيارات الفكر الشيوعى ، بل ظل معتزاً بإسلامه لاينحنى أمام موجات الإلحاد الطاغية ، فالشيوعية كانت تهدد الأجيال المسلمة تهديداً يخشى منه فقدان هويتهم الإسلامية فى ظل الحرمان من التعليم الإسلامى ، وأصبح النشء المسلم محاصراً فكرياً بوسائل الإعلام المعادية ومناهج التعليم التى تتعمد تشويه صورة الدين الإسلامى .

ولم يكن للمسلمين فى يوغسلافيا السابقة أية حقوق معترف بها كباقى السكان من الكروات والصرب ، من أجل ذلك كان على عزت بيجوفيتش مهتماً بتوفير أدوات لفهم الإسلام بأسلوب عصرى مناسب يفهمه الشباب ، فكتب مؤلفه [الإعلان الإسلامى] ثم كتابه [الإسلام بين الشرق والغرب] وذلك فى محاولة جادة لترجمة القيم والمفاهيم الإسلامية الصحيحة إلى اللغة التى يتحدث بها الجيل الجديد ويفهمها .

وقد أشاع خبثاء الصرب والكروات ضجة حول هذا الكتاب ووصفوه بأنه دعوة للجهاد لإقامة دولة إسلامية فى أوربا ، فتمكنوا من اتهام المؤلف بالعمل ضد الأمن اليوغسلافى الشيوعى كما تمكنوا من اتهام الإسلام فى دوائر الإعلام الغربية .

وبعد انهيار يوغسلافيا السابقة واستقلال الجمهوريات التى كانت تتكون منها

وبرزت صربيا كدولة عنصرية ذات أهداف توسعية قائمة على سياسة التطهير العرقى ، وكان على الشعب المسلم فى البوسنة والهرسك أن يختار بين الانضمام إلى الصرب أو الكروات ، أو يعلن استقلاله ، لذلك أنشأ على عزت بيجوفيتش (حزب العمل الديمقراطى) الذى خاض الانتخابات واختار الشعب الاستقلال .

إن كتاب (الإسلام بين الشرق والغرب) يفيد الشاب المسلم فى مجال الدعوة لأنه يعطى دروساً فى الانفتاح على العالم ودروساً جديدة فى فقه الدعوة لأنه يعطى دروساً فى الانفتاح على العالم ودروساً جديدة فى فقه الدعوة فالمؤلف أراد أن يبرز قيم الإسلام فى مواجهة الشيوعية والعلمانية والإلحاد كما يلفت الأنظار إلى أن أعداء الغرب للإسلام ليس امتداداً للعداء التقليدى والصدام الحضارى المسلح بين الإسلام والغرب منذ الحملات الصليبية ، إنما يرجع ذلك إلى تجربته التاريخية الخاصة مع الدين وإلى عجز الغرب عن فهم الإسلام بسبب طبيعة العقل الأوربى وإلى قصور اللغات الأوربية عن استيعاب المصطلحات الإسلامية مثل الصلاة والزكاة والوضوء والخلافة والأمة حيث لا يوجد ما يقابلها فى المعنى فى اللغات الأوربية مما جعل العقل الأوربى عاجزاً عن فهمها وبالتالى كان عاجزاً عن فهم الإسلام ، حيث أنكر الماديون الغربيون الإسلام باعتباره دين غيبيات بينما يرى بعض المفكرين الغربيين أن الإسلام حركة اجتماعية وسياسية وهكذا أنكر الغرب الإسلام لسببين متعارضين .

وفى رأى المؤلف (على عزت بيجوفيتش) أنه لكى يفهم الغرب الإسلام لابد أن يعيد النظرة فى مصطلحاته التى تتعلق بالإسلام .

والكتاب فى مجمله : إعلان كى يستفيق العالم الإسلامى ويدرك كيف يتعامل مع الغرب ، كما أن الكتاب دعوة معاصرة للعودة إلى الأصالة الإسلامية ، ونحن ندرك أن العودة إلى الأصولية تهز العالم الإسلامى والعالم الغربى على حد سواء فالأصولية لا تعنى التخلف وانما تدفع إلى فهم أفضل وأيسر للإسلام ، فالإسلام يمنح البشر أساليب ناجحة لمواجهة الحياة .

ملحق :

نشرت إحدى المجلات الفرنسية مذكرات الجندى الفرنسى الذى ترك خدمة الجيش بعد أن التحق بالقبعات الزرقاء عام ١٩٩٤ وعاش أحلك فترات الصراع

القائم على أرض البوسنة بين القوات المسلمة والصرب ، يقول :

لقد حمل الفرنسيون معهم إلى البوسنة كل مظاهر الحقد والعنصرية والكراهية ضد العرب والمسلمين . وتقول المجلة : إن إحساس الجنود الفرنسيين فى البوسنة هو أن هدفهم الأساسى تبسيط وتيسير مأمورية الصرب فى إبادتهم لغيرهم ، إنهم حملوا معهم إلى البوسنة والهرسك كل مظاهر الحقد والعنصرية والكراهية التى تكونت عندهم ضد المسلمين والعرب بفرنسا ليعكسوها هناك على المسلمين .

لقد كان الفرنسيون يصفون المسلمين وينعتونهم بمصطلح ينم على الاحتقار كان يوجه للجنود العرب فى الحرب العالمية الثانية ، أما الجنرال مايكل روز فقد كان ينعت المسلمين علناً فى حواراته وأحاديثه بكلمة .... وهو مصطلح يطلقه العنصريون على السود ، وقد نشر ذلك فى مجلة The Indpendant .

لقد تأكدت حين هاجمنا مدينة (مالوكا كادوتشا) أنه هو ومساعده الصربى كانا يعملان على تصفية المسلمين واحتلال أراضيهم .

وكان الضباط الفرنسيون يسربون إليهم كل أخبار المسلمين وأماكن تواجد قياداتهم وقواتهم ، وكل صغيرة وكبيرة عن تحركاتهم [١٦ إبريل ١٩٩٦ ـ الرائد (الهند)] .



الباب الحادى عشر

المجتمع الإسلامى الجديد فى الغرب

هناك علامات كثيرة تدل على مولد المجتمع الإسلامى الجديد على أثر إشراق الصحوة الإسلامية والتى توافرت لها أسباب نموها وكل الدعاة المخلصين هم من أهم هذه الأسباب .

ولكن النتائج التى توجد الآن كما يقول الباحثون أكبر من كل هؤلاء الدعاة وأكبر من كل ما أعده العادون من أسباب ، فالله تبارك وتعالى هو الذى ألف بين القلوب وهو الذى قدر فى هذه المرحلة أن يتم نوره ، فرأينا الناس يعودون إلى دين الله أفواجاً .

وفى هذا الإطار الربانى تنتشر صحوة الإسلام والمسلمين ولو كره الكافرون ، وفى هذا الإطار الربانى ظهر هذا المستوى المذهل من اليقين الإيمانى الذى ولَّد العمليات الاستشهادية .

المجتمع الإسلامى فى أمريكا

يبلغ عدد السكان المسلمين فى أمريكا ما بين أربعة وستة ملايين ومن الممكن أن يكون عدد المسلمين أكثر من هذه الإحصائيات الرسمية ولا يخفى على من له صلة بالحياة العامة فى أمريكا أن المسلمين يلاحظون فى كل شعبة من الشعب الرسمية وغير الرسمية ، كذلك يقام للمسلمين وزن اليوم فى أجهزة الإعلام الأمريكية بالنسبة للعصور الماضية وكذلك تنشر الصحف الأمريكية مقالات فى شهر رمضان الماضى عن فضائل شهر رمضان ، وعلى الأقل كتب رئيس تحرير جريدة يومية (بالتى مورسين) افتتاحية عن شهر رمضان ، وأعرب فيها عن صيام رمضان وفضائل شهر رمضان الماضى عن فضائل شهر رمضان ، وقدم نظريات إيجابية وعقدت حفلة للإفطار فى عمارة الكونجرس الأمريكى نظمها مؤتمر المسلمين الأمريكيين والكونجرس الأمريكى مشتركاً ، واشترك فى هذه الحفلة ثلاثمائة من المدعوين من بين مختلف شعب الحياة ، وكان من بين المدعوين زعماء الحزب الديمقراطى والحزب الجمهورى ، وكان عدد لائق من اليهود أيضاً .

كـمـا دعـا الرئيس الأمـريكى لأول مـرة حـفـلاً للقـاء العـيـد ضم ١٥٠ من المسلمين وكـان معظمـهـم من الأصل الأفـريقى والمهـاجـرين الأمـريكيين وكـان من المدعوين الإمام الأول للجيش الأمريكى الشيخ عبد الرشيد فقدم الإمام عبد الرشيد نسخة من القرآن الكريم إلى السيدة زوجة الرئيس ، ويعتقد أن عدد المسلمين فى الجيش بلغ عـشـرة آلاف ، وكـتـبـت الجـرائد والمجـلات أن الرئيس الأمـريكى قـدم للمسلمين سواء فى أمريكا أو خارجها تهنئة بالعيد ، وأضاف الرئيس كلينتون : أن يوم العيد فرصة ذات فرح وسرور وإن العيد يذكرنا بالقيم الاجتماعية والمنزلية العائلية، وماهى مسئولياتنا تجاه المسلمين الذين هم أقل منا سعة اقتصادياً .

وفى خلفية الأخبار التى تنشر عن الإسلام بأنه دين ظالم إرهابى أصولى ، لم تنشئ سوء الفهم فى أذهان الناس ، وإنما تنشئ لشكل هذه التطورات مؤشرات إلى اتجاه جديد بالنسبة للمسلمين فى أمريكا ، وتدل على محاولة جديدة لفهم رسالة الإسلام.

وقد ازداد الاتجاه إلى اعتناق الإسلام من الأمريكيين فى العنصر الإفريقى خلال عدة سنوات مضت وقد أثرت رسالة عدالة الإسلام على هذه الطبقة تأثيراً بالغاً .

والمسلمون الذين تركوا مساكنهم وأوطانهم معظمهم من المثقفين المتعلمين فبعضهم من المهندسين وآخرون أطباء وأساتذة ومعلمون ومهنيون يعملون فى مجالات مختلفة من العمل ، وبوجود هؤلاء المثقفين يشعر المجتمع الأمريكى بتأثير الإسلام ووجود المسلمين ووزنهم من نسبتهم العددية .

وكذلك يشعر المسلمون الأمريكيون أيضاً بهذا الوضع وحقيقة الأمر فيبذلون أقصى جهودهم لتوسيع دائرتهم ومجال نشاطاتهم للتأثير على شعب مختلفة للحياة الأمريكية ، وقد انتهى ذلك إلى الدعوة إلى ضرورة إشراك المسلمين فى كل شعبة من شعب الحياة للتأثير على هذه الحياة العامة تأثيراً بالغاً ، وقد أعربت الجمعيات الإسلامية المسلمة الأمريكية عن نظرياتها عن الإجهاض وقضايا البوسنة بصراحة واضحة ، وتشرف المنظمات الإسلامية المسلمة على آلاف من المدارس الإسلامية والمساجد .

ويبلغ عدد المساجد والمراكز الإسلامية ٨٤٣ تقريباً وهذه المساجد كلها يدير

أعمالها المسلمون بأنفسهم ولا يقبلون لها أى نوع من الدعم الحكومى ، ويتوقع أن الإسلام فى عام ٢٠١٥م سيحتل المنزلة الثانية بين الأديان الأخرى التى يعتنقها الشعب الأمريكى .

وصرح الأستاذ إدوارد سعيد أن المستشرقين لا يزالون يحملون أفكاراً حاقدة تجاه الإسلام والمسلمين ، وقد ارتفعت هذه العصبية كتيار علمى ساحق من أوربا وسادت على الفكرة السياسية الأمريكية حتى نسبت إلى المسلمين العرب فى أمريكا أعمال غير مرضية ، وسلوك مغرضة مصطنعة لا صلة لها بحياتهم السليمة النزيهة .

ووفق تقرير كان مجىء المسلمين إلى أمريكا فى نهاية القرن الثامن عشر فقد وصلت البعثة الأولى للمسلمين إلى أمريكا من الفلسطينيين والشاميين ومن سكان دول الشرق الأوسط الأخرى ، وفى الوقت نفسه قصدت أمريكا طائفة كبيرة من المسلمين من الهند وباكستان فى النصف الأول من القرن العشرين ، كما استوطنها عدد كبير من القادمين من أوربا الشرقية .

وفى الفترة ما بين الثمانينات والتسعينات قصد وفد من الشباب الأطباء والمهندسين من باكستان والمملكة السعودية للحصول على الثقافة العالية والترقية فى الاقتصاد والتجارة وآثروا الإقامة فيها حتى استوطنوها ، وكذلك نزل عدد كبير من المسلمين من أيران بعد الثورة الإيرانية الخمينية واستوطنوها .

كذلك فإنه بعد الحرب العالمية الثانية أسس الطلاب المسلمون جمعيات ومنظمات مختلفة منها منظمة الطلاب المسلمين وهى منظمة فعالة كبيرة وقد قامت بدور بارز فى إحياء الشعور السياسى بين المسلمين .

وقد قبل كثير من الأفريقيين الساكنين فى أمريكا الإسلامْ كدين وشريعة وتمسكوا كلياً بما فيه من تعاليم وأوامر ، وفق تقرير فى بداية ١٩٨٦ قد تمت محاولة لجمع الإفريقيين على رصيف واحد باسم الإسلام ، وكان القائد الأول لهذه الحركة (تيمو دريو) الذى اشتهر (بتوبيل دريو على) وأيد هذه الحركة كل التأييد .

كما أقام الشيخ على جاه محمد منظمة كبيرة مستقلة وهى منظمة يصاغ منهجها وأهدافها بكثير من العقائد الأساسية الإسلامية وترى هذه المنظمة الرجال البيض من الشياطين ، وساهم فى البداية فى هذه المنظمة (مالكوم إكس) لكنه غير رأيه ، وعندما تولى عليجاه محمد وارث الدين محمد وأصبح زعيماً لملايين من المسلمين من الأمريكيين والإفريقيين .

وقد كشف جدران العصبية الداخلية فيها ووسع نطاقها وسماها منظمة الأمريكيين البلاليين وتعرف اليوم باسم جمعية المسلم الأمريكية ، كما نشأت جمعيات ومنظمات أخرى منها جمعية دار الإسلام وجماعة أنصار الله وواجهت هاتان الجمعيتان دوراً بارزاً فى مجال نشر الإسلام وتعميم رسالته وقد أقامت عشرين مسجداً أكثرها فى مناطق نيويورك وفلادلفيا .

ومن الأسباب التى تدفع السود الأمريكان إلى الإقبال على الإسلام واعتناقه السجون ، فإنهم يسجنون ويعتقلون بارتكابهم الجرائم الشنيعة فيذهب إليهم الدعاة المسلمون ويبلغون فيهم الإسلام ويلقنوهم التوبة والرجوع إلى الله والاستغفار عن الذنوب حتى يقبلوا على الإسلام ويعتنقوه بطيب خاطرهم وبشاشة قلوبهم .

وقد اعتنق إلى الآن من بين ٤٠ ألف و٥٠ ألف من الأمريكان منهم النسوة اللائى تزوجن من المسلمين وكذلك النسوة اللائى تأثرن بما يلقى عليهن وبما يوليه الإسلام من عناية خاصة فى شأن المرأة (الرائد / ١٦مايو ١٩٩٦) .

★ ★ ★

مؤسسة أمة الإسلام

ظواهر كثيرة فى حركة المجتمع الإسلامى تبدو أمام العالم كله لتكشف عن صمود الدول الإسلامية وثباتها أمام الأحداث ، هذه الحقائق فى حاجة إلى جمعها وربطها لتصور القوة التى تتحرك بها الأمة الإسلامية بالرغم من كل المؤامرات والمحاولات التى تجرى بأيدى خصوم الإسلام وفى مقدمتهم العلمانيين والملاحدة والباطنية .

مما لا يعرفه الكثيرون أن عدداً ليس قليلاً من الجنود الأمريكيين الذين شاركوا فى حرب الخليج قد عادوا إلى بلادهم مسلمين ، ويرجع ذلك إلى أنهم اكتشفوا أثناء وجودهم فى بلاد المسلمين والعرب الفارق الكبير بين الأوهام والأكاذيب التى كانوا يحملونها فى رؤوسهم وبين الواقع الذى كان عليهم أن يقتربوا منه بدرجة كبيرة مما جعل الأمر أقرب إلى الصدمة الحضارية التى أدت بهم إلى اعتناق الإسلام لأنه يتطابق مع ما يصبو إليه من قيم روحية وطرائق حياته وتغير لحياته .

ويعتنق الإسلام سنوياً ما يقرب من ٢٥ ألف أمريكى يتزايد عددهم كلما حدثت أزمة دولية كبيرة كان المسلمون أحد أطرافها ويعود السبب إلى التناقض الحاد بين ما

يراه الأمريكيون من المسلمين وما يحدث لهم ، وما تحاول أجهزة الإعلام أن تقوله إذ أدت أحداث البوسنة والهرسك مثلاً إلى دخول أعداد كبيرة من الأمريكيين بدلاً من أن تؤدى هذه الأحداث إلى تشويه صورة المسلمين وإظهارهم بصورة المهزوم الضعيف الذليل .

وتعد حركة (أمة الإسلام) التجمع الأساسى للمسلمين الزنوج وهى الحركة التى أضافت إلى الإسلام أعداداً كبيرة من زنوج الولايات المتحدة ، أشهرهم بلا شك الملاكم الأمريكى (محمد على كلاى) .

تأسست هذه الحركة فى الثلاثينات من هذا القرن على يد (دالاس فارد) الذى غير اسمه إلى (ولاس محمد) وكان يقول أنه ولد فى مكة المكرمة من أم عربية وأب أوربى وقد اختفى ولاس محمد فى ظروف غامضة بعد أن نجح فى تأسيس الحركة وضم عدداً كبيراً من الزنوج إليها .

تولى بعد ذلك (اليحامول) الذى غير اسمه إلى (اليجا محمد) وكان اليجا ابناً لواعظ فى الكنيسة المعمدانية ، نجح والاس محمد فى استقطابه للدين الإسلامى قام اليجا من خلال مقدرته الخطابية على اجتذاب أعداد كبيرة من الزنوج المضطدين الذين كانوا يعانون من وطأة التمييز العنصرى إلى حركته ولكنه لم يكن ذا مكانة إسلامية واضحة وقد بلغ به الأمر إلى حد ادعاء النبوة مما انحرف بالحركة بعيداً عن الحدود الإسلامية الصحيحة لها .

ثم جاء مالكوم إكس الذى تصدى لإليجا محمد بعد أن أدى فريضة الحج وأعاد اكتشاف تعاليم الدين الحنيف بعيداً عن اليجا محمد ورؤاه الخاصة فعادوا إلى تصحيح حركة أمة الإسلام وإلى الدين الإسلامى الحقيقى ، وقد تأثر كثير من الناس به كما نجح فى استقطاب أعداد من الأمريكيين البيض إلى الإسلام ، ولما توفى إليجا عام ١٩٦٥ تولى شئون أمة الإسلام ابنه الذى وجهها الوجهة الصحيحية ودعا أتباعه إلى اعتناق المذهب السنى بعيداً عن مذهب أبيه الذى كان قد ابتدعه عام ١٩٨٠ فلم يحل الحركة وغير اسمها إلى (البعثة الإسلامية الكبرى) ، ولكن هذا لم يرق لبعض أتباع إليجا ومنهم لويس فراخان الذى رفض دعوة دارت بحل الحركة واحتفظ بالاسم الأصلى لها وراح يدعو الزنوج إلى تعاليمها .

وتتمتع حركة أمة الإسلام بعلاقات قوية مع هيئة أعضاء الكونجرس السود وعددهم واحد وأربعون عضواً وفى أكتوبر ١٩٩٣ وقعت حركة أمة الإسلام مع الهيئة وثيقة تعاون بينهما من أجل تحسين أوضاع الزنوج فى أمريكا .

★ ★ ★

ويبدو أن الأحداث التى ترافقت مع اكتشاف القارة الجديدة من انهيار الدولة الإسلامية فى أسبانيا واضطهاد المسلمين هناك قد أثرت فى علاقة ساكنى القارة الأمريكية بالمسلمين خاصة أن الكثير من المهاجرين الأوائل الأوربيين إلى الولايات المتحدة كانوا من المتزمتين المسيحيين الذين كانوا يعانون فى بلادهم من الاضطهاد الدينى ، كما أن لنظام الرق للأفارقة فى توجيه الأمريكيين البيض إلى التعالى على سكان هذه القارة واتباع دين محمد كما أثر الوجود اليهودى القوى ونشوء الصراع العربى ـ الإسرائيلى على صناعة القرار الأمريكى ، وبالتالى على مجمل الحركة بين المجتمع الأمريكى والمسلمين داخل الولايات المتحدة ، حتى وقت قريب .

والآن طبقاً لوثائق البنتاجون فإنه يوجد ٥٣٠٠ جندى وضابط أمريكى مسلم ضمن قوات الولايات المتحدة الأمريكية .

ويجب التذكير بأن نضال المسلمين فى أمريكا من أجل الاعتراف بأئمتهم وبحق وجودهم الدينى الرسمى لم يكن سهلاً ، وإنما كلفهم الكثير من الشهداء والضحايا وكانت قوانين الهجرة أيضاً من الأبواب التى كان المسلمون يواجهون صعوباتها حيث كان أحياناً يتم تحديد الجنسيات المطلوبة دون غيرها ، إلا أن الجمعيات والمراكز الإسلامية التى تدعمها المملكة العربية السعودية تقوم حالياً بنشاط مكثف من أجل الدفاع عن حقوق المسلمين كما تساهم فى تغيير أفكار الأمريكيين عن الإسلام نتيجة السنوات الطويلة من سيطرة الإعلام المعادى ، وقد بدأت هذه النشاطات تؤتى ثمارها وإن كانت المرحلة ما تزال فى بدايتها .

[مجدى عبد الجواد الداغر]

★ ★ ★

الإمام وارث الدين محمد
زعيم أمة الإسلام فى أمريكا

قال : إنه من المعلوم أن الإنسان يسعى للشعور بأنه ذو قيمة شخصية ، وهذا الإحساس خلقه الله تعالى لتكريمه حيث قال جل وعلا فى محكم التنزيل :

﴿ **ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر** ﴾ [الإسراء : ٧٠] لكن سعادة البيض قتلت هذا الإحساس فى نفس الرجل الأسود ، فقد شن البيض حرباً شعواء لإيقاف روح الشعور بالذات لدى الأمريكان السود المنحدرين من أصل أفريقى ، لكن جماعتنا كانت أولى الجماعات التى دفعها هذا الإحساس .

إن التحديات التى تستهدف حياتنا من الإنس والجن موجودة وإننا لا نخشاها أبداً حيث يقول البارى سبحانه وتعالى : ﴿ **قد أفلح من زكاها * وقد خاب من دساها** ﴾ [الشمس : ٩ ، ١٠] آمل أن يأخذ الأمريكيون من أصل أفريقى مكانتهم اللائقة فى المجتمع الدولى مع انتهاء القرن العشرين ، وأن هناك فرصاً متوفرة أمام الإسلام والمسلمين فى أمريكا تدعمها روح الشعب الأمريكى الذى بدأ يستوعب كل الأقليات فى الأطر الثقافية .

أدعو إلى السعى لتعليم أبناء المسلمين فى أمريكا ، فلدينا مدارس خاصة ندفع عليها الضرائب ، وهناك جهود تهدف إلى أن تتلقى كل أسرة تريد تعليم أبنائها دعماً من أمريكا ، إننا نخطط لتنمية المجتمع المسلم ، ونمتلك محطات تليفزيونية وهذا يحتاج إلى تأهيل الأشخاص الذين نحتاج إليهم لتحقيق هذا الطموح .

إن النمو الاجتماعى لجماعة أمة الإسلام والتواجد فى مختلف المؤتمرات واللقاءات الجماهيرية توضح أن الشخصية الإسلامية فى حالة تنام مستمر فى المجتمع الأمريكى ، وإن جماعتنا تتوخى تأدية أعمالها وفق ما هو حلال فى الشريعة الإسلامية وهى تبتعد عن المعاملات الربوية .

إن هذا بالإضافة إلى ظهور مستويات علمية رفيعة بين المسلمين غَيَّر من أوضاعنا إلى الأفضل مشيراً إلى أن المسلمين فى الماضى كانوا يعانون من الحرمان ، ونحن نعمل ليكون لنا نظامنا الاجتماعى لنتناسق مع توجيهات الإسلام وهذا سيجعلنا نساهم مساهمة صحيحة فى بناء المجتمع الأمريكى ، ولابد من وجود

مدارس إسلامية لأبناء المسلمين فى أمريكا لتستوعب الأجيال الصاعدة المسلمة وتؤهلها تأهيلاً وفق التصور الإسلامى ، وهذا سيعزز الثقة الإسلامية فى المجتمع الأمريكى ويتيح منافسة المجتمعات الأخرى ، وهو بذلك مجتمع يتيح للمسلمين تطوير أنفسهم حيث يستطيعون منافسة الآخرين .

★ ★ ★

تركيا الإسلامية

يقول الدكتور صلاح عبد المتعال : إن التيار الإسلامى التركى يعمل دون أن يصطدم بأحكام الدستور العلمانى الذى يباعد صراحة بين الدين والعمل السياسى، فليس مهماً أن نرفع شعار الإسلام صراحة ، بل أن نعمل بتدرج وهدوء دون مصادمة مع أحكام القانون.

وأهم ما يشكل الفكر الإسلامى اليوم ـ فى ظل حكومة إسلامية لأول مرة بعد سبعين سنة ـ هو تربية الشباب وإرساء قاعدة شعبية تؤمن بضرورة التمسك بالقيم والأخلاق ، فهى صمام الأمن الذى يحقق السلام النفسى والاجتماعى عند الإنسان والمجتمع .

ويعتبر أربكان أن رأس المال البشرى هو عصب التنمية والحياة ولذلك فهو يواجه مشاكل المدن الكبرى ويحل مشاكل المرافق الأساسية ، وعلى قمتها شبكة المياه التى تم حلها فى زمن قياسى عجز عنه الآخرون بمجرد أن أغلقنا مصادر الرشوة والفساد .. ليس أربكان وحزبه هو الفريق الوحيد الذى يعزز صحوة الإسلام ، فالفرق العاملة كثيرة منذ أعلن أتاتورك سقوط الخلافة العثمانية وبدأ تركيا الحديثة على أساس علمانى لا يمت إلى الدين بصلة ، على أن مجهودات أتاتورك المكثفة لإبعاد الدين عن الحياة فى تركيا باءت بالفشل رغم النجاح الظاهر على نطاق الدولة ومؤسساتها، فقد أثبت الواقع التاريخى والاجتماعى أن جذور الإسلام لم تقتلع من القلوب التى رسخ فيها الإيمان قروناً طويلة ، فرغم الإعلام الرسمى القائم على مستوى الدولة باستبعاد الإسلام وتهميش أركان العبادات ، ناهيك عن المعاملات وتقليدها الأعمى للغرب ، وقدكان الاتصال المباشر بين المسلمين والدعاة والناس حفظ لهذا الدين

قوامه ، فاستمر المسلمون العابدون فى العبادات وقراءة القرآن وحفظه رغم عدم الدراية باللغة العربية .

لقد كانت الدعوة الإسلامية تمارس بعيداً عن أعين السلطة العلمانية حتى حققت تحرراً وانتصاراً تدريجياً بعد زوال عهد أتاتورك وأحزابه ، وهذا ما قامت به الفرق النقشبندية وأنصار بديع الزمان النورسى وتلاميذ الشيخ سليمان حلمى طوماغان الذى أسس مدرسة على أساس إحياء اللغة العربية وعلوم القرآن والسنة وفقه العبادات والمعاملات ، وظلت هذه الفرق تعمل فى حقل التربية الإسلامية ورعاية الناشئة والشباب المسلم وتخصيص الأوقاف لتعليمهم ورعايتهم تربوياً وصحياً بشكل انتشارى لا على مستوى تركيا ذاتها بل تخطى الحدود الإقليمية إلى بلاد أخرى فى آسيا وأوربا ، وأعتقد أن نجم الدين أربكان بذكائه السياسى ومنظوره الحضارى ، استطاع أن يمارس نشاطه مستثيراً المناخ الديمقراطى الراهن فى تركيا الذى يطمئن منه على الأقل بعدم تزوير الانتخابات كما طرح سياسته الإصلاحية دون إيحاء للآخرين بأن هذه السياسة ستشكل صدمة تنقلب فيها الأوضاع الدستورية والمؤسسة رأساً على عقب أوان الديمقراطية ـ كما يزعم الخصوم ـ مجرد وسيلة لان يتربع بها على قمة السلطة ثم ينكث على عهده بها ، بل عكس ذلك فإن أربكان وحزبه يمارسون نشاطهم السياسى حسب قواعد منظومة العمل السياسى الديمقراطى التى ارتضاها الجميع ومن نكث فإنما ينكث على نفسه .

حزب الرفاه فى منظوره الإسلامى والوطنى :

حزب الرفاه فى منظوره الإسلامى والوطنى يعارض التبعية للغرب ويعارض التوسع الإسرائيلى ويصر على تحرير القدس ، ويرى الروابط الدينية والتاريخية من شأنها أن تتجه بتركيا إلى الشرق والجنوب فى المقام الأول وليس إلى الغرب .

الرفاه يدعو إلى إقامة كتلة إسلامية اقتصادية :

وهو يمثل تحول اجتماعى وسياسى شامل فى المجتمع التركى فالإسلام ظاهر الآن فى كل الهيئات وفى كل أنماط السلوك الفردى والاجتماعى وهو يتخلل كل الأحزاب من لم يعودوا بعد إلى الإسلام ديناً فإنهم يعودون إليه بالانتماء التاريخى والحضارى مؤمنين مثل الرفاه أن مستقبل تركيا فى الشرق والجنوب وليس فى الغرب.

إن عودة الإسلام إلى الأمة التركية كانت رحلة طويلة مضنية وقد بدأت من

الرموز والأدوات البسيطة حتى وصلت إلى ما نراه هذه الأيام .

حين أسقط أتاتورك الخلافة عام ١٩٢٤ حاول بإجراءاته أن يستأصل الإسلام من الجذور ولكن بعد أن هيئ لهم أنهم نتفوا كل الريش ،كان الزغب يظهر من جديد فى الأربعينات لتحفيظ القرآن ومع عودة الأذان باللغة العربية .

ومن الناحية السياسية بدأت رحلة العودة مع حزب مندريس عام ١٩٤٦ (الحزب الديمقراطى) ولكن حدثت القفزة على يد البروفسور أربكان حين أسس حزب النظام الوطنى ١٩٦٩ ثم حزب السلامة الوطنى ١٩٧١ وبعد حل هذا الحزب مع الانقلاب العسكرى ١٩٨٠ أعاد أربكان إنشاء حزبه الإسلامى مرة أخرى باسم حزب الرفاه ١٩٨٧ حين عادت الديمقراطية لكى تتولى قيادة الحكم عام ١٩٦٦ وتختتم مرحلة زادت على السبعين عاماً عاش الإسلام فيها غريباً عن وطنه فى تركيا.

وكان أربكان وإخوانه قد وضعوا فى الفترات السابقة بذوراً فى التعليم والخدمة المدنية والاقتصاد ، وهذه البذور هى التى أينعت الآن ولا شك فى أن حزب الرفاة سيكون حالياً فى وضع يمكنه من إنجاز أضعاف ما تحقق فى السابق .

وهو الآن يركز على إصلاحات المجتمع ، وأول إصلاح تحقق بالفعل هو حل عقب التعامل مع الإسلاميين والقول بحكمهم ، وهذا سيؤثر فى موقف الإعلام التركى المعادى للإسلام وسيؤثر أيضاً فى تشكيل الأجهزة الإدارية والتنفيذية التى حرضت تقليدياً على إبعاد الإسلام عن مناصبها العليا .

وفى الاقتصاد يملك حزب الرفاه برنامجاً سياسياً واضحاً للإصلاح الاقتصادى ويخالف وصفات صندوق النقد وهذا البرنامج يستهدف دفع التنمية وخفض معدلات التضخم والبطالة مع عدالة التوزيع .

الدعوة إلى تحقيق الوحدة الإسلامية :

لا حدود إزاء التعليم بالنسبة إلى التقدم العلمى والتكنولوجى والتفاعل مع الآخرين الذين تقدموا كثيراً علينا ولكن يجب أن نكون على حذر من التقليد الأعمى غير الملائم لأوضاعنا ، والعالم الإسلامى به من الإمكانيات والثروات والموارد والطاقات البشرية التى يمكن بها الاعتماد على نفسه وأن يطور علومه وتقنياته بما يلائم مراحل التنمية التى يمر بها .

أما فيما يتعلق بالتقليد فى إدارة شئون الحياة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية

والتربوية ، فإن لنا تحفظاتنا على المسميات التى نطلقها على نظمه الاجتماعية والاقتصادية والسياسية .

إن الذى يهمنا هو جوهر النظام ، هل تحقق العدل فعلاً بين الناس فإذا كان كذلك فنحن معه ، ونتعايش معه لأن لدينا من الأنظمة ما يحقق نفس الغرض وهو العدل ، أما إذا كان لنظامهم وجهان : عدل فى جانب ظلم وظلم فى جانب عدل فلا اتفاق بل علينا تصحيح المفاهيم الخاطئة عن النظام الإسلامى الذائعة هناك ، كما نرى فى نفس الوقت دساتيرهم وقوانينهم وسياساتهم جوانب مظلمة يترتب على فرضها على شعوبنا أو تقليدنا لها مساوئ اجتماعية واقتصادية وسياسية .

العلاقة مع الغرب :

إن المطلب الأساسى لا يكون من الغرب بقدر ما يكون من أنفسنا فهماً وخلقاً وسلوكاً وتعاوناً وتكافلاً بين الأفراد والجماعات ، لتحقيق مجتمع السعادة والرفاه ولايتأتى ذلك إلا بتكثيف الخدمات التربوية بين الأطفال والنشء والشباب من أجل ذلك فإن التعاون التعايشى الهادف بين الدول والمجتمعات الإسلامية هو مطلب استراتيجى مهم تتحقق به تنمية الطاقات البشرية فى شتى المجالات المعرفية والعلمية والتكنولوجية والصناعية والزراعية والتربوية والاقتصادية والسياسية .

إن هذا المطلب وإن جاء فى الترتيب الخامس فهو أساس التطلعات الاستراتيجية الخمسة حيث يقوم على دعائمه مشروعات الأمم المتحدة الإسلامية والحلف الدفاعى والسوق الإسلامية المشتركة وتوحيد العمل بين الدول الإسلامية .

ورغم أن حزب الرفاه هو التيار الوحيد ذو الاتجاه الإسلامى الذى دخل المعترك السياسى إلا أن المجتمع التركى يذخر بالعديد من التيارات الإسلامية التى لا تمارس العمل السياسى فمنهم من اتخذ اتجاه دعوة التبليغ ، وهناك مؤسسات اقتصادية إسلامية ومراكز بحث أكاديمى ونشاط ثقافى إسلامى وطرق صوفية وجماعات سلفية ، وجمعيات خيرية لتحفيظ القرآن ، وبعض هذه التيارات يعتبر الأسلوب الذى ينهجه الرفاة أسلوب الأحزاب السياسية الأوربية تخلياً وخروجاً عن الإسلام .

والبعض الآخر يرى أنه حزب جيد ولكنه غير إسلامى وهذا يعنى أن المد الإسلامى فى تركيا لا يقتصر على حزب الرفاه ومؤيديه فقط ولكنه يمتد ليشمل

عدداً هائلاً من الشعب التركى قد يصل إلى أغلبيته عام ١٩٦٦ ، وهذا مايثير مخاوف الأحزاب الأخرى .

ونظرة إلى الشارع التركى الذى كثر فيه الحجاب تظهر الرؤية الإسلامية المتصاعدة فى تركيا حتى أن اللوموند الفرنسية كتبت عام ١٩٩٠ معلقة على هذا قائلة :

« إنه فى الوقت الذى يعتبر فيه البعض الصحوة الإسلامية فى تركيا مجرد حركة هامشية يخشى البعض الآخر أن تحمل هذه الصحوة الناس إلى العودة إلى النزعة الدينية التى ألغاها أتاتورك مع إلغاء الخلافة والكتابة بالحرف العربى لتجعل من تركيا دولة أوربية علمانية ، وقالت أن ١٠٣ من أعضاء هيئة التدريس بجامعة البوسفور فى استانبول قد أصدروا بياناً أعربوا فيه عن مخاوفهم من إعادة فتح مسجد (أيا صوفيا) للصلاة والذى لا يمكن اعتباره رغبة بريئة لمسلمين أتقياء ، ولكنه جزء من مخطط يستهدف هدم الكيان العلمانى للدولة .

وأضافت اللوموند : إن الحركة الدينية التى تحتل بصفة منتظمة العناوين الضخمة فى الصحف التركية ليست جديدة وإنما كان أتاتورك قد استطاع بجرة قلم إلغاء الخلافة وإبعاد علماء الدين عن السلطة ، فإنه لم يستطع القضاء على المشاعر الدينية وخاصة فى الريف حيث مازال الحجاب يغطى رءوس أكثر من نصف عدد النساء .

وبعد الانتخابات وجهت صحيفة وول ستريت جورنال نصيحة إلى العلمانيين الأتراك دعتهم فيها إلى ضرورة التأقلم مع الحقيقة الإسلامية التى برزت فى الساحة التركية ، وبدلاً من تقسيم تركيا إلى معسكرين متصارعين يتعين على النخبة العلمانية تقليص الصحوة بين أولئك الذين يتمسكون بالهوية الإسلامية وغيرهم ممن يريدون تجاهل تلك الجذور وتأكيد الطابع الأوربى لتركيا ، كما أن التعايش مع الجذور الحضارية لتركيا من شأنه أن يعمل على تقليص الصحوة التى تهدد بتمزيق المجتمع الذى لن يكتب له الاستقرار إلا عبر إيجاد توازن بين الانتماء للإسلام والعيش فى ظل دولة عصرية على النمط الغربى .

تركيا ـ فتح استانبول :

كان الاحتفال بذكرى فتح استانبول حدثاً هاماً هذا العام ١٤١٧هـ (٢٩مايو) فقد تحول إلى مؤتمر إسلامى سنوى ، فقد أعدت المساجد برامج عن الفتح وفى الشوارع سارت جموع الشباب تهتف للفتح والفاتح وقد لبسوا لباس المجاهدين

الأوائل وعزفت أمامهم فرق النشيد العثمانى الذى كان يتقدم الجيوش يومذاك أمة بعضها من بعض يجمعها التكبير والإرادة الحديدية كى يستأنف الفتح وأن يعيدوا استنبول عاصمة للإسلام كما بدأت ، ويوم فتح الفاتح هذه المدينة سأل قادته ماذا نحن فاعلون بالمدينة وكيف نحميها ؟

قال : الحل أن نستقدم المسلمين المجاهدين من أنحاء العالم الإسلامى يستوطنون المدينة ويحمونها بإيمانهم وإرادتهم قبل المدافع والأسوار ، وحضر الاحتفال جميع قيادات المسلمين فى العالم من مناطق آسيا وأوربا وأمريكا واستراليا والعالم العربى التركى وإفريقيا ، وقد عمل الجميع على وضع المعالم التى تحدد مسارات العمل الإسلامى فى العالم ، وكان مسار التربية والتعليم فى المقدمة فى سبيل توحيد المفاهيم الإسلامية وتناول الخبرات التربوية واتخاذ كل الوسائل التى يمكن المسلمين من فهم دينهم ووضع الثقافات الإسلامية التى تخدم قضايا المسلمين ومجتمعاتهم وواقعهم المعاصر بأسلوب علمى إيمانى رصين يأخذ بيد الأمة المسلمة نحو التقدم والرقى وتجنبهم الخطر والذلل والعمل على تقديم الإسلام ومشروعه الحضارى للعالم والعمل على دعم قضايا الحرية وحقوق الإنسان والدفاع عن قضايا المسلمين العادلة ، ومواجهة الإعلام العالمى الذى يحاول تشويه الفكر الإسلامى والإساءة إلى قضايا المسلمين ، لابد له من إعلام إسلامى متطور ومتعاون يضع الأمور فى نصابها .

يهدف العمل إلى ضرورة انطلاق المواقف السياسية من نظرة إسلامية ، وتوحيد المواقف الإسلامية ودعم قضايا المسلمين وغير المسلمين العادلة فى العالم .

ولما كان العالم الإسلامى يضم أعظم الثروات ويتمتع بموقع استراتيجى حساس بين القارات ، ويشمل ربع سكان العالم ومع ذلك فما زال عالة على القوى الأخرى فى معظم الجوانب الحياتية والاقتصادية وعليه فلا بد للمسلمين من إدراك ذلك العمل على تلافيه .



في تركيـــا
العلمـانية تندحـر أمـام المـد الإسـلامى

بعد سبعين سنة من سقوط الدولة العثمانية تركيا تخلع ثوب العلمانية ، وقد شهدت حقبة التسعينات اكتساح المد الإسلامى ـ الذى يمثله حزب الرفاه بزعامة البروفسور نجم الدين أربكان ـ لمظاهر العلمانية واستطاع حزب الرفاه والذى كان يخطو حثيثاً منذ نشأته ١٩٧٠ نحو جمع الأتراك مرة أخرى تحت راية الإسلام ، أى أن يسيطر على أكبر بلدتين فى تركيا وهما بلدة أنقرة معقل الحزب الحاكم وإستانبول عاصمة الدولة التاريخية والتجارية .

بدأت خطة التحول من الغرب إلى الشرق خلال حرب أكتوبر ١٩٧٣ وفى أعقابها حيث شاركت تركيا وإيران وباكستان فى الاعتراف بالحقوق الشرعية للفلسطينيين ، وذهبت تركيا فى تقاربها إلى حد السماح للاتحاد السوفيتى خلال الحرب بإعادة تزويد الجيوش المصرية والسورية عن طريق المرور فوق مجالها الجوى .

وبعد حرب أكتوبر أيدت تركيا القرارات الصادرة لمصلحة العرب فى الأمم المتحدة وصوتت لصالح قرار الجمعية العامة عام ١٩٧٥ والذى يعرف الصهيونية بأنها شكل من أشكال العنصرية .

وفى نوفمبر ١٩٨٨ اعترفت تركيا بالدولة الفلسطينية إثر إعلانها ليصبح هذا التحول نوعاً من أنواع تضميد الجراح التى سببتها تركيا للعرب عندما اعترفت بدولة إسرائيل عام ١٩٤٥ ، ولما اكتشف الأتراك خيبة الأمل فى تعاملهم مع القوى الغربية التى أشاحت بوجهها عن تركيا بشىء من الاستعلاء الحضارى والعنصرية ورفضت المجموعة الأوربية عضويتها الدائمة بها ، بدأ الشعب التركى يشعر بأنه كمن رقص على السلم وتلفت حوله باحثاً عن هويته ، فهم لم يصبحوا أوربيين ولم يظلوا مسلمين يرتبطون بالدول الإسلامية كما كانوا ، مما دفع (تورجوت أوزال) بعد انتخابه رئيساً للبلاد ١٩٨٩ إلى إحداث مصالحة داخلية بين تيارات حزبه المتناقضة والتى تتراوح نظرتها لتركيا العلمانية المفرطة وكونها عضواً كامل العضوية فى الجماعة الأوربية .

وهنا برزت أخطر التحديات التى تواجه النظام السياسى التركى ألا وهو حسم إشكالية الهوية الأصيلة لتركيا ، ونجد أن الرؤية الإسلامية فى تركيا والتى يمثلها حزب الرفاه تنادى بتركيز الجهود على تطوير العلاقات مع البلاد الإسلامية والشرقية بشكل عام مقابل تقليص التفاعلات السياسية والاقتصادية مع أوربا الغربية ، وتعتقد أن الانضمام إلى عضوية الجماعة الأوربية جزء من مؤامرة لضرب الإسلام فى تركيا، وقد دعمت الأحداث رؤية حزب الرفاه بصدد الهوية التركية اللاأوربية حيث رفضت الجماعة الأوربية طلب تركيا الحصول على العضوية الكاملة في الجماعة سنة ١٩٨٩ بحجة أن اقتصاد تركيا ضعيف وأن انضمامها للجماعة الأوربية سيحملها أعباء اقتصادية .

ولكن الحقيقة غير المعلنة أن اليونان لعبت دوراً لا يخفى على أحد ، كما أن الجماعة الأوربية لا تحب أن تضم إليها دولة مسلمة .

بعد عودة الجيش إلى ثكناته عادت الأحزاب وتكون حزب العدالة الذى أعلنت بشكل غير رسمى بأنه خليفة الحزب الديمقراطى وبرز (سليمان ديمريل) رئيس الجمهورية الحالى، ومن خلال حزب العدالة (نجم الدين أربكان)شخصية بارزة ورشحه الحزب عن مدينة (قونية) ثم تراجع عن ترشيحه لخوف ديميريل من تفوقه عليه فيما بعد ، فدخل أربكان الانتخابات مستقلاً ونجح نجاحاً باهراً وعندما دخل البرلمان استقطب مجموعة من أعضاء حزب العدالة المتدينين وكونوا حزب (النظام) إلا أن الحكومة أغلقت الحزب لأنه نادى بتطبيق الشريعة الإسلامية ، والذى يعد مخالفة صريحة للدستور ، فأعادت المجموعة المحاولة وكونوا حزب السلامة الوطنى حيث جاءت ثورة كنعان أفرين/ ١٩٨٠ وحلت جميع الأحزاب وسجنت رؤسائها وتمت محاكمتهم عدا أربكان ، لأن حزبه كان الوحيد الذى لم يشارك فى الحركة الإرهابية التى قامت بها الأحزاب الأخرى .

ثم أسس أربكان حزباً جديداً سمى بحزب الرفاه (بمعنى : الرفاهية) وهكذا مضى الشوط .

ويرى المحللون السياسيون أن التوجه الإسلامى الحديث فى تركيا ترجمة لعملية نزوع شعبى تركى أصيل نحو الإسلام الذى لم يستطع أن يمحوه من الضمير العام

فى تلك البلاد عقود العلمانية والتغريب المتتالية ، خاصة وأن التاريخ السياسى الحديث لتركيا يثبت أنه منذ هزيمة الإمبراطورية العثمانية الإسلامية فى الحرب العالمية الأولى وظهور أتاتورك بعلمانيته المعادية للإسلام والعرب لم تحقق تركيا أمجاداً تتناسب مع طموحات وذكريات شعب كان إلى عهد قريب على رأس إمبراطورية واسعة الأرجاء ، ومن هنا جاء الالتفاف الشعبى الكبير فى الآونة الأخيرة حول القوى السياسية الممثلة للتيار الإسلامى فى تركيا .

إلا أن النظام الحاكم يأخذ الأمر بالحذر والحيطة البالغين ، ولا تزال تعلن تركيا أنها دولة علمانية وأن الدين الإسلامى لن يكون مصدراً من مصادر التشريع .

ويبقى السؤال : هل يصل الإسلاميون إلى حكم تركيا ليسجل أول حدث من نوعه فى تاريخ الحركة الإسلامية المعاصرة ؟



كيف يفهمون الإســـــلام

أولاً : مسلم أوربى (على عزت بيجوفيتش)

(يكشف عن حضارة الإسلام لمسلمى البوسنة والهرسك)

لم يهدم المسلمون شيئاً فى الأراضى الخاضعة لسلطانهم بل استوعبوا العلوم التى ازدهرت بين الشعوب الواقعة تحت حكمهم وأثروها ونقلوها إلى الشعوب الأخرى ولا شك أن الفضل فى هذا التصرف العام يعود إلى روح الإسلام وتعاليم الإسلام .

إن أحد قياصرة بيزنطة لم يتقطع عجباً أمام إصرار القائد الهمجى قائداً عربياً مسلماً .

لقد استوعب الإسلام إبداع الفينقيين فى مجال معالجة الزجاج ومن المصريين فى مجال النسيج ومن السوريين فى مجال القطن ومن الفرس فى مجال الحرير ، يقول ريسلير : لقد كان نسيج البيزنطيين والأقباط والساسانيين ذائع الصيت فى ذلك الوقت ، ولكن المسلمين استطاعوا الحفاظ على مستوى روعته ، وهناك نماذج من الأقمشة المصنوعة فى ذلك الوقت تحفظ فى متحف لوفر فى فرنسا والمتحف القيصرى فى اليابان ، لم يدرك أحد حتى الآن مهارة وهندسة العرب فى معالجة الزجاج يحتفظ متحف لوفر والمتحف البريطانى بقطع من سامراء وفسطاط وكان الكيمائيون العرب أول من اخترع الصابون وأقاموا مصانع لإنتاجه وكان للوزير الفضل البرمكى قصب السبق فى إنشاء مصنع الورق فى بغداد ولكن صناعة الورق الذى اخترع فى الصين تطورت وانتقلت بسرعة فائقة عن طريق المسلمين فى الأندلس إلى اتجاه أوربا بينما ظلت مدينة سمرقند تنتج أجود أنواع الورق فى العالم مدة طويلة من الزمن وخط العرب مدينة بغداد ـ المدينة السحرية فى قصص ألف ليلة وليلة بعد أن فتحوا بلاد العراق وعندما حكمها الخليفة الأسطورى (هارون الرشيد) لم يكن قد مضى على تأسيس بغداد أكثر من خمسين عاماً ولكنها كانت حاضرة

العالم فى الثقافة والرخاء ، وتشير بعض التقديرات إلى أن عدد سكان بغداد فى القرن الحادى عشر بلغ أكثر من مليونين ، وكانت أكبر مدينة فى العالم فى ذلك الوقت ، وعند حديثه عن هارون الرشيد راعى الحضارة الإسلامية يقول (يميلر) :

كانت عظمته بجذب نوابغ الرجال إليه مثل المغناطيس فجمع حوله برلماناً غير مألوف تكون من الشعراء والفقهاء والأطباء واللغويين والموسيقيين ، ولم يسجل التاريخ أن قصر حاكم ما اجتمع فيه هذا العدد من العلماء الفطاحل مثلما حدث فى عهد هارون الرشيد لأن عهده كان عهد حضارة راقية وتسامح .

وكان هناك أكبر من أحد عشر ألف كنيسة ومئات المعابد اليهودية ومعابد عبدة النار وأصبحت الجامعة النظامية التى أسست عام ١٠٦٥ نموذجاً اتبعته أغلب المراكز العلمية فى كبرى مدن الخلافة ، وقامت بعد فترة وجيزة الجامعة المستنصرية وكانت بحق مركز العالم الإسلامى يرعى علوم الفقه والعلوم التطبيقية والأدب والفنون .

وهذا هو النظام الحقيقى لتدريس العلوم هو النظام الذى قلده الغرب بعد ذلك بتوحيد علوم المذاهب النصرانية الأربعة فى جامعة باريس .

ويستخلص من ذلك أننا نرى فى العالم الإسلامى من القرنين العاشر والحادى عشر ظاهرة لم يسمع بها فى أى حضارة أينما يممت وجهك ترى الشغف بالكتاب والعلم تدوى أصوات أفصح العلماء فى آلاف المساجد تعج قصور الحكام والأمراء بحلقات الشعراء والفلاسفة .

إن هذه المرحلة هى أهم مرحلة فى تاريخ الفكر الإسلامى (آى ريسلر) .

وكان الإسلام يحكم العالم خمسمائة سنة (من ٧٠٠ إلى ١٢٠٠م) بمحض تفوقه الحضارى على الأمم الأخرى .

كان الخليفة الناصر فى مدينة مراكش يتباحث مع علماء المسلمين فى وقت كان أمراء ونبلاء الدول الغربية يتفاخرون بأنهم لا يعرفون القراءة والكتابة .

كان الخليفة الحاكم الأموى يمتلك مكتبة تحتضن (٤٠٠ ألف) مجلد ويذكر اليعقوبى أنه أحصى عام ٨٩١م أكثر من مائة مكتبة فى بغداد وحدها . ويقول ريملر :

لم يجرؤ أحد من أغنياء المسلمين على إمساك ماله من الإنفاق فى العلم والأدب والفنون .

وحوت خزانة مكتبة مدينة النجف الصغيرة فى العراق ما يزيد على ٤٠ ألف مجلد ومكتبة أبى الفداء ـ أحد الأمراء الأكراد من حماة ـ أكثر من ١٠٠ ألف مجلد ومكتبة مراغة ٤٠٠ ألف مجلد ، وكانت أسماء الكتب الموجودة فى مدينة الرى مدونة فى عشرة سجلات (فهارس) ضخمة ، ولكن أضخم مكتبة وقتئذ وجدت فى العالم كانت مكتبة العزيز فى مدينة القاهرة وحوت مليون وستمائة ألف مجلد منها ٦٥٠٠ مجلد فى الرياضيات و ١٨٠٠ مجلد فى الفلسفة .

أما مكتبة مدينة بخارى فقد وصفها الفيلسوف الشهير ابن سينا بقوله :

« رأيت فيها كتباً لا وجود لها فى أى مكان فى العالم » .

وفى معرض ذكره للحاكم الإسلامى العظيم فى الأندلس الإسلامية عبد الرحمن الأول ومحاولته جمع كل العلماء من مختلف الأجناس فى الجزء الغربى من الخلافة مثل العرب والبربر المرابطين والأندلسيين ، يقول دى زيملر : إن هذا الهدف كان فى حقيقة أمره حركة استطاعت عبر القرون القاتمة النهوض بالأندلس الإسلامية إلى ذروة الحضارة البشرية وعند وفاة الخليفة عبد الرحمن الأول سنة ٧٨٨م كانت الأندلس الإسلامية أضاءت عالم الغرب بأنوار علوم الشعر والفنون والهندسة ويذكر العالم الهولندى دوزى : إن جميع سكان الأندلس الإسلامية كانوا يحسنون القراءة والكتابة فى وقت كانت الكتابة حكراً على عدد من رجال الكنيسة ويضيف : لقد جذبت هذه الحضارة المزدهرة رجال الكنيسة وعامة الناس فى المغرب النصرانى ورحلوا بكل حرية إلى قرطبة وأشبيلية وطليطلة ليحضروا محاضرات مشاهير العلماء المسلمين فى الجامعات الإسلامية .

وقد وصل الطب والصحة إلى مراحل متقدمة جداً وهذا ما يهمنا بشكل خاص لأن هذا الجانب بدون شك يدخل ضمن النتائج المباشرة لأوامر وفروض الإسلام ويزيد عدد الأحاديث التى تتحدث عن الطب والصحة عن ٣٠٠ حديث وقد جمعت فى كتاب الطب النبوى .

والنتيجة الماسة لهذا أننا نجد فى كافة المناطق التى خضعت يوماً لسلطة الإسلام

عناية خاصة بشبكة المياه والحمامات والمستشفيات ، هذه هى الوظيفة العامة للحكومة الإسلامية نجد أربعة وثلاثين مستشفى فى أنحاء الدولة الإسلامية سنة ٨٥٠ وقد كان مستشفى دمشق (بيمارستان) يدار من تبرعات الدولة السخية ، وقد أقيمت شبكة المياه فى سرايبفو بـ ١٤٨ سنة قبل لندن و٣٧٨ سنة قبل فيينا .

إن الحمامات العامة ظاهرة مألوفة وخاصة من خصائص الإسلام وكان الاهتمام بالنظافة الشخصية شيئاً اعتيادياً فى بيوت المسلمين أغنيائهم وفقرائهم على حد سواء.

إن الخليفة المنصور أمر عام ٧٧٣م بترجمة كتب فى علم الفلك من اللغة الساسانية التى كتبت حوالى سنة ٤٢٥ قبل الميلاد ، وكان إبراهيم الزركلى وضع جداول طليطلة فى ضبط دوران الكواكب وظلت أساس علم الفلك فى أوربا مدة طويلة ، وقد فتح البيرونى الطريق أمام كوبيرتيك بدحض نظرية انحراف الكواكب وتمكن عمر الخيام (المشهور فى الغرب بشعره أكثر من علومه) من وضع تقويم أدق من التقويم الغربى الذى نستخدمه اليوم ؛ لأنه يخطئ فى حساب يوم واحد كل خمسة آلاف سنة بينما التقويم الغربى المستخدم يخطئ فى حساب يوم واحد كل ثلاث آلاف وثلاثمائة سنة وكانت كتب ابن الهيثم العالم المسلم مثل بيكون وكابلير بينما قال عالم الرياضيات شاسليس (فى القرن ١٩) عن بحوث ابن الهيثم أنها كانت أساس وكنه ما توصلنا إليه فى مجال علم البصريات .

ويضيف عالم الفلك باسكوداين :كانت بحوثه أدق بكثير من نظريات بطليموس .

إن النتيجة العامة التى يخرج بها سايديلوت فى دراسة علم الفلك عند العرب هى : وصلت مدرسة علم الفلك فى بغداد فى نهاية القرن العاشر إلى أقاصى حدود المعرفة التى كان لا يمكن للإنسان الوصول إليها دون استعمال العدسات .



الدولة الإسلامية فى البوسنة

يقول الرئيس على عزت بيجوفيتش يصف معركة البوسنة :

لقد دفع شعبنا ثمناً غالياً من دمه لكى يحافظ على البوسنة ونحن متمسكون بوحدة أراضينا وبإعادة كل المشردين الموزعين على ٥٥ دولة فى أنحاء العالم إلى ديارهم .

إن لم يكن غداً فبعد غد ، لقد سقطت على سراييفو وحدها ٨٠٠٠ ألف قذيفة وقتل فيها ١١ ألف شخص حتى أصبح لدينا أكبر مقبرة أطفال فى العالم وتضم رفات ١٣٠٠ طفل قتلهم الصرب عمداً ، وهذا المبنى قصر الحكومة ورئاسة الجمهورية قصف ١٢٠ مرة وقتل منه وحوله ٦٠ شخصاً وما أصابه أصاب البلد كله.

وبعد هذا الذى قدمناه لن نقبل بأى تفريط فى الأرض أو إجهاض لشعبنا فى حياة مستقرة على ترابه الوطنى .

ويقول أيوب جانيتش : أن من الزعماء الغربيين من لا يزال يستهجن فكرة أن توجد فى قلب أوربا دولة ذات أغلبية مسلمة برغم كل ما أثبتناه من إصرار على أن تكون تلك الدولة نموذجاً للتسامح ومفتوحة لتعدد الأديان والثقافات وقد قال لنا أحد كبار المسؤلين الغربيين : إن فى فرنسا ثلاثة ملايين مسلم يعيشون فى أمان داخل المجتمع الفرنسى فلماذا لا يفعل المسلمون نفس الشىء وهم مليونان فيعيشون داخل الدولة الصربية ناسياً أن الصرب هم الذين يرفضوننا ويقتلون أبناء شعبنا بينما نحن الذين نتمسك بالتعايش معهم ومع الكروات على قدم المساواة ، وناسياً أيضاً أن أغلبية مسلمى فرنسا وافدون إليها من الخارج بينما مسلمو البوسنة يعيشون على هذه الأرض منذ قرون .



دورة الحضارة
وعلى عزت بيجوفيتش
أول رئيس مسلم فى قلب أوربا

انتخب أخيراً على عزت بيجوفيتش رئيساً لجمهورية البوسنة والهرسك وفاز حزب العمل الديمقراطى (حزب بيجوفيتش) بأغلبية برلمانية وارتفعت راية الإسلام فى قلب أوربا وكان من المفترض للجرافات الصربية أن تمحو أمة الإسلام فى البوسنة ولكن أمر الله غالب : ﴿ **يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون** ﴾ [التوبة : ٣٢] .

لقد أكدت مهمة دفن المسلمين بصورة جماعية فى باطن الأرض أن التآمر والحقد الصربى لن ينتهيا .

الآن يحمى شرف البوسنة والهرسك ٣٠٠ ألف من المغاوير جند الله ورجال الجيش البوسنى .

يقول مجدى أحمد حسين : أين كنا وأين أصبحنا ؟ وعلينا أن نضع ثقتنا فى هذا الشعب الذى تحدى مخاطر الإبادة الجماعية ، فهو قادر على مواجهة مصاعب المرحلة القادمة على أرض أكثر صلابة بكثير : على أرض الشرعية المنتزعة من قلب الأسد وعلى أرض القوة المسلحة الأكثر عنفواناً متسلحين بخبرة الجهاد وحملات التطهير العرقى والمؤامرات المريرة .

لقد تصوروا أنهم أمام جيب إسلامى يجب أن يمحى من الوجود حتى لا ينقل العدوى إلى قلب أوربا ، وكانت النتيجة أننا أصبحنا أمام أول دولة إسلامية فى أوربا : دولة عزيزة مرفوعة الرأس موفورة الكرامة ، هل تعلمون أن البوسنة لم تكن يوماً دولة إسلامية .. فقد كانت عبر التاريخ مجرد مقاطعة أو محافظة فى الدولة العثمانية ، ثم فى الاتحاد اليوغسلافى الشيوعى ، وعندما بدأت مفاوضات داليتون كانت البوسنة تمثل لأول مرة فى التاريخ كدولة إسلامية ذات سيادة .

وهذا هو زعيم المسلمين العقائدى المستنير المجاهد رئيساً وحزبه (العمل) له الأغلبية .

إن الصحوة الإسلامية تضرب فى القلب بكل ضراوة فإذا بها تنتصر فى الأطراف ، إنها ظاهرة لا يمكن هزيمتها لا بالصواريخ ولا حاملات الطائرات ولا أى قوة فى العالم تملك أن توقف هذا الزحف .

فعلى مستوى العالم العربى انتصر الإسلام فى السودان وجزئياً فى الصومال واليمن لأنهما على الأطراف ، ولكن الصحوة الإسلامية تضرب بضراوة فى فلسطين ومصر والأردن وتونس والجزائر وتضرب فى قلب الأمة الإسلامية فى شخص أنظمتها المستقلة حتى ولو لم ترفع رايات إسلامية ظاهرة (ليبيا ـ سوريا ـ العراق) .

ولأن العالم العربى وقلبه هو المستهدف بشكل خاص فقد انتصر الإسلام على أطرافه غير العربية فى إيران وجزئياً فى تركيا ، أما إذا أخذنا خريطة العالم الإسلامى ككل فستجد أن الانتصارات تتوالى على أطراف هذا العالم الإسلامى (ماليزيا ـ الشيشان ـ الفليبين) اتفاق الحكم الذاتى للمسلمين الذى أبرم أخيراً وانتخب الزعيم التاريخى ميسوراى رئيساً له ـ البوسنة وأيضاً أفغانستان رغم كل هذا التناحر الداخلى فالنتيجة ستكون فى النهاية : توحيد أفغانستان تحت راية إسلامية ، فهل تملك كل شياطين الأرض أن توقف هذا الزحف .

إننا ندعو حكام الغرب أن يوفروا على البشرية حمام الدماء وأن يتعاملوا مع الأمر الواقع التاريخى وهو عودة الأمة إلى نمطها الحضارى الأصلى ، ونحن نزعم أن ما حدث خلال القرنين ١٩ ، ٢٠ حين مسخت أمة العرب والمسلمين لتصبح لا شرقية ولا غربية لن تتكرر أبداً فلن تعود مسخاً مشوهاً .

نحن نعود إلى شخصيتنا الأصيلة وعلى العالم أن يرتب أموره على ذلك ، نحن نعيش فى مرحلة صعود بمقاييس علم الاجتماع ، لن تقل عن عشرة قرون إن لم تزد ، وأذا حاولنا أن نسابق الزمن ونتصور أن الحضارة الإسلامية يمكن أن تشيخ مرة أخرى بعد هذه القرون ، كما حدث لها بعد ١٣ قرناً من الهجرة النبوية ، وهذه سنة

الله فى خلقه أى (دورة الحضارة) ولكن لا داعى الآن لتخيل ما سيحدث بعد ١٠ قرون ولنترك ذلك لعلماء المستقبل .

ولكننا نؤكد أن حملة التغريب خلال القرنين ١٩ ، ٢٠ (بل إن شئنا الدقة منذ النصف الثانى) بل إن شئنا الدقة أكثر فى أواخر القرن ١٩ حتى الآن مجرد جملة اعتراضية طويلة سقيمة وأنها تؤذن الآن بالزوال .

الأذكياء فقط من الغرب هم الذين بإمكانهم أن يدركوا ذلك وعليهم أن يتعاملوا مع الصحوة الإسلامية بهذا المعنى ، هذا يوفر معاناة كبرى ، أما إذا كنتم مصرين على التغابى فنحن مستعدون لمواجهة هذه المعاناة الكبرى كما أثبتنا فى الفلبين والشيشان والبوسنة وفى فلسطين وفى تركيا وفى إيران والسودان .

وعلى القائمين على أمر الحركات الإسلامية الأساسية فى قلب الأمة العربية الإسلامية بأن يتحلوا بالمرونة وسعة الصدر والأفق وأن يتحركوا فى نفس الوقت من الدفاع إلى الهجوم .



البوسنة بوابة الفتح الإسلامى لأوربا

يقول محمد الملكاوى : لقد كان هدف الإعلام الغربى إخفاء حقيقة وضع الإخوة المسلمين هناك وركز اهتمامه على رواية الأوضاع المزرية لهم لبث الرعب والخوف فى قلوب المسلمين حتى يهجروا أرضهم وديارهم .

إن الشريعة التى أقسمت على نفسها أن تكون راعية مصالح الأمة الإسلامية وتبنى قضاياها بأمانة وإخلاص تقول للمسلمين فى كل مكان أن البطولات التى يعقدها المجاهدون المسلمون هناك يغفلها الإعلام الغربى الحاقد بهدف إبقاء سحابة اليأس مخيمة فى سماء البوسنة والهرسك على المسلمين لكن وعد الله عز وجل نافذ لا محالة ﴿ **ولينصرن الله من ينصره** ﴾ [الحج : ٤٠] .

وها قد بدأت جحافل المجاهدين توجه إيضاً أبصارها وقلوبها نحو (بوسنة) للأعداء الكفرة من الصرب وكروات . كما بدأت ملايين الدولارات تتوجه فورا نحو جيش .

لقد أدرك الصرب أن المجاهدين المسلمين من شتى أقطار العالم قد انضموا إلى جانب مسلمى البوسنة والهرسك .

إن الرعب الذى يدب فى قلوب الجنود الصرب هو سماعهم لنداءات الله أكبر التى تملأ السهول والجبال والوديان .

هذا ما لم يتعود عليه الصرب ، فقد ذهب الخوف من قلوب المجاهدين عندما أدركوا قيمة وعظمة الشهيد عند الله تعالى ، سننتصر بالرعب بإذن الله وستكون البوسنة والهرسك الطريق لفتح أوربا ، ومما يفرحنا ويفرح الأمة الإسلامية أن نلتقى بالدكتور محيى الدين كحالة الذى زار جمهورية البوسنة والهرسك مؤخراً ضمن لجنة نقابة الأطباء الأردنية ، الذى أحيا فينا الأمل والحماس بعد أن سيطر علينا التشاؤم واليأس بسبب الروايات الكاذبة التى يعتمد عليها الإعلام الغربى الحاقد بشكل مقصود وموجه ، والذى قال إن مسلمى البوسنة سيكونون بإذن الله رأس الحربة لفتح أوربا حتى يحكم الإسلام من جديد فى الدول الأوربية .

ولم تتوان عن تأكيد حقيقة مهمة طالما انتظرناها كمسلمين ، وهى أن جحافل المجاهدين قد بدأت تتوافد على البوسنة والهرسك من السودان وسوريا وماليزيا

وأفغانستان والباكستان والولايات المتحدة ومصر والسعودية وبعض دول الخليج العربى وبريطانيا والسويد وغيرها من الدول مؤكداً أن قوات المجاهد محمود كوالتش هذا العالم البوسنوى الذى يعمل أستاذاً لعلم الحديث فى جامعة العلوم الشرعية بسراييفو توقع خسائر فادحة فى صفوف الجنود الصرب .. لقد أعلن هذا العالم المسلم (كوالتش) الجهاد المقدس بعد أن وقعت الحرب الصربية الصليبية الحاقدة ضد مسلمى البوسنة وبدأت مجموعات المجاهدين تلتحق به ، فكون بناء على ذلك الجيش البوسنوى المسلم والتحق به المجاهدون المسلمون من شتى أقطار العالم ، وقد خاضوا معارك باسلة ضد الجيش الصربى .

المد الإسلامى يرعب زعماء أوربا :

« ولا أستطيع النوم وقد بدأ الجهاد من جديد على أرض البوسنة والهرسك »

هذه العبارة تسجلها الشريعة للتاريخ لأن قائلها زعيم أوربى يدرك حقيقة الإسلام ويعرف النور الذى سيحيل ظلام أوربا بل العالم إلى الهداية ، لكنه لايريد لهذا النور أن ينتشر حتى لا يخسر مكانته المرموقة .

هذا الزعيم هو ملك النمسا الذى يرى من خلال تقارير مخابراته أن الرعب يسيطر على قلوب الجنود الصرب ، خصوصاً بعد أن التحق مجاهدون مسلمون بمجاهدى البوسنة والهرسك ، وأصبحت حرب البوسنة حرب المسلمين عامة وليست حرب ٢,٥ مليون مسلم بوسنوى فقط .

لقد تغيرت الصورة فى البوسنة والهرسك من واقع مأساوى إلى واقع جهادى يقيم شرع الله بعد أن أدرك المسلم البوسنوى الحكمة الإلهية وراء هذا الابتلاء مغادراً صفوفاً تمتلئ بها المساجد التى تزيد على ٥٠٠ مسجد وارتدت النساء الحجاب وأصبح تاجاً يشير إلى العودة لحظيرة الإسلام والتف الجميع خلف المجاهدين العرب ليتعلموا أصول دينهم وكيفية الجهاد .

وقد أكد لنا الدكتور محيى الدين كحالة أن التضاريس الطبيعية هى هبة الله لشعب البوسنة المسلم حيث شكلت هذه التضاريس ملاجئ ربانية طبيعية لحماية البوسنيين من مواطنين ومجاهدين من القصف الجنونى الصربى ، والاقتحام اللاخلقى للمدن والقرى مشيراً إلى أن الله عز وجل يدافع عن الذين آمنوا وعملوا الصالحات .

ثانياً : الكاتبة الأمريكية المسلمة مريم جميلة

تقول : يتحتم علينا فى سبيل تحرير أنفسنا من نير العبودية والاستعمار الأجنبى أن نجدد ذكريات البطولة للمجاهدين البواسل الذين يزخر بهم تاريخنا وأن نعيد إلى أذهان أجيالنا الصاعدة قصص جهادهم لنغرس فى قلوب النشئ خصال الرجولة والإباء والانتماء إلى هؤلاء الأعلام والأبطال ، وخاصة أولئك الذين كافحوا الاستعمار الأوربى كالإمام شامل الذى صمد في وجه القوى الطاغية للاتحاد السوفيتى والإمام أحمد بن عرفان الشهيد رحمه الله تعالى ، والسلطان تيبو اللذين قاوما الاستعمار البريطانى فى الهند والمسلمين المجاهدين من قبيلة مورو فى الفلبين الذين قاموا بنضال استمر قروناً ضد الاستعمار الأمريكى والأسبانى وزعماء الحركة السنوسية ضد الاستعمار الإيطالى فى ليبيا والزعيم عبد القادر فى الجزائر والزعيم عبد الكريم زعيم البربر لقبائل جبال الريف فى مراكش فى نضاله ضد الاستعمار الفرنسى.

إن الوضع يحتم علينا إحياء ذكرياتهم البطولية بسرد حكايات بطولتهم وتسجيلها فى الكتب الدراسية التى يدرسها أطفالنا وشبابنا ، ولا يخدعنا عن ذلك الواقع المرير أن مصير نضالهم وجهادهم كان الفشل والهزيمة فى وجه القوى المتقدمة .

فلنتذكر فى هذا الصدد أنهم قاموا بجهودهم وبذلوا تضحياتهم فى سبيل الحق كمسلمين مؤمنين واثقين بوعد الله ونصرته ابتغاء الأجر فى الآخرة ولم يكن جهادهم وتضحياتهم لنيل نفع عاجل فجاهدوا فى سبيل الله لنيل رضا الله والنجاة والفلاح فى الحياة الآخرة .



يواجه إخواننا المسلمون فى سائر أنحاء العالم نوعاً جديداً من الدين وهو القومية، فيركز الأعداء جهودهم على إحداث وتنمية حب الوطن وعبادة الوطن وتقديس زعمائه فصارت بجراء هذا الاتجاه الأعياد القومية كعيد الثورة وعيد

الجمهورية والعيد الوطنى مناسبات ذات أهمية تزيد على أهمية الأعياد الإسلامية ، ويرغم الشباب فى هذه المناسبات على تحية العلم الوطنى والركوع أمامه وتلاوة النشيد القومى وحلت هذه المراسيم محل الواجبات الدينية ونال الشعار الوطنى قدسية بحيث أنه لا يوضع على الإعلام القومية فحسب بل ينصب على المبانى الرسمية .

حتى المساجد التى تبنيها الحكومة لكى يخنع أمامها المسلمون ويطأطأوا رؤسهم طوعاً وكرهاً .

وهذه كلها تقاليد ذات طبيعة أجنبية غربية بالنسبة للفكر الإسلامى ولا يتصور أحد النظر فى هذه القوانين أو تعديلها وعلى العكس تعتبر مخالفتها أو التقصير فى احترامها جريمة يستحق من تركها معاقبة شديدة .

إن نجاح الثورة الإسلامية يتطلب القضاء على تصور القومية كلية وإحياء الخلافة الإسلامية وحالما يتم إنشاء خلافة إسلامية يصبح المسلمون قوة سياسية وروحية كبرى فى الشئون العالمية .

أعلن مصطفى كمال أتاتورك إنهاء الخلافة العثمانية وأخفقت حركة الخلافة التى تزعمها الزعيم الهندى المسلم محمد على جوهر وشوكت على ولم يجرؤ أحد من الزعماء المسلمين منذ ذلك الوقت أن يتقدم لفكرة الخلافة الإسلامية فظلت هذه الفكرة مهجورة طيلة هذه الفترة ، ولكن الوقت قد حان لإحيائها من جديد ، ولإنشاء الخلافة قبل أن تتحول أى دولة إلى دولة إسلامية فى حقيقة الأمر ، لقد كانت مسألة الخلافة إثر سقوط بغداد عاصمة الخلافة الإسلامية بأيدى التتار فى عام ١٣٥٨م تظهر فكرة بعيدة المنال للمسلمين فى ذلك الزمان كما تبدو بعيدة المنال اليوم .

ولكن الله تبارك وتعالى قدر أن تنشأ الخلافة من جديد بمجهود الأتراك العثمانيين فقامت دولة إسلامية تجمع حوالى إحدى عشرة دولة تحت لواء واحد فى العالم وكان المسلمون والأتراك بالنسبة للأمريكيين والأوربيين إلى أن تم انتهاء الخلافة بأيدى مصطفى كمال أتاتورك : اسمين مترادفين ومتبادلين .

إن تفوق الغرب فى الطاقة والتنظيم والتكنولوجيا ، كان بقدر كبير مسئولاً عن سيطرة الغرب على سائر أنحاء العالم ولم نخضع المسلمون بجانب الشعوب غير

الأوربية الأخرى فى الأماكن الأخرى فى العالم ، سواء كانوا متخلفين أو متحضرين بسيطرة الغرب لأنهم كانوا يعانون من الجمود أو الانحطاط .

وإنما خضعوا لها لأن المادية الغربية كانت دائماً معضلاً يقضى على صحة الشعوب ، فالمادية الأوربية تأكل الحضارات والثقافات والعقائد .

تمخضت المادية العلمانية فى أوربا أثر التهضة الأخيرة من العلم الحديث الذى كان أنفذ وأحد سلاح للغرب لغزو البلاد وقهر الأذهان وتسخير القلوب ، واستخدمت أوربا هذا السلاح على الكنيسة الرومانية والكاثوليكية ثم أبطلت بها سائر الأديان والعقائد بوصفها خرافات وأوهاماً ، فصارت المادية ديناً جديدة ينسخ سائر الأديان السابقة ونالت نظريات هذا الدين الجديد قدسية بحيث أنها تقبل بدون نقد وإعمال الرأى ومعالجة فكر ورد وقدح ، كما كانت العقائد الدينية القديمة تقبل فى الماضى وتمكنت المادية منذ ذلك الوقت من الاستيلاء الكامل والقول الفصل فى أمور الحياة إلى أن فسدت الكنيسة الرومانية نفسها فساداً كاملاً شاملاً .

ونتيجة لفساد الكنيسة الرومانية أتت إلى حيز الوجود حركة بروتستنت الإصلاحية والدولة العلمانية القومية التى حطمت صلب الدولة المسيحية ثم ألحقت الثورة الفرنسية بالكنيسة الرومانية ضربة قاضية وتمخضت الفلسفات المادية الخالصة التى دفعت إلى الثورة الفرنسية عن ثورة صناعية ومن الثورة الصناعية نبعت الشيوعية .

يقوم العلم الحديث والتكنولوجيا على أساس المادية الخالصة وتغيرت نظرة الإنسان إلى الطبيعة بجراء العلم الحديث فلا ينظر الإنسان إليها فى ضوء العلم الحديث إلا نظرة استغلال وانتفاع بدون تحفظ وبدون قيد ثم تعدى استغلال الطبيعة والانتفاع بمواهبها وودائعها عن طريق العلم والتكنولوجيا إلى حد تدمير البيئة الطبيعية التى نستمد منها حياتنا ونعتمد عليها معيشتنا فنشأت أخطار جديدة كالتلوث وتدفق السكان والكثافة فى البيئة وتدنسها وبتدمير الفضاء الطبيعى نتيجة للتكنولوجيا الحديثة التى تسعى إلى مكاسب عاجلة قصيرة الأمد لا تنتفع بها إلا الدول الغنية فى الغرب يتجه العالم إلى تدمير الجنس البشرى إذا بقيت الحياة على صفحة الحياة ، لقد كان تلوث الأرض نتيجة حتمية لتلوث الروح الذى كان نتيجة عاجلة للتصور المادى الملحد ، ولدراسة العلم بدون الرجوع إلى الخالق ، فيجرى استنفاد المصادر واستنزافها على الأرض ، لأن العلماء لا يشعرون بواجبهم

ومسئولياتهم التى تعود إليها ويهملون عواقب نشاطاتهم .

وفى وجه هذا الخطر الجسيم يتحتم على علمائنا من أجل التحرر الكامل من نير الاستعمار الأجنبى أن يقوموا بدراسة ناقدة وشاملة ومقنعة للتصور العلمى التقليدى الذى يسود العالم منذ ثلاثة قرون ويتوجب علينا فى هذا المضمار أن نمسك عن النظر إلى بلادنا وشعوبنا فى مرآة التقدم والقياس بمقياسه .

والواجب الأول هو تحرير أنفسنا أن نحرر العلم من فلسفة المادية ونقاوم تأثيرها غير الإنسانى ونوجد تصوراً موحداً للعلم فى سبيل إيجاد علم إسلامى جديد بجهود أنفسنا وتفكيرنا الخالص ، وفى النهاية يجب أن نتخلى عن التصور الخاطئ للتقدم المادى كهدف للحياة الإنسانية ولا نخدع أنفسنا بالشعارات البراقة بأن الفقر والمرض والمعاناة والموت أمور يمكن القضاء عليها أو مكافحتها ، فإن ذلك تفكير غير مثمر بل ومن العبث أن نحوم حولها ، وإنما الحل الواقعى والطريق إلى أن نعالج مثل هذه المعاناة حيث وجدناها بقدر إمكاننا وبقدر وجودها أو حجمها .

إن المجتمعات التى حاولت سد مطالبها الخارجية كليًا لم تنجح إلا فى إيجاد فقر روحى داخلى يحل محل الثراء الخارجى لها فتعانى المجتمعات الغنية نتيجة لذلك من الفقر الروحى معاناة سافرة لا تساويها معاناة .

هذه المرحلة المفزعة للتطور كانت مسئولة عن تحويل أمريكا إلى عبودية الآلات والماكينات ، لقد سيطرت أمريكا بدون منازع لها على سائر أنحاء العالم بتفوقها فى الصناعة ، ويلاحظ وجودها فى كل مكان ويدها فى كل حركة فى العالم ، ولا يوجد بلد إسلامى أو غير إسلامى بمنأىً عن نوع من سيطرة أمريكا ونفوذها .

ولكن أمريكا التى تستعبد العالم كله بطريقة حياتها تستعبدها الآلات والماكينات ، فهى عبيدة الماكينات ، وهى عبيدة نمط خاص للحياة والتقدم المادى ، تأسرها المصانع والمختبرات والكماليات والأجهزة ، وقد ذابت شخصية الإنسان فى بوتقة الحياة الآلية والتكنولوجية بحيث أن أفكاره وعواطفه ومشاعره قد صهرت فيها وصارت ميكانيكية لا يحمل فى صدره قلباً إنسانياً ، وإنما يحمل صفات الصخر والفولاذ فأصبح ضيق الفكر ومفرطاً شحيحياً بارداً لا تثور فيه العاطفة ولا تتحرك فيه

المشاعر وفقد قلبه الحرارة وعيونه الندى ، وهذه هى الحقيقة التى لمستها أثناء إقامتى فى أمريكا .

وإن الخروج من حالة الانعزال خطوة هامة فى سبيل إعادة مجد الإسلام وتعميم تعاليمه وعرض فكره فقد اقتصرت صلاتنا وعباداتنا على المساجد وأماكن مخصصة للعبادة ، فلننقل صلاتنا إلى الأماكن العامة نؤديها فى الحدائق وفى الحرم الجامعى ، وعلى الشوارع وفى حالة الخطر ، وفى أماكن محدودة ونبعد أنفسنا عن الانكماش والانزواء .

★ ★ ★

ثالثاً : مراد هوفمان الدبلوماسى الألمانى المسلم

إن أوربا شهدت خلال القرن الثانى عشر تغيرات كان من شأنها تدهور مكانة الدين والكنيسة وتحولت الكنائس من دور للعبادة إلى أماكن لقضاء الحاجات الاجتماعية ، لكن فى الفترة الأخيرة وبعد أن حصلت بشائر السقوط فى هذه المجتمعات ظهرت هناك رغبة أكيدة فى العودة إلى الدين بل إن بعض كبار العلماء عادوا وبدأوا يواجهون مشاكل حول ماهية المادة .

إن هذا ليس معناه أن هذه العودة ستكون من المسيحية إلى الإسلام ولكن يكفينا نحن المسلمين أن يعود هؤلاء من الإلحاد إلى حظيرة الإيمان .

هذا التحول هو من سمات عصر مابعد الحديث ، بعد أن أثبتت لهم الأيام أنه لابد من العودة مهما بلغ التطور العلمى ، ونرى فى أوربا الآن اتجاهات تطالب بحقوق الأقليات وتدافع عنهم وتطالب أيضاً بحق السود والنساء وتحارب الإجهاض والشذوذ ، كل هذا يحدث فى العديد من البلدان الأوربية وفى وقت واحد ، ومع ذلك فإن هؤلاء يرون فى نفس الوقت أن الإسلام يفرض قيوداً على حركتهم من خلال مبادئه التى تنادى بتحريم الخمر والالتزام بأداء الصلوات فى أوقاتها والحج وغيره .

ويمضى هوفمان فيؤكد أنه اكتشف أن تعليم القيم بعيداً عن الدين مبدأ فاشل ولا يمكن استمراره ولا يمكن للإنسان أن يلتزم بقيم أخلاقية مالم يكن ملتزماً دينياً ، وفى هذا الإطار فإن هناك فرصاً للتلاقى بين الإسلام والمسيحية لمواجهة مشاكل مثل

الإجهاض والشذوذ والمخدرات والتلاعب في الجينات وهو ما يعرف بعلم الهندسة الوراثية والميل إلى مايسمى بعائلة الأب أو الأم بعيداً عن الأسرة ، كل هذه النواهى تتفق عليها كل الأديان السماوية حتى إن الطعن فى الإسلام من خلال كتابات بعض المفكرين أمثال سليمان رشدى وتسليمة وغيرها يمكن مواجهتها ويستطيع المسيحيون الملتزمون أن يواجهوا مثل هؤلاء فلا يقبل متدين مهما كانت ديانته أن تهان المقدسات بمثل تلك الطريقة التى تناول بها هؤلاء الكتاب حياة الأنبياء .

ويضرب المثل بالسيدة « شميل » المتخصصة فى الدراسات الإسلامية والألمانية الجنسية التى دافعت بشدة عن الإسلام وبطريقة فاقت أحياناً دفاع المسلمين أنفسهم فقد قالت عن صاحب (آيات شيطانية) أنها تضيق جداً بهذا الكاتب بل إنها ردت عليه وفى الوقت الذى لم تؤيد فيه فتوى الخمينى بقتله فإنها اختلفت معه بل هاجمته.

تقول شميل : إن الدعوة إلى التعايش بين الأديان يقع عبئها على عاتق رجال الدين ، أما الدور الذى يمكن أن يقوم به مسلمو أوربا الذين يبلغ عددهم ١٤ مليون مسلم حسب آخر إحصائية ، وقال إنه خلال السنوات الماضية حدث تحيز واضح ضد المسلمين وإن كنت لا أنكر دور المسلمين فى خلق هذا التحيز إلا أن الذكريات الموجودة داخل نفوس الأوربيين عن الحضارة الإسلامية ليست طيبة ، فهناك جزء كبير من دول أوربا يربط بين الإسلام والدولة العثمانية إلى درجة جعلت العديد منهم يطلقون على القرآن فى العهود السابقة اسم (الإنجيل التركى) لكن الآن وفى عهد مابعد الحديث الذى تلا العهد الحديث لا نستبعد مايحدث من تغيرات ومنها الدعم الذى تقدمه بعض الكنائس الآن للمسلمين وعلى سبيل المثال فإن الكنيسة الإنجيلية فى ألمانيا بدأت فى إعداد نتائج ومطبوعات فيها كل الأعياد والمناسبات الخاصة بالمسلمين بعد أن كان ذلك ممنوعاً خلال السنوات الماضية ، بل إن القوات المسلحة الألمانية اليوم بها إماما من الأئمة المسلمين يقومان بتعليم مبادئ الإسلام للجنود المسلمين الملتحقين بالقوات المسلحة .

إن الأعوام المائة القادمة من عصر أوربا يمكن أن تشهد تطورات من شأنها أن يحل السلام محل الخلافات العرقية والمذهبية ، فهناك تعايش الآن بين الفصائل المسيحية وهناك تقارب أكثر بين مذاهب المسلمين فى أوربا .

ويرى هوفمان أن الأعوام المائة القادمة يمكن أن تتخذ المسجد فى أوربا إلى

جوار الكنيسة لمواجهة ما يهدد المجتمع المدنى فالعبء الأساسى فى التفاعل السلمى والتسامح يقع على كل من رجال الدين الإسلامى أو الدين المسيحى على السواء .

إن علماء الرياضيات والفيزياء بعد أينشتين والحاصلين على جائزة نوبل وأساتذة كثيرين فى جامعات ألمانيا يعترفون بأنهم يؤمنون بالله تبارك وتعالى وهذا كان نادر الحدوث فى القرن التاسع عشر وفى واقع الأمر فإن المسيحيين فى أوربا يمكن أن يتحولوا إلى الإسلام وإن كنا لم نشهد ذلك حتى الآن لكن الناس ضجوا بالمادة وحياتها وقوانينها نتيجة لما أسموه تطور الحضارات الغربية التى أنتجت حربين عالميتين ومعسكرات تعذيب فى ألمانيا وروسيا واستخدمت التقدم التكنولوجى فى تدمير البشرية

★ ★ ★

الأوربيون يعودون إلى الدين بعد انهيار حلم ما بعد الحداثة

وقد أفصح الدكتور مراد هوفمان عن عدة حقائق فقال :

* لقد وجدت فى القرآن شيئاً غير عادى لم أره فى أى ديانة أخرى وهو الإشارة إلى التعدديه الدينية والتعددية الحضارية ﴿ **وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا** ﴾ فالقرآن الكريم يعطى للديانات الأخرى ضماناً دستورياً ومن ثم فليس الهدف هو تحويل العالم إلى عالم إسلامى وإنما إلى عالم مؤمن بالله وحده لا شريك له.

* إن كل المؤشرات تؤكد أن الإسلام فى تقدم مستمر ولا يتوقع أحد أن يختفى الإسلام فى المستقبل وإنما يمتد بل وينفجر ولن يكون الصراع فى المستقبل بين المسلمين والمسيحيين أو بين المسيحيين واليهود وإنما بين الأقلية التى تؤمن بالله ، المسلمين لله بالمعنى الأصلى للكلمة ، والأكثرية التى أصبحت لا تستريح لفكرة الله أى الناس الذين تنحصر عندهم الحقيقة فى حواسهم الخمسة والذين يرون أن الدين خرافات أو خداع للنفس .

* إن العالم الإسلامى إذا لم يرد أن يعيش فى مثل هذه الثقافة الواحدة فعليه أن يبذل جهداً هائلاً لتحقيق إسلام الواحدة فعليه أن يبذل جهداً هائلاً لتحقيق إسلام القرن الـ ٢١ حيث تصبح كلمة الله قانوناً وتزدهر ثانياً حضارة الإسلام لإيجاد

عالم يستخدم فيه المسلمون التكنولوجيا تهذيبها فى الإنسانية ، عالم يصعد فيه المدح والثناء للواحد الأحد ، ولا يستمد فيه الاقتصاد والحصول على أقصى ربح ، وإنما تتحكم فيه متطلبات البشرية المادية والعاطفية والروحية ، وهذا يتطلب تأسيس الفكرة الإسلامية لكى يعود المسلمون بالميلاد مسلمين بالإيمان والفعل ، وتتم عملية الإصلاح فى العالم الإسلامى فى عدة مجالات أبرزها التعليم والتكنولوجيا .



رابعاً : الأمير تشارلز
الإســـلام والعــالـم الغــربى

كان للمحاضرة التى ألقاها الأمير تشارلز ولى عهد بريطانيا فى لفت الانتباه للغربيين ولا سيما النخبة المثقفة التى تهتم بموضوع الحضارات والأديان إلى جانب السياسيين والإعلاميين ، فقد لفتت هذه المحاضرة القيمة أنظار هؤلاء جميعاً إلى حقيقة الإسلام وسماحته وحقيقة موقف المسلمين من العالم الغربى ومن الأديان .

وقد بين الأمير فى محاضرته التى كانت تحت عنوان الإسلام والعالم الغربى إلى أسباب المغالطات التى دفعت ببعض وسائل الإسلام إلى فهم الإسلام على غير حقيقته فإنه يكون بذلك قد وقف موقفاً منصفاً من أمة الإسلام ومن دين الإسلام الحنيف .

وقد قدم الأمير تشارلز المنهج الذى يؤدى إلى فهم أقرب إلى الحقيقة للإسلام وموقفه من أتباع الأديان الأخرى .

يقول الأمير تشارلز :

١ ــ إن المجتمع الإسلامى فى بريطانيا هو فى ازدياد ونمو منذ عشرات السنين وهناك نحو ٥٠٠ جامع فى بريطانيا وأعتقد أن كثيرين منهم يذكرون وقد يكونون أسهموا فى المهرجان الإسلامى الرائع الذى افتتحته جلالة الملكة عام ١٩٧٦ الإسلام هو بيننا وحوالينا ومع ذلك مازال الشك بل الخوف مستمراً ، وفى أعقاب انتهاء الحرب الباردة فى مطلع التسعينات فإن إمكانيات السلام يجب أن تكون أقوى

وأكثر منها فى أى وقت فى هذا القرن ، ففى الشرق الأوسط فإن الأحداث المشجعة الجارية منذ عدة أسابيع قد تسببت فى أمل جديد لنهاية قسمت العالم وكانت مصدراً دراماتيكياً للعنف والكراهية .

ولكن الأخطار لم تغب كلياً ، ففى العالم الإسلامى نشاهد الأساليب المعيشية لعرب الأغوار فى جنوب العراق التى تعود لعدة آلاف من السنين يجرى تدميرها بصورة منتظمة وإننى أعترف أمامكم بأنى منذ أكثر من عام أتحين الفرصة المناسبة لأعرب عن يأسى وغضبى على أعمال العنف والفظائع التى يجرى تنفيذها فى جنوب العراق وأجد السخرية المؤلمة فى ما يلقاه السكان الشيعة فى العراق ، وخاصة فى المدينة الدينية « كربلاء » وهى أنه بعد أن تحاشت قوات الحلفاء الهجوم الجوى على الأماكن هناك .

ـ إننا فى الغرب ننظر فى تاريخنا إلى الإسلام فنراه مصدراً للتهديد ، وفى القرون الوسطى تمثل بالفتوحات العسكرية ، وفى الوقت الحاضر كمصدر لعدم التحول والتطرف والإرهاب .

ويستطيع الإنسان أن يتفهم كيف أن احتلال السلطان محمد للقسطنطينية عام ١٤٥٣ وانهزام الأتراك فى ضواحى فيينا فى ١٥٢٤ ، ١٦٨٣ بعث الرعب فى قلوب حكام أوربا ، أما حكم الأتراك للبلقان فقد قدم المزيد من الأمثلة على الظلم الذى استولى على العالم الغربى .

ولكن التهديد لم يكن وقفاً على طرف واحد إذ عندما غزا نابليون مصر عام ١٧٩٨ وتبع ذلك الغزوات والفتوحات فى القرن التاسع عشر أصبح العالم العربى كله محتلاً من قبل الدول الأوربية وسقوط الإمبراطورية العثمانية ، أصبح الاحتلال الأوربى للعالم الإسلامى كاملاً جامعاً ، هذا النوع من الاحتلال قد انقضت أيامه الآن ، ولكن حتى هذا اليوم فإن رؤيتنا للإسلام هى رؤية ناقصة شوهتها أعمال التطرف غير الطبيعية .

فإننا فى الغرب ننظر إلى الإسلام فى ضوء الحرب المؤلمة فى لبنان وأعمال القتل وتفجير القنابل التى قامت بها الجماعات المتطرفة فى الشرق الأوسط ، والتى تعرف بالأصولية الإسلامية .

لقد تشوه حكمنا على الإسلام لأننا حسبنا التطرف هو الأمر العادى الأساسى وهذا يشابه الحكم على الحياة فى بريطانيا بأعمال القتل والاغتصاب وتعاطى المخدرات .

إن التطرف موجود ويجب معالجته ، ولكن باعتباره الأمر الأساسى فى الحكم على أى مجتمع يؤدى إلى التشوه وافتقار هذا الحكم إلى العدالة .

* كثيرون من الناس هنا ينظرون إلى الشريعة الإسلامية بأنها قاسية وبربرية وغير عادلة ، إن صحفنا قبل الجميع تعشق الخوض فى هذه الأحقاد ، إن الحقيقة هى غير هذا : فهى مختلفة عن هذا التنفكير وأكثر تعقيداً ، إن القاعدة المرشدة وروحانية الشريعة الإسلامية التى ينص عليها القرآن الكريم أساسها الرحمة والعدل .

ويتوجب علينا أن ندرس التطبيق الفعلى لها قبل أن نصدر حكمنا عليها ، كما يجب علينا أن نفرق بين أنظمة العدل التى يجرى تطبيقها ، والتى تخلو من أية عقلانية سياسية وتتحول إلى أسلوب غير إسلامى تماماً كما يجب أن تأخذ أيضاً بعين الاعتبار ، الجدل القائم فى العالم الإسلامى نفسه حول مدى شمولية وديمومة الشريعة الإسلامية والمدى المستمر فى تغيير وتطور تطبيق هذه الشريعة .

* كذلك يجب علينا أن نفرق بين الإسلام الصحيح وبين تصرفات بعض الدول الإسلامية نظرة غربية متحيزة أخرى ، وهى الحكم على وضع المرأة فى المجتمع الإسلامى ، وفى الحالات المتطرفة جداً ، ولكن الإسلام ليس بكيان أحادى متراص ، والوضع ليس بتلك السهولة إذ يجب أن نذكر أن بلاداً إسلامية كتركيا وسورية ومصر قد أعطت المرأة حقوقها منذ أن حصلت المرأة الأوربية على هذه الحقوق وقبل سويسرا حتى فى هذه الأقطار تمتعت المرأة منذ أمد طويل بالمساواة فى الرواتب وفرص العمل فى مجتمعاتها ، كما أن القرآن الكريم قد نص على حقوق المرأة فى الإرث والتملك وشيء من الحماية فى حالات الطلاق والقيام ببعض الأعمال ، وهذا كان قبل أربع عشر قرناً مع أنه لم يجر تطبيقها عملياً فى كل مكان ، ففى بريطانيا كانت بعض هذه الحقوق أموراً جديدة حتى فى أيام جيل جدتى وها نحن نرى (بى نظير بوتو) والبيجوم خالدة ضياء أصبحت كل منهما رئيسة وزراء بلدها فى الوقت الذى انتخبت فيه بريطانيا أول رئيسة وزراء فى تاريخ بريطانيا كله .

إن المرأة أوتوماتيكياً مواطنة من الدرجة الثانية لمجرد أنها تعيش فى بلد إسلامى .

* إننا فى الغـرب نحتاج أيضاً إلى تفهم الرؤية التى يحملها العالم الإسلامى عنا ، إذ لا فائدة هناك بل على العكس هناك الكثير من الضرر إذ رفضنا أن نتفهم الخوف الإسلامى من مادية العالم الغربى والتراث الإسلامى ونوعية حياة المسلمين ، بعضنا قد نعتقد أن المعدات المادية فى المجتمع الغربى التى تقوم بتصديرها إلى العالم الإسلامى كالتليفزيون والوجبات الغذائية السريعة والمعدات الألكترونية التى هى جزء من حياتنا اليومية ، بأنها وسائل تحديث عصرية وتأثير فى حد ذاتها ، ولكننا سنكون ضحية الاستعلاء والاستكبار .

والواقع أن هذه المادية الغربية قد تثير حفيظة المسلمين الطيبين المتدينين .

* فى نفس الوقت يجب ألا تنزلق أفكارنا بالاعتقاد بأن التطرف هو فى بعض الحالات المعلم والجوهر فى الدين الإسلامى ، إذ أن التطرف ليس وقفاً على الإسلام فحسب ، بل موجود فى صلب الأديان الأخرى ، ومنها الدين المسيحى والأغلبية العظمى من المسلمينّ مع أنها متدينة إلا أنهم أيضاً يتبعون الاعتدال فى حياتهم السياسية ، فإن دينهم هو الطريق الوسط ، والرسول ﷺ كره التطرف وأبدى تخوفه من التطرف ولعل التخوف من اليقظة الإسلامية التى شاعت فى الثمانينات بدأت الآن تشق طريقها فى العالم الغربى لتفهم القوى الروحية التى تكمن وراء هذه الانطلاقة .

ولكن إذا شئنا أن نتفهم هذه الحركة المهمة يتوجب علينا أن نفرق بكل وضوح بين ما تؤمن به الغالبية الكبرى من المسلمين وبين أعمال العنف الرهيبة الى تخوضها فئة قليلة والتى يتوجب على الشعوب المتحضرة فى كل مكان أن تستذكرها .

* إذا كان الغرب يسيىء فهم طبيعة الإسلام فهناك مازال جهل كبير حول ما تدين به حضارتنا وثقافتنا للعالم الإسلامى ، إنه نقص نعانيه من دروس التاريخ الضيق الأفق الذى ورثناه ، فالعالم الإسلامى فى القرون الوسطى من آسيا الوسطى إلى شاطئ الأطلسى كان يعج بالعلماء ورجال العلم ولكن بما أننا رأينا فى الإسلام عدواً للغرب وكثقافة غريبة بنظام حياتها ومجتمعها .

لقد تجاهلنا تأثيره الكبير على تاريخنا فلنأخذ مثلاً كيفية تقليلنا من أهمية ٨٠٠ سنة من التراث الإسلامى فى أسبانيا بين القرنين الثامن والخامس عشر ، فلا مفر من الاعتراف بمساهمة أسبانيا الإسلامية فى الحفاظ على الدراسات الكلاسيكية فى العصور المظلمة والانطلاقات الأولية لعصر النهضة .

ولكن أسبانيا المسلمة كانت أكثر من مخزن للحضارة الأغريقية التى انتهجها العالم الغربى المعاصر ، إذ لم تقتصر أسبانيا المسلمة على جمع وحفظ المحتوى الثقافى للمدنيين الإغريقية والرومانية فحسب ولكنها قامت بتفسيرهما والتوسع فيهما وأسهمت من ناحيتها فى الجهد البشرى فى عدة قطاعات فى العلوم والفلك والرياضة والجبر وهى كلمة عربية بحد ذاتها والقانون والتاريخ والطب وعلى المستحضرات الطبية والبصريات والزراعة والهندسة المعمارية والدين والموسيقى وكأمثالهما فى الشرق مثل ابن سينا والرازى ، فإن ابن رشد وابن زهر أسهما فى دراسة الطب وممارسته بأساليب استفادت منها أوربا لعدة قرون فيما بعد .

* لقد دعا الإسلام وحافظ على السعى وراء العلم والمعرفة ، وهناك قول مأثور جاء فيه : إن الحبر الذى يكتب به العلماء لهو أكثر قداسة من دم الشهيد ، ففى القرن العاشر كانت قرطبة أكثر مدن أوربا حضارة ، كانت هناك المكتبات فى أسبانيا يستعير الناس منها الكتب فى الوقت الذى كان فيه الملك الفريد يخبط خبط عشواء فى فن الطهى فى هذه البلاد ويقال إن مكتبة والى قرطبة ضمت ٤٠٠ ألف مجلد وكانت أكبر من مكتبات أورربا كلها مجتمعة وكان ذلك ممكناً لأن العالم الإسلامى عندئذ تمكن من نقل الكفاءات والقدرات الصينية فى صنع الورق وسبقوا بذلك أوربا غير المسلمة بمدة ٤٠٠ سنة وكثيرة هى السمات واللمسات التى تعتز بها أوربا الحالية التى هى فعلاً مقتبسة من أسبانيا المسلمة الدبلوماسية والتجارة الحرة والحدود المفتوحة وأساليب البحوث الأكاديمية فى علم أصل الإنسان والإيتكيت والإرثاء والأدوية البديلة والمستشفيات فكل هذه وصلتنا من هذه المدينة العظيمة ، وكان الإسلام فى القرون الوسطى معروفاً بالحلم والتسامح عندما كان يسمح لليهود والمسيحيين بممارسة شعائرهم الدينية واضعاً بذلك مثالاً لم يتعلمه الغرب لسوء الحظ ولعدة قرون.

* إن الأمر العجيب هو وجود الإسلام فى أوربا كجزء منها منذ أمد طويل ، أولاً فى أسبانيا ثم البلقان وكذلك مساهمته فى حضارتنا التى كثيراً ما نعتقد خطأ بأنها حضارة غربية كلياً ، أن الإسلام جزء من ماضينا ، ومن حاضرنا فى جميع ميادين الجهد البشرى ، لقد ساعد الإسلام على تكوين أوربا المعاصرة فهو جزء من تراثنا وليس شيئاً مستقلاً بعيداً عنا .

وأكثر من ذلك فالإسلام يستطيع أن يعلمنا اليوم كيف نفهم وكيف نعيش فى عالمنا المسيحى الذى يفتقر إلى المسيحية التى نفقدها ، فالإسلام فى جوهره يحتفظ بنظرة مدمجة ويرفض أن يفصل بين الإنسان والطبيعة ، أو بين الدين والعلم ، أو بين العقل والمادة ، كما حافظ على وجهة نظر ميتافيزيقية موحدة للإنسان والعالم الذى يحيط بنا .

وفى جوهر المسيحية مازال هناك نظرة مدمجة لقداسة العالم وشعور صاف بالمسئولية والأمانة التى أوكلت إلينا الحفاظ على الطبيعة التى تحيط بنا .

ولكن الغرب بدأ يفقد رؤياه تدريجياً بقدوم العلماء أمثال كوبرنيكوس وديكارت وانطلاقة الثورة العلمية ولم تعد الفلسفة الشمولية للطبيعة جزءاً من اعتقادنا اليومى ولو استطعنا أن نكتشف مرة ثانية الأسلوب المعيشى السابق الشامل للعالم المحيط بنا ، وأن نشاهد ونلمس ونقيم معناها الحقيقى لبدأنا فى العالم الغربى أن نبتعد عن الاعتماد على العيش على القشور السطحية لما يحيط بنا ونبدأ بدراسة عالمنا لتطويعه والسيطرة عليه وإعادة التناغم والانسجام والجمال إلى حياتنا .

أننى أعتقد أنه من المؤسف أن العالم الخارجى الذى أوجدناه فى مئات السنوات الأخيرة أصبح يعكس بعض الانقسام الذى نعيش فيه فى داخل بلادنا ، فقد أراد تمسك الحضارة الغربية بالتملك والاستغلال المادى متحدية بذلك الالتزامات المفروضة علينا تجاه البيئة التى نعيش فيها ونستطيع أن نتعلم عن الإسلام الشعور بأهمية الخصائص الروحية لهذا العالم الذى يحيط بنا .

إنى أطالب بتفهم أعمق وأكثر شمولية لعالمنا وأن نوجد بعداً ميتافيزيقياً ومادياً لحياتنا لنعيد عملية الاتزان التى فقدناها والتى أعتقد أن انعدامها سيكون مصيبة

كبرى على المدى البعيد ، فإذا كانت أساليب الفكر والتفكير الموجودة فى الإسلام وفى غيره من الأديان تستطيع أن تساعدنا فى هذا المسعى عندئذ تكون هذه الأشياء هى التى يجب أن نتعلمها والتى أعتقد أن تجاهلنا إياها سيكون وبالاً علينا .

إننا نعيش اليوم فى عالم واحد ، ومشكلات المجتمع هى حالات دولية بأسبابها وتأثيرها ، ولا يملك أحد منا القدرة على حلها بنفسه .

فالعالمان الإسلامى والغربى شركاء فى مشكلات مشتركة نواجهها ؛كيف مثلاً نتكيف مع التغيرات فى مجتمعاتنا وكيف نساعد الجيل الثانى على مواجهة مستقبله بعد أن أصبح منعزلاً عن عائلته وقيم المجتمع الذى يعيشون فيه ، وكيف نواجه متطلبات مرض الإيدز والمخدرات والتفكك العائلى ، وطبيعى أن تختلف هذه المشكلات عن طبيعتها وحجمها بين مجتمع وآخر .

* إنى مقتنع تمام الاقتناع إن العالمين الإسلامى والغربى يستطيعان أن يتعلما الكثير ، كل من الآخر وكما هو الحال فإننا نجد مهندس نفط أوربياً يعمل فى الخليج كذلك نجد أن جراح عمليات القلب فى بريطانيا هو جراح مصرى ، إذا كانت الحاجة إلى التسامح والتبادل هى حقاً رغبة عالمية فيجب أن نقوم عندئذ بتنفيذها بقوة خاصة فى بريطانيا نفسها فقد أصبحت بريطانيا اليوم مجتمعاً متعدد الأجناس والثقافات ، لقد ذكرت عدد المسلمين الذين يقيمون فى بريطانيا فى المدن الكبيرة مثل برادفورد أو مجتمعات صغيرة نائية مثل (ستون أوى) .

ومن الطبيعى التسامح والتحمل والتفهم يجب أن يكون باتجاهين ، وهذا يعنى أننا نحن غير المسلمين بأن نحترم المشاعر الإسلامية اليومية ونتفادى أى عمل قد يثير الاستياء ، وأقول للمسلمين فى مجتمعنا بأن الحاجة تستدعى منهم احترام تاريخ وثقافة بلدنا وطريقتنا المعيشية وأن يشعروا بأهمية وتقدير الاندماج فى مجتمعنا وحينما يوجد قصور و إخفاق فى التفاهم فإننا نحتاج إلى قدر أكبر من المصالحة من مواطنى هذا البلد .



خامساً : السيدة أنّا مارى شيمل

الدفاع عن الإسلام ودحض أوهام الغرب عن الإسلام

دعاها الدكتور ستير شولس عميد كلية الصحافة والإعلام فى مدينة لوزان بسويسرا إلى محاضرة فى لوزان أواخر شهر نوفمبر ١٩٩٥ ملخصها فى عشرة أسئلة :

س : يدعى كثير من الغربيين أن الإسلام يضطهد المرأة ما حكمكم فى هذا الادعاء ؟

ج : هذه بالطبع فكرة خاطئة تحوم فى العالم الغربى منذ عقود بل منذ قرون طويلة والأكثر من ذلك أن هناك من الغربيين من يعتقد بأن المرأة فى الإسلام هى بلا روح ولا نفس ، ولدحض هذه المزاعم الكاذبة ليس علينا إلا الرجوع إلى القرآن الكريم لنرى كيف ساوى الإسلام بين المؤمنين والمؤمنات وبين المسلمين والمسلمات، ولم يفرق بين الذكر والأنثى فى الفرائض الدينية ، وقد تكون مصدر هذا الادعاء هو وجود بعض التقصيرات الظاهرية فى حقوق المرأة فى الفكر الإسلامى مثل ميراث البنت الذى لايزيد عن نصف ميراث الابن بيد أن ذلك له سبب عملى ، حيث تفرض بطبيعة الحال حصولها على مهر مناسب عند زواجها ، وأن زوجها هو الذى يعولها ، وهناك أيضاً مشكلة تعدد الزوجات المشار إليها فى القرآن :

﴿ فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع ﴾ [النساء : ٣] .

وليس هذا فرضاً أو أمراً ولكنه إذن أو سماح قد أعطى للمسلمين فى وقت الحرب ، حيثما تأرملت مسلمات كثيرات بفقدانهن أزواجهن فى المعارك والغزوات وفضلاً عن ذلك فالرجل فى الجاهلية كان يحق له أن يتزوج بعدد غير محدود من النساء ، حتى جاء الإسلام وحدد عدد الزوجات بأربع ، كذلك فقد اشترط الإسلام على الرجل أن يعدل بين أزواجه ولا يميز أو يفضل إحداهن على الأخرى .

وهو ما جعل زعماء الإصلاح فى الإسلام يشيرون إلى أن نظام الزوجة الواحدة أفضل من تعدد الزوجات ، فمن من الرجال بوسعه أن يعدل فى أحاسيسه بين أربع زوجات ، وهذا شىء منطقى فالرجل يمكنه أن يشترى لكل زوجة بيتاً أو ثوباً جديداً فى وقت واحد ، ولكنه لن يستطيع أن يعدل فى مشاعره وأحاسيسه تجاههن .

ومن هنا استنتج المصلحون فى الإسلام أن القرآن يشير ضمناً إلى أن نظام الزوجة الواحدة هو الأفضل .

لابد أن أذكر هنا فى هذا المقام أن القرآن يحتوى على الكثير من هذه الآيات التى نزلت فى سياق تاريخى معين ، وهنا ينبغى مراعاة أسباب التنزيل حتى يمكن فهم هذه الآيات فهماً صحيحاً .

أما الحجاب فقد قال القرآن الكريم عنه :

﴿ وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو إخوانهن أو بنى إخوانهن أو بنى أخواتهن أو نسائهن أو ما ملكت أيمانهن أو التابعين غير أولى الإربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون ﴾ [النور : ٣١] .

والمشكلة هنا أنه لا يوجد اتفاق أو إجماع على تحديد المقصود وبلفظ (زينة) بيد أن الحجاب أو غطاء الرأس كان الهدف الأصلى منه حماية وتمييز نساء الرسول صلى الله عليه وسلم وحرائر المسلمين عن الإماء والجوارى لأن الجوارى والإماء وغيرهن من نساء الطبقات المتواضعة كن لا يرتدين إلا أخف الثياب ومع مرور الوقت وبتأثير الحضارة الفارسية بالتراث تم فرض الحجاب أو التغطية الشاملة على المرأة .

لكن عزل المرأة فى الإسلام لم يحدث إلا كنتيجة لتطورات سياسية واجتماعية، وقد نجد بعض الآيات التى تشير إلى ذلك ، ولكن القرآن لم يأمر مطلقاً بعزل المرأة أو إبعادها عن كافة أنشطة المجتمع ، وبهذه الطريقة تطورت أفكار كثيرة لا وجود لها فى القرآن أصلاً ، ليس فقط فيما يختص بحقوق المرأة وأوضاعها ، ولكن أيضاً فى مجالات أخرى ، وذلك عن طريق التفسير الشعبى الساذج للقرآن وجمود العادات وتأثير الحضارات الأجنبية .

وفى الهند مثلاً وتحت تأثير الهندوسية لم يكن مسموحاً لأرامل المسلمين

بالزواج مرة أخرى ، ولكن مسلمى الهند بدأوا يحاربون مثل هذه التيارات الأجنبية ، كل هذه الأمور ينبغى رؤيتها من منظور تاريخى ، إننى أقول دائماً للغربيين الذين يشوهون صورة الإسلام : إن الإسلام قد منح المرأة حق الاحتفاظ بما كانت تملكه قبل زواجها ، وكذلك بما تكسبه أثناء زواجها .

وهذا يتضمن أن لها الحق فى ممارسة أى مهنة أو تجارة ، والمرأة فى أوربا لم تتوصل إلى حق الاحتفاظ بما تملكه بعد زواجها إلا منذ وقت قريب .

وما يثير إعجابى بصورة خاصة كمؤرخة أديان : هو الآية (١٨٧) من سورة البقرة : ﴿ **هن لباس لكم وأنتم لباس لهن** ﴾ واللباس كما يعنى الذات الأخرى أو النفس الأخرى وبذلك يكون معنى هذه الآية : أن الرجل والمرأة يكمل بعضهما بعضاً وإن كلاً منهما هو النصف الأفضل للآخر .

أعتقد أنه ينبغى تسليط المزيد من الضوء على هذه الآية عند الحديث عن مكانة المرأة فى الإسلام لأن هذه الآية تساوى بالفعل بين الرجل والمرأة .

العقيدة الإسلامية :

س : من أوهام الغرب عن الإسلام الادعاء بأن العقيدة الإسلامية هى عقيدة منحرفة وتحريف متعمد للحقائق ؛ ماذا يقولون عن هذا التشويه ؟

ج : هذا اتهام خاطىء وجهه مسيحيو القرون الوسطى إلى الإسلام ، فمسيحيو العصور الوسطى اعتبروا الإسلام هرطقة مسيحية ، بل إن بعض الأساطير فى القرون الوسطى تحكى أن محمداً كان كاردينالاً استاء لعدم تعيينه بابا فقام بالانفصال عن الكنيسة وأسس ديانة جديدة ، هذه الروايات موجودة فى كتابات القرون الوسطى ، ولا غرو أن يتسم ردود فعل مسيحى القرون الوسطى على هذه الهرطقة المزعومة بالذعر والفزع لأنهم كانوا يعتقدون أنه لا يمكن أن تأتى ديانة أخرى جديدة بعد المسيحية وهذا الرأى مازال شائعاً فى كثير من الأوساط المسيحية حتى يومنا هذا .

وحتى أدولف فون هارناك (عالم أديان بروتستنتى توفى ١٩٣٠) الذى يكاد أن يكون معاصراً لنا لم يعرف الإسلام واعتبره نوعاً من الهرطقة المسيحية وسعا إلى الطعن فيه فى شتى المناسبات ، فهذه الأفكار من ميراث القرون الوسطى ، ومن

المؤسف أن مثل هذه التصورات الخاطئة تبقى لوقت طويل فى ذاكرة الأفراد ، بل فى (اللاوعى الجماعى) أو اللاشعور الصناعى أو اللاشعور الجماعى للأمة حيث يتم إحياؤها فى الوقت المناسب .

بحد السيف :

س : ما حكمك فى القول بأن الإسلام هو دين النار والحديد ؟

ج : هذا ادعاء نعرفه جيداً وهو أيضاً شائع جداً فى الغرب حيث يقولون : إن الإسلام لم ينتشر إلا بحد السيف ، ولكن الغربيين يتجاهلون هنا حقيقة ثابتة هى أن جميع الأديان قد استخدمت النار والحديد فى حروبها الدينية ، بما فى ذلك المسيحية ، بيد أننا نستطيع أن نقول من حيث المبدأ : إن الفتوحات الإسلامية التى تمت بحد السيف كانت أسبابها ودوافعها سياسية بحتة ، ولم تحدث لتوسيع رقعة الإسلام كديانة ، ونأخذ على سبيل المثال : القائد الإسلامى الكبير تيمور (توفى ١٤٠٥م) فى القرن الرابع عشر الميلادى ، فما دمره هذا القائد من دول إخوانه المسلمين من الفرس والعرب والأتراك لم يفعله فى سبيل الإسلام ولكن من أجل تدعيم سلطته ومركزه .

ومثل هذه الأحداث وخاصة فتوحات تيمور التى كان لها أثر بعيد فى أوربا ساهمت فى تثبيت وتأصيل فكرة (النار والحديد) بيد أنه فى حالة العصور المبكرة لشبه القارة الهندية أو ماليزيا ، أو غرب أفريقيا لم ينتشر الإسلام بحد السيف ، بل عن طريق الصوفيين الذين بسطوا لتلك الشعوب العقيدة الإسلامية فجذبوها إليها كما أشار إلى ذلك سير توماس أرنولد قبل قرن من الزمان .

ونأخذ الهند كمثال لذلك فمتصوفوا الهند قد أسسوا (مضايفهم) أو ما يسمى عواتق أو خانكاهات أو خانقاوات التى كان بها مطابخ مفتوحة لعامة الناس مثلما نعرفه عن الكثير من الأديرة المسيحية ، فإطعام المساكين والفقراء هو جزء لا يتجزأ من العقيدة الإسلامية ونحن نعلم أن الديانة الهندوسية تفرق بشدة بين طبقات الشعب ، بحيث لم يكن مسموحاً لأحد بتناول الطعام مع أفراد طبقة أخرى ، أما هذه المضايف أو الخوانق الصوفية فكانت أبوابها مفتوحة أمام الفقراء حيث كانوا

يتناولون طعامهم هناك مع الآخرين ، دون تفرقة أو تمييز .

روى أحد زملائى الباحثين أنه عن طريق هذه المطابخ المفتوحة ، دخل كثير من الهندوس فى الإسلام .

وكانت هذه وسيلة عملية أكثر منها دينية لنشر الإسلام وبهذه الطريقة حصل الفقراء على بعض ما يقتاتون به واندمجوا فى مجتمع يعنى بشئونهم ويرفق بحالهم ولم تكن هذه هى المرةالوحيدة التى أدت فيها هذه الممارسات العملية دوراً حاسماً فى عملية انجذاب الأفراد إلى الإسلام ودعوتهم فيه .

بيد أن فكرة النار والحديد قد ازدادت تأصلاً من خلال الحروب السياسية مثل الفتوحات العربية السريعة فى شمال أفريقيا فى القرن السابع الميلادى من ناحية ، ومن ناحية أخرى وأعتقد أن هذا حدث مهم بالنسبة لوسط أوربا من خلال فتوحات العثمانيين فى البلقان ثم حصار فيينا سنة ١٥٢٩م وكثيراً مايراودنى شعور بأن هذا الحديث بمثل فى الواقع مسألة حساسة جداً فى علاقة أوربا بالإسلام وهذا ينطبق فى المقام الأول على ألمانيا والنمسا .

فإذا رجعنا إلى الكتابات الغربية فى أوربا الألمانية فى الفترة ما بين عام ١٥٢٩م وسنة ١٦٨٣م أسنرى كيف أن حصار فيينا هذا قد صمم الأوربيين بشدة ومنذ ذلك الوقت سعى الغربيون إلى إلصاق كل ماهو سلبى وقبيح بالأتراك والمسلمين وأحياناً يراودنى إحساس ـ وقد يكون هذا إحساسى الشخصى بأن هذا الخوف الغريب من فتح الأتراك لفيينا مازال مسيطراً على الألمان بطريقة علمية دقيقة ، حيث يظهر ذلك بوضوح من خلال سلوكهم تجاه العمال الأتراك فى ألمانيا وقد يجهل الألمان هذه الحقيقة ولكن حصار فيينا هذا كان يمثل صدمة شديدة للأوربيين مازالوا يسترجعون ذكرياتها حتى يومنا هذا فى ظروف مختلفة تماماً عن ذلك الوقت .

والواقع أن هذا شيء مؤسف حقاً إذا أخذنا بعين الاعتبار أن الأتراك على مر القرون ـ على الأقل من بداية القرن السابع عشر ـ كانوا من أقرب أصدقاء ألمانيا الحميمين وكان لفظ ألمانى يمثل بالنسبة لهم أعز وأجمل كلمة فى الوجود ويحزننى جداً أن أرى بعد ذلك السلوك السلبى للألمان تجاه الأتراك فى الكثير من الحالات وكثيراً ما تحدثت مع عمال أتراك بسطاء كانوا على غاية التأثر والإحباط

من المعاملة غير المثالية التى يلاقونها من الشعب الذى كان بالنسبة لهم هو الشعب المثالى .

س : ماهو تقييمك لادعاء بعض الغربيين بأن الإسلام هو دين الشهوات ؟

ج : يعود هذا القول إلى الترجمات الأوربية فى القرون الوسطى لبعض الآيات القرآنية التى تصف الجنة كحديقة كبيرة للشهوات الحبيبة مملؤة بالحور العين وشتى أصناف المتع الجسمانية .

وقد صدقت هذه الترجمات فى المقام الأول لأوساط المسيحية المنتكسة فى العصور الوسطى إلى حد بعيد ، كذلك فإن هذه الأوساط قد صدمها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن أعزب مثل المسيح عليه السلام ، ولكن مارس حياة زوجية طبيعية ، وكان المتدينون من مسيحيى القرون الوسطى يعتبرون مثل هذه الأمور غير لائقة بالإنسان الكامل المؤمن المحب لله ، ناهيك بالطبع عن نبى مرسل .

وقد ساهم هذان العاملان فى نشر صورة الإسلام (الشهوانى) فى القرون الوسطى وحتى عصرنا هذا ، وبعد نشر أول ترجمة فرنسية (ألف ليلة وليلة) بقلم جالان فى القرن ١٨ ، ساهم الجو الخيالى لهذه القصص فى نشر صورة الإسلام الشهوانى أيضاً فى الكتابات والفنون الغربية ويظهر ذلك بجلاء فى الفنون التشكيلية الخاصة بالقرن التاسع عشر من خلال كيفية تصوير المرأة الشرقية والحريم وخلافه .

وهناك مراجع أوربية كثيرة عن صورة الشرق فى هذه الفنون الغربية والتى أبرزت بصورة خاصة المناظر الحسية الشهوانية ، التى لم يرها الرسامون فى معظم الأحوال على الإطلاق ولكنهم أطلقوا العنان لخيالهم فى تصورها وكثير من المناظر التى لم يكن مسموحاً لهم برسمها فى لوحات تعبر عن البيئة الأوربية ورسموها فى لوحات صوروا بها الشرق الإسلامى فصارت بذلك محلة غير مجرمة ولا شك أن هذا قد ساهم بدور فعال فى تثبيت ونشر صورة الإسلام الشهوانى فى الغرب ولعلى هنا أتفق مع إدوارد سعيد وآخرين بأن هذه الرسومات قد شوهت صورة الإسلام فى الغرب ، وأعتقد أنه لا يوجد شىء سلبى لم يلصقه الغربيون بالإسلام .

حقوق الإنسان :

س : يدعى بعض الغربيين أنه لا يوجد فى الإسلام شيء اسمه (حقوق الإنسان) وأن الإنسان فى الإسلام عليه واجبات فقط وليس له حقوق ، ما قولك فى هذا الادعاء ؟

ج : هذا هراء لم أفهمه أبداً ، فحقوق الإنسان موجودة فى الإسلام مثل وجودها فى الأديان والمجتمعات الأخرى مع اختلاف واحد هو أن ولاء المسلم يكون فى المقام الأول للبارئ تعالى ، لأنه تعالى هو الخالق المبدع ، وفى الآية السبعين من سورة الإسراء يقول الله تبارك وتعالى : ﴿ **ولقد كرمنا بنى آدم** ﴾ [الإسراء : ٧٠] أى الإنسان له مكانة خاصة فى هذا الكون ، وفى الآية الثانية والسبعون من سورة الأحزاب يقول سبحانه وتعالى : ﴿ **إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولاً** ﴾ [الأحزاب : ٧٢] ، ولكنه حمل هذه الأمانة التى رفضتها جميع المخلوقات الأخرى بما فيها الجبال .

وقد تميز الإنسان عن بقية مخلوقات الله بقبول هذه الأمانة التى قد تكون العقل أو الحب أو الطاعة ، وهذا يضعه فوق جميع المخلوقات والحقوق التى يتمتع بها الإنسان لا يمكن أن تكون طاعة مطلقة بلا حدود بل هى محددة دائماً بعلاقته بالله تعالى ، والإسلام يقول إن من آمن بالله تعالى فلا بد أيضاً أن يراعى ويحترم ويصون حقوق الآخرين .

والقرآن يشرح لنا بدقة مسئولية الإنسان وواجباته تجاه الآخرين وتجاه المجتمع ، ومن هنا نستطيع أن نقول : إن الإسلام يتمتع يقيناً بحقوق محددة واضحة ، ولكنها مصاغة بطريقة مختلفة (وفى سياق مختلف عن سياق أو أسلوب صياغتها فى الغرب بعد عصر التنوير حيث إن الغرب قد فقد صلته بالله إلى حد بعيد واستبعدها من قوانينه .

س : يتهم بعض الغربيين المسلمين بمعاداة الغرب فما حقيقة هذا الاتهام ؟

ج : هذا صحيح جزئياً فقط لأن المسلمين عانوا طويلاً نير الاستعمار الغربى فى القرنين الماضيين ، فالمسلمون على سبيل المثال أصابهم الفزع الشديد عند ما جاء إليهم المبشرون الإنجليز ، وسعوا سعياً حثيثاً لتشكيكهم فى إسلامهم حيث

أبلغوهم أنهم بشر من الدرجة الثانية ولدينا مؤلفات كثيرة لكتاب إنجليز وهنود تعالج هذا الموضوع ، وتنقل محاورات المبشرين المسيحيين مع مسلمى الهند والتى كانت فى الغالب مفزعة ، وأحاسيس الاستياء والاشمئزاز والكراهية تجاه الاستعمار وتجاه التبشير المسيحى يمكن أن تدنسها بقوة لدى مسلمى الهند بالذات ، ولكن هذا ينطبق أيضاً على بقية الشعوب الإسلامية .

ثمة نوع من الخوف اليوم من التكنولوجيا الحديثة والتصنيع وأسلوب الحياة الأمريكى والاستياء والكراهية هنا موجهان عند الجوانب السلبية أو ما يعتبره المسلمون جوانب سلبية مثل المبالغة فى التحديث والمبالغة فى التغريب ومثل الإباحة العصبية وما شابهها وردود فعل المسلمين تجاه هذه الجوانب السلبية يتسم بالوضوح والحساسية ، والخطر الأكبر الذى يكمن هنا ــ وهذا ما ينبغى ذكره دائماً ــ هو بالطبع أن المسلمين برفضهم مثل هذه المظاهر الخارجية للحضارة الغربية ، وهى بالمناسبة مظاهر سلبية يرفضها كثير من الغربيين أنفسهم ، ينسون أن بوسعهم أن يتعلموا الكثير من الغرب مثل الدقة العلمية والتكنولوجيا الحديثة ومناهج البحث العلمى .

لقد قال محمد إقبال ومصلحون مسلمون آخرون : إنه من الممكن بل من المحبذ أن يظل المرء مسلماً وأنه يمكنه أن يبقى مسلماً ، وفى الوقت الذى يقتنى فيه العلوم والتكنولوجيا الغربية .

وهذا فى رأيى موقف إيجابى جداً ولكن قصر النظر الذى يؤدى إلى رؤية الجوانب السلبية فقط ، يقود لا محالة إلى أحكام خاطئة وتصورات مشوهة من الغرب تماماً مثل تصورات الغرب المشوهة عن الإسلام ، والمشكلة هنا فى رأيى هى مشكلة جهل أو مشكلة أخذ الجوانب السلبية التى تظهر على السطح واعتبارها ممثلة لكل الحضارة دون التطرق إلى الجوانب الإيجابية الأخرى واستبعاد إمكانية التفاهم .

★ ★ ★

مصطلح جهاد وحرب مقدسة :

س : ماحكمك فى ترجمة الغربيين للفظ (جهاد) و (الحرب المقدسة) ؟

ج : لفظ الحرب المقدسة هو لفظ مسيحى مرتبط بالحروب الصليبية فى المقام الأول ولا علاقة له بالإسلام من قريب أو بعيد ، وترجمة لفظ (جهاد) بلفظ (الحرب المقدسة) هى ترجمة ركيكة تزعجنى وتضايقنى منذ عقود طويلة .

ولكن ما يحزننى أكبر هو أن بعض المسلمين قد صاروا هم أيضاً يتحدثون عن الحرب المقدسة وأشياء متشابهة ، والواقع أن المعنى الأصلى للفظ (جهاد) لا علاقة له بالحرب ناهيك بالطبع أن تكون حرباً مقدسة ، والفعل جاهد معناه (تعب واجتهد وبذل طاقته) ولفظ جهاد يعنى الكد والتعب فى سبيل تحقيق هدف معين، والجهاد فى سبيل الله هو : الاجتهاد والعمل والكفاح فى سبيل الله ، وقد يضمن هذا محاربة الكفرة .

وكان أحد زملائى فى جامعة هارفارد ، وهو أستاذ مسلم يواجه هذا السؤال بصورة شبه مستديمة من الطلبة : ما الجهاد ، هل هو الحرب المقدسة ؟ وكان يردد قائلاً الجهاد لا علاقة له بالحرب المقدسة إنه يعنى ببساطة : الكد والعمل والكفاح فى سبيل تحقيق هدف معين .

س : يتحدث بعض الغربيين عن الإسلام بطريقة تعميمية غريبة توحى بأنه لا يوجد إلا فكر واحد أو اتجاه واحد فى الإسلام ، أو إسلام واحد فما حكمك فى هذا الوهم ؟

ج : القول بأنه لا يوجد إلا إسلام واحد هو قول خاطىء من أساسه فالإسلام مثله مثل المسيحية يشتمل على تيارات متباينة واتجاهات متعددة ـ لاختلافات شديدة بين الكنيسة الأرثوذكسية الروسية والكنائس الأمريكية الحرة ، أما أصل الإسلام فهو واحد : هذه حقيقة لا جدال فيها فالمسلمون جميعاً يؤمنون بأنه لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، بيد أن كل الأمور الأخرى تتنوع بتنوع الثقافات الإسلامية ، ونأخذ الجماعات الصوفية التى تخاطب شتى طبقات المجتمع ، كمثال على هذه الاختلافات ، فالطريقة الصوفية التى تتكون فى شمال إفريقيا أو نيجيريا تختلف كل

الاختلاف عن مثيلتها فى الهند أو أندونيسيا نظراً لتباين الأجناس واختلاف الخلفيات التاريخية وتشعب الثقافات باختصار ، الأساس واحد لا خلاف فيه ولكن الفروع تتنوع بتنوع الشعوب والأجناس والثقافات .

فالمسلمون فى الصين وإفريقيا تجمعهم أصول عقائدية مشتركة ، ولكن فى مجال الفكر والفلسفة هناك خلافات كبيرة بينهم تماماً مثل الخلافات الفلسفية والعقائدية الموجودة فى الديانة المسيحية .

وحتى الأشعار الدينية فى شتى دول العالم الإسلامى ، وتأخذ مثلاً قصائد مدح الرسول ﷺ فهى وإن كانت متشابهة فى مضمونها وجوهرها فإنها تختلف فى تفاصيلها وفى طابعها المحلى .

إن كثرة المذاهب والتيارات فى الإسلام تشبه شجرة ، لها جذر واحد ضخم ولكن فروعها كثيرة متشابكة ، وكل هذه الفروع مهما كثرت تنتمى إلى الشجرة نفسها ، ولكن لكل فرع حياته الخاصة ، وتستطيع أن تدرس هذه الفروع ولكن لا يمكننا فصلها عن الشجرة الأم ، والفرع الذى ينمو فى الشمس يختلف عن ذاك الذى ينمو فى الظل ، وكلاهما يحمل أوراقاً تتباين فى أحجامها وأشكالها ، فثمة تنوع هائل فى الإسلام وهذا بالذات هو ما يعطى الإسلام جاذبية شديدة أى تنوع الواحد أو تنوع الوحدة الذى تلاحظه أيضاً بجلاء فى الفن الإسلامى ، وإذا أخذنا فن الخط العربى وهو محور الفنون الإسلامية كمثال هنا ـ سنجد الشكل الكلاسيكى الذى تطور على مدى العصور ، ولكن إذا ما قارنا قرآناً مكتوباً فى نيجيريا بآخر مكتوب فى الصين مثلاً فنحن وإن كنا سنتمكن من تمييز الحروف وقراءتها فى القرآنين إلا أننا سنلاحظ اختلاف الخط الذى يعكس ظروف البيئة والمجتمع والشىء نفسه ينطبق على الاتجاهات الدينية والفلسفية والعقائدية فى الإسلام.

وبرغم ذلك فقد حدث مؤخراً نوع من التوحيد فى مناطق كثيرة خاصة فى إفريقيا ، لأن الدعاة المصريين هناك اجتهدوا فى نشر عقيدة موحدة ، كل هذه الأمور ينبغى فهمها جيداً ، ولكن بصفة عامة أعتقد أن نوع الوحدة هذا الخاص بمجال العقائد يمنح الإسلام جاذبية شديدة ، وأود هنا أن أستشهد ببيت من الشعر السندى

من القرن السادس عشر ، يتحدث فيه أول شاعر سندى كبير عن الله تعالى مشبهاً إياه بشجرة التين الهندى ، فتلك الشجرة لها مئات من الجذور الهوائية التى تنمو فوق سطح الأرض ، وهى رغم ضخامتها ليس لها إلا أصل واحد والشاعر هنا يشبه البارى تعالى ومخلوقاته بشجرة التين الهندى هذه التى تبدو كأنها غابة كثيفة برغم كونها شجرة واحدة وهذا التشبيه الجميل ينطبق تماماً على الإسلام ، فالإسلام هو وحدة واحدة ولكن هذه الوحدة تتشعب منها مئات من الجذور المتشابكة .

س : ما حكمك فى اتهام بعض الغربيين الإسلام بمعاداة العالم ؟

ج : لدحض هذا الزعم ليس علينا إلا الرجوع إلى الفلسفة الإسلامية فى القرون الوسطى وكذلك ـ وهذا هو الأهم ـ إلى اتهامات الغرب العلمية ، فالحقيقة التى لا مراء فيها هى أن العرب قد وضعوا أسس العلوم الطبيعية فى أوربا ، فقد كانت هذه العلوم تدرس فى جامعات أوربا حتى عصر النهضة خاصة تلك المؤلفات الخاصة بطب العيون ، ناهيك بالطبع عن المصنفات الرياضية والكتابات الخاصة بعلم الفلك وعلم التنجيم ، والرأى القائل بأن الإسلام يعادى العلم ، المقصود منه فى الغالب العصور المتأخرة إلى ما بعد عام ١٢٥٨م بعد تدمير المغول لبغداد ولكن العلماء العرب فى عصرنا هذا ـ مثل جورج صليب فى نيويورك مثلاً ـ قد أثبتوا مقدرتهم على مجاراة العصر فى هذه العلوم وكذلك سجل السيوطى المتوفى ١٥٠٥م ملاحظات علمية مدهشة ناهيك عن مسلمى الهند ووسط آسيا .

ولنذكر المرصد الذى أسسه (آولوغ بيك ـ ابن تيمور) فى القرن الخامس عشر الميلادى فى سمرقند ، أو الإسهامات العلمية لمسلمى الهند فى القرون المتأخرة أو الأنشطة العلمية للمسلمين فى الدولة العثمانية ، قد لا تكون هذه ابتكارات أو اكتشافات علمية ضخمة فى ذلك النوع الذى عرفته أوربا بعد عصر النهضة ، ولكنها كانت برغم ذلك إسهامات تستحق الذكر والتنويه .

وبالطبع يدور الجدل حول لفظ (علم) الذى كان يعنى فيها علوم القرآن فحسب ولكن لفظ (علوم) شمل بقية ميادين المعرفة .

والعلماء المسلمون المحدثون يساهمون بأنشطتهم فى جميع حقول المعرفة ، ولا ينبغى أن ننسى أن هناك عالماً مسلماً قد فاز بجائزة نوبل فى الفيزياء وهو البروفسور عبد السلام الباكستانى الجنسية ولا يصح أن نعتقد أن عصور التخلف

والانحطاط فى العالم الإسلامى قد امتدت قروناً طويلة ، فالتخلف فى العالم الإسلامى ظاهرة أعقبت الازدهار والتقدم ، وإذا بحثنا فى ظاهرة التخلف والانحطاط بطريقة جادة وعميقة واقتفينا أسباب هذه الظاهرة التى أدت إلى الزعم بأن الإسلام يعادى العلم فسوف نخرج بالكثير من الاكتشافات .

إن الجمود الذى يعيشه المسلمون اليوم والذى جعلهم لايأخذون من الإسلام إلا قشوره ، هو ظاهرة غريبة عن الإسلام ، وهو تطور يتنافى مع الروح الديناميكية للإسلام التى تسعى إلى التطوير والابتكار .

وإذا قرأت كتاب محمد إقبال (ست محاضرات فى إعادة بناء الفكر الدينى فى الإسلام) سترى كيف يمزج إقبال بمهارة فائقة بين الفلسفة الأوربية والفلسفة الإسلامية وعلم الكلام والعلوم الحديثة فى بناء واحد يحث المسلمين من خلاله على المشاركة بإسهاماتهم فى جميع فروع العلم ، أعتقد أن هذه خطوة كبيرة على الطريق الصحيح .

نقول : الدكتورة أنا مارى شميل حصلت على أربع دكتوراة فخرية وترجمت كتب المسلمين وأشعارهم بحب ودقة لا مثيل لها وما زالت تعمل فى ميدان الفكر الإسلامى منذ عام ١٩٤٣م بعد أن تعلمت اللغة العربية وصدرت أطروحتها الأولى (الخليفة والقاضى فى القرون الوسطى المتأخرة) ومازالت حتى الآن تجوب البلاد حاملة رسالتها الإسلامية ، وهى ماتزال على دينها المسيحى .



تحرير أفغانستان وسقوط الشيوعية :

الحقيقة التى يجب أن تذكر للتاريخ أننا تحركنا فى أفغانستان منذ مدة طويلة وكنا نفهم ما يدور حولنا ونحاول أن نستجيب للتحديات ، وبينما كان البعض من العلماء المسلمين الرسميين عندنا يمهدون إلى تبرير الأوضاع الفاسدة ، ويناصرون حكم الشاه الأفغانى ، وينسبون للجهلاء بأنه حكم إسلامى يقوم على نظام إسلامى.

وكنا نهيىء الرأى العام فى أفغانستان لليوم الفصل ، ونحيط الجهود الانهزامية، ولذلك فإن الحركة الإسلامية الواعية بدأت منذ خمسة عشر عاماً وأعدت نفسها ضد النظام الفاسد كله ومنذ ست سنوات كان هناك مجابهة والحركة الإسلامية أصبحت قوية مما دعا الروس فى ١٩٧٤ لتغيير حكم (ظاهر شاه) الذى عجز عن إنهاء الحركة الإسلامية فجاءوا بالشيوعية إلى الحكم ، وبدأوا بقتل وسجن رجال الحركة الإسلامية فمثلاً أعدموا اثنين من قواد الحركة منهم : [الشهيد حبيب الرحمن (مهندس) ، الشهيد الشاب عمر (طالب فى كلية الطب)] .

ووضعوا فى السجون مئات أخرى مما اضطر القياديين الآخرين للجوء إلى باكستان ومنهم حكمت بازنقة حيث أعدوا للجهاد وعادوا إلى أفغانستان وحركوا الشعب للثورة ضد نظام داود الذى حاول أن يغير نظامه ضد الشيوعية وأبعد بعضهم، فنكل به الروس وقتلوه بالطريقة المعروفة .

س : قيل إن هناك اتفاقاً بين الروس والهند حول أفغانستان فتكون أفغانستان لروسيا وإيران لأمريكا فماذا ترون ؟

ج : نرى أولاً أنه من الصعب على أمريكا أن تقبل هذه القسمة ، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى أساسية ليقسم الروس والأمريكان ما شاءوا لكننا لسنا قطعاً من الحجارة أو الشطرنج ، إننا سنقوم بواجبنا فى تحطيم هذه التقسيمات والاتفاقات كلها .

ومن جانب آخر فإن الهند والصين وبريطانيا وأوربا الغربية لا توافق على هذا التقسيم لأنه يخل بالنظام العالمى ومع ذلك يبقى أننا نحن المسلمين أهم عنصر فى القضية ، فإما أن نستكين ونقبل أو نجاهد ونرفض وقد أخذنا الثانية .

إن من الحمق الثقة فى أمريكا أو روسيا هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فإن أمريكا فى موقفها من العالم الإسلامى توازن بين خطرين : خطر الشيوعية وخطر الثورة الإسلامية .

ولما كانت تجربة الثورة الإيرانية قد مثلت خطراً بارزاً فإن أمريكا بالتالى ـ قد تحفظت إزاء الثورة الإسلامية فى أفغانستان خاصة إن وضع الثورة الإسلامية فى أفغانستان وشخصيتها وهويتها الإسلامية والنتائج المترتبة لانتصارها ـ وهو آت بإذن الله تعالى ـ كل ذلك قد وضعته أمريكا فى حسابها فآثرت الشيوعية .

إن الأمريكان قد أكثروا علينا سؤالاً من سياستنا فأخبرناهم بأننا مسلمون ، ولن نكون مع الشرق أو الغرب ، وبالتالى فإن تقديمهم العون لثورة كهذه أمر مستبعد ، ونحن من جانبنا نرفض إلا أن نكون مسلمين : لا شرقية ولا غربية .

وكقاعدة عامة فإنى أقول لك : إن أمريكا لا يمكن أن تساعد أى حركة جهادية إسلامية فى العالم مهما كانت الدواعى والأسباب والنتائج ، وإن أمريكا لا تساعد إلا بشروط مذلة أقرب إلى شروط أى احتلال ومن تقبل مساعدتهم لا يستطيع أن يخل بشروطهم وإلا أسقطوه .

أما الدول العربية فقد ساعدت اللاجئين الأفغان ببعض المساعدات المادية التى لم تكن كافية لهم ، أما المساعدة للمجاهدين خاصة المساعدة العسكرية فليس هناك أى عون من هذا القبيل .

١ ـ كيف وصلتم فى أفغانستان إلى طريق الجهاد وهل تؤمنون بالحل السياسى ؟

ج : فى البداية كانت هناك معارضة ضد الجهاد ولكن الذى بدأ الجهاد هو الحزب الإسلامى الذى استمر لمدة تسعة شهور عندما كان بعض الناس مضطرين للخروج من أفغانستان والهروب إلى باكستان وهناك شكلوا فصائل للجهاد وذلك خارج أفغاننستان .

أما فصائل الحزب الإسلامى فهى داخل أفغانستان ، وعن الحل السياسى نحن لا نؤمن بالحل السياسى أو أى حل يعطى الاتحاد السوفيتى هيمنته علينا ، والحل

الوحيد عندنا هو تقوية المقاومة ومتابعة الجهاد ولا خلاص للمسلمين بغير هذا الحل الصحيح .

* لقد نجحنا فى إحباط كل الجهود الانهزامية لبعض الزعماء السياسيين وغير السياسيين الذين رضوا لأنفسهم بدور تبريرى للأوضاع .

* لقد تأكد لدينا دون شك أن العرب والمسلمين مازالوا يمارسون فى أفغانستان الأسلوب الذى كانوا يمارسونه فى فلسطين .

[من حديث الدكتور عبد الحليم عويس مع جولبدين حكمت يار زعيم الحزب الإسلامى الأفغانى - ١٩٨١]

إسقاط حكومة كابول الماركسية (يوليو ١٩٨٨)

إن وضع المعارك الطاحنة داخل أفغانستان ينبئ عن انهيار حكومة كابول الكافرة قريباً بإذن الله وأصبح المجاهدون يقتربون شيئاً فشيئاً بخطى ثابتة ومتينة من نقطة الوصول إلى أهدافهم السابقة ، ضحينا بمليون ونصف شهيد .

إن انهزام الروس فى أفغانستان درس وعبرة لجميع من يخطر فى ذهنه مشروع فرض رجال معينين أو أنظمة معينة من الخارج على هذا الشعب الأبى وماقصة انفضاح الإنجليزى فى أفغانستان عنهم ببعيدة .

وعن قريب نبشر بانهيار الحكومة العميلة فى كابول وإقامة حكومة المجاهدين المعلنة على أنقاضها وما ذلك على الله بعزيز .

ولقد عمل المجاهدون الأفغان ما وسعهم فى نداء المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها لمعاونتهم بجيش قرابة مليون مجاهد على أرض أفغانستان وليس خارجها يحاربون قوى الملاحدة ويتعقبونهم وقد حملوا سلاحهم على ظهورهم وولوا الأدبار تاركين خلفهم قرابة الخمسين ألف قتيل ومعوق فراراً من قوى المجاهدين وإذعانهم لمطالبهم أن اخرجوا من بلادنا ونحن وراءهم بسلاح الإيمان حتى نطردهم مقهورين.

* قرابة أربعة ملايين مهاجر تركوا أرضهم وديارهم وأنعامهم وزرعهم وضرعهم فراراً من بطش العدو الخسيس الذى استعمل أدنى أنواع الأسلحة وأشدها خسة وبطشاً لإفناء شعب أعزل إلا من إيمانه بالله تبارك وتعالى ، فمن قنابل عنقودية إلى

ألغام متعددة الانفجار إلى غازات سامة إلى نابالم يحرق كل حى إلى حرب ميكروبية تنشر الأمراض بين الآمنين ، فكان أن هاجروا إلى الحدود حيث الأمن النسبى وحيث كرم الضيافة من حكومة ضياء الحق جزاه الله ومن معه من حكام باكستان خير الجزاء .

إنها مأساة ، وأى مأساة عمى فيها القوم وصموا عن سماع ضرب المدافع وقعقعة السيوف وصراخ اليتامى والأرامل وأناة المصابين على مدى ثمانى سنوات أو يزيد خربت فيها البلاد ، وخلت من أهلها فلم يعد فيها من بين الاثنى عشر مليوناً إلا ما يقارب الملايين الثلاثة تحت رحمة حرب ضروس لم تظهر لها نهاية إلا أخيراً حيث اضطر الروس إلى الرحيل تحت وطأة السيوف .

* قرابة مليون ونصف المليون طفل يتيم فقد الأب فى الحرب والأم فى الهجرة بل وربما فقد كل من يمت له بصلة قرابة .

هؤلاء الأطفال تتجاذبهم قوتان خسيستان : الروس الملاحدة من جهة والأمريكان العلمانيون من جهة ، وكل يحاول اجتذاب الأطفال نحوه ، وراء كل ذلك مليون ونصف مليون شهيد سقطوا فى الميدان يشهدون الله والتاريخ على تقاعس المسلمين والعرب الأشاوس ، لقد استطاع المسلمون الأفغان بنصر الله وفضله أن يطردوا الروس بجحافلهم من أرضهم فى ثمانى سنوات من الجهاد الذى أعلنوه مقدساً طاهر النية لله تبارك وتعالى .

الدكتور الملط :

الصحوة في أفغانستان : [مايو ١٩٨٦]

أخذت موسكو تبحث عن السبيل للانسحاب كلية من الأراضى الأفغانية المحتلة بعد الخسائر التى تكبدتها قوات الاحتلال الروسى من الثوار الأفغان فى الأيام القليلة.

وكان الثوار الأفغان قد شنوا فى الأيام القليلة الماضية هجوماً مضاداً يعد أكبر هجوم من نوعه ، ضد القوات السوفيتية والأفغان الحكومية تمكنوا من استعادة قاعدة عسكرية هامة فى منطقة حاورا شرق أفغانستان .

وأعلن فى إسلام أباد أن الثوار الأفغان قد نجحوا أيضاً فى استعادة ١٤ معسكراً بعد قتال استمر أسبوعين ، وقد قدمت أمريكا للثوار الأفغان مساعدة عسكرية ضخمة

تبلغ ٦٠٠ مليون دولار ، وقد سيطر المجاهدون على أكثر من ٨٥٪ من الأراضى الأفغانية، ويرجع هذا التراجع نتيجة ما أصابهم من تفجير نووى كاد أن ينهى روسيا بأكملها ، بالإضافة إلى الحملات التى تواجهها السلطات الروسية من قبل المؤسسات لاستمرار الاحتلال برغم كثرة التوصيات .

أفغانستان تنادى :

نحن نريد الإسلام ونريد العالم الإسلامى

نحن متعطشون لقيام حكم إسلامى رائد يسعد فى ظله الشعب الأفغانى المسلم.

الحل السلمى معناه أن يتركنا العالم نقيم الإسلام فى أفغانستان .

إن مصدر الحكم هنا هو الشرع الإسلامى الذى ارتضاه الشعب الأفغانى المسلم وجاهد فى سبيله .

لقد استشهد فى المعركة مع الشيوعية وروسيا أكثر من مليون مواطن مسلم من المجاهدين الذين دافعوا عن أرضهم وعرضهم ودينهم ، وكانوا عاملاً فعالاً فى هزيمة الروس وسحب جيوشها من أفغانستان وكان ذلك تمهيداً لهزيمة الشيوعية نفسها وانهيارها بعد سبعين سنة فى أقطار العالم كله .

وهذا ما يجعلنا نتحدث اليوم عن القوى الإسلامية فى أفغانستان التى أوشكت على الإمساك بزمام الأمور فى البلاد كأول سابقة فى العالم الإسلامى المعاصر .

صحوة المسلمين فى الشيشان

منذ اليوم الأول لحركة الشيشان المسلمين لإقامة دولتهم بعد انفصالهم عن النظام الروسى ، إن أى نمط من أنماط السلطة باستثناء النظام الإسلامى باعتباره وحده النظام القادر على أن يضمن له الاستقرار والتقدم كما دعت إلى تضامن الدول الإسلامية مع بلاده خاصة فى هذه المرحلة .

وتقدمت أسماء الأبطال المجاهدين الذين حملوا لواء الجهاد لتحرير الشيشان :

أودوخوف ، سليم جاندربايف ، والقائد شامل باسايف ، وأصلان ماسخاروف وقد حرص هؤلاء الزعماء على تأكيد هويتهم الدينية وعلى رأسهم ماسخاروف الذى كان شعاره الانتخابى يحمل ثلاث كلمات (الإسلام ـ الاستقلال ـ النظام) .

وأشارت الأنباء إلى أن الشيشان يعتزمون بعد رحيل الروس على تطبيق الإدارة

الإسلامية فى الحياة وعلى المستوى السياسى فمنذ استرداد المقاومة الشيشانية بدأ قادتها فى منع بيع الخمور ، وإنشاء محاكم إسلامية ومحاربة أنشطة الدعارة بالإضافة إلى إدخال تعاليم الدين إلى المدارس .

فوز الجنرال أصلان سخانوف رئيس أركان المقاومة الشيشانية ورئيس أول حكومة شيشانية .

أوضاع الشيشان أوضاع خاصة ذات نسيج ذاتها وخاصتها لأنها تستند إلى خصوصيات تاريخية وتقاليد دينية وأعراف قومية ومستلزمات روحية .

العمل على تطبيق وإقامة نظام إسلامى فى الشيشان يطالب بتطبيق قانون الشريعة الإسلامية .

كان الإيمان بالله تبارك وتعالى هو عدة العمل فى مواجهة الشيوعيين فقد قدموا الشهداء وضحوا .

وتعطى صورة جهاد الشيشان عمق إيمان مسلمى وسط آسيا فيقول الشيخ قادر مفتى الشيشان : إن الإسلام ملاذنا ، والحكم بالشريعة هدفنا

وإن الشيشانيين كانوا دائماً ملتزمين بالإسلام ولم ينقطعوا عنه ، وإن المرأة الشيشانية كانت إلى جانب المجاهدين زوجة طيبة وشاركت فى رصد الأعداء ، وإن الحرب مع الأعداء لم تكن فى ١٩٩٤ بل منذ نهاية القرن السابع عشر .

وقد قاوم الشباب المسلم طويلاً على صور مختلفة وعميقة ، فقد تصدى ١٣ شاباً شيشانياً لمائة وأربعة وأربعين دبابة لمدة ثلاثة أيام ، وإن ١٢٣ مجاهداً صمدوا أمام ١٢ ألف جندى .

ويتحدث عن الصحوة فيقول إن الصحوة تمثلت فى بناء المدارس والمساجد ونشر الإسلام .

وقد تابعنا هذا الاتجاه إيماناً منا بأننا ملتزمون بالإسلام فليس لنا إلا الإسلام وليس لنا إلا الحكم بالشريعة ، وليس لنا دستور إلا القرآن .

وقال : إن المجاهدين صف واحد وأنهم لن يكرروا ماحدث فى أفغانستان ، وأن المجاهدين باعوا أنفسهم فى سبيل الله ، فنحن ديننا واحد ومذهبنا الفقهى واحد وهو المذهب الشافعى ، ونحن نعمل على أن تكون اللغة العربية هى اللغة الثانية بدلاً من الروسية والألمانية .

الصحوة فى الفلبين

بعد ست وعشرين عاماً من النضال الدموى المتصل من المسلمين فى المنطقة الجنوبية من الفلبين يتحقق اليوم أول خيط فى قيام جماعة إسلامية حرة بعد اتفاق السلام الذى تم اليوم بعد أن استشهد أكثر من ١٢٥ ألف شخص مسلم حيث تعمل جبهة مورو للتحرر الوطنى وتحقيق السلام فى المنطقة الإسلامية الجنوبية حيث يعيش ملايين الفلبينيين ، وقد أعلن راموس أن الاتفاق مجرد اتفاق لإقرار السلام فى سبيل قيام منطقة حكم ذاتى مسلمة فى جنوب البلاد ، وقد جاهد المسلمون فى الفلبين سنوات طوال فى سبيل الحرية ، وواجهوا حرباً طويلة فى مختلف الأوضاع الاستعمارية سواء منذ ماجلان إلى الاستعمار الأمريكى حيث استطاعت جبهة تحرير مورو الوطنية الحصول على وضع من التحرر من حكام الفلبين (١٩٩٧م) .



الصحوة فى أندونيسيا

وهذه صفحة جديدة ناصعة مضيئة تكشف عن أندونيسيا المسلمة التى يتحدث قادتها اليوم عن الأمة الإسلامية ، مع بروز الطابع الإسلامى لأندونيسيا وتركيزه على الطلبة فى المدارس والجامعات وإعلان التضامن مع الشعوب الإسلامية المظلومة من باب التناصر وتوثيق العرى على النحو الذى أوضحه « فهمى هويدى » فى أهرام ديسمبر ١٩٩٦ ، وحيث رأى هو بالعين المجردة زحام مساجد الجامعة الأندونيسية فى أوقات الصلاة والتعرض لمحنة المسلمين فى البوسنة ودراسة اللغة العربية ، والتحول من دراسة العلوم السياسية والمحاسبة إلى دراسة العربية لغة القرآن ، فإذا قرأت الصحف وجدت صور عرض أزياء للسيدات المحتشمات وتقرأ تعليقاً مطولاً عن خطوط موضة عام ٩٧ فى عالم المحجبات ، وتفتح التليفزيون فتكتشف أنه يذيع صلاة الفجر يومياً ويبث بعد الصلاة حديث يزود المشاهدين بطاقة معرفية وإيمانية .

وهكذا تتكشف الصورة عن حركة إحياء واسعة النطاق لها شواهدها القوية فى الجزيرتين الكبيرتين (سومطرة ويسمونها شرفة مكة ، وجاوه) وقد أشار الباحث إلى ظاهرة تطور الخطاب الإسلامى حيث يبدأ الحديث أولاً عن الأمة الإسلامية .

وهكذا استطاعت أندونيسيا أن تقاوم محاولة اقتلاعها من النسيج الإسلامى وإعلان الهوية الإسلامية والمقاومة للتيارات الخطيرة التى تحاول احتوائهم وفى مقدمتها البوذية والهندوسية ومقاومة الذوبان فى البحر الروسى والشيوعية ، وعودة أندونيسيا إلى الإسلام تؤكد ظاهرة مقاومة الاحتواء واتخاذ الإسلام كهوية لمقاومة الذوبان فى البحر الروسى للشيوعية .

وقد أصبح الإسلام فى أندونيسيا هو أحد أهم مقومات الإسلام والتميز بما يعنى عن وجود أندونيسيا بحد ذاته صار مرتهناً بمدى تمسكه بهويته الإسلامية .

وبذلك تغلب مسلمو أندونيسيا على المؤامرة التى كانت تدبر لكى تعود أندونيسيا إلى النصرانية قبل نهاية القرن العشرين ، وكان للمدارس الإسلامية والمعاهد العلمية التى أقامها التجار أساساً فى مقدمة أسلحة المقاومة التى استخدمها المسلمون فى أندونيسيا لمواجهة الغارة بشقيها التغريبى والتنصيرى ، فكانت أحد أهم الأوعية التى حفظت الإسلام فى كل بلاد الإسلام .

وقد مضت أندونيسيا خطوات (أسلمة المجتمع) الذى وصلت إلى مرحلة أفلتت فيه من التغريب والتبشير والغزو الثقافى .

ولقد كان من أخطر الخطوات الفعالة فى هذا التوجه الجديد : أن وقع علماء المسلمين فى شرق مدينة جاوه أحد معاقل الإسلام الشهيرة فى أندونيسيا (وقعوا الاتحاد الأول) فى السابع من ديسمبر ١٩٩٠ وأعلنوا فيه أنهم متمسكون بثلاثة أمور:

الأول : بالإسلام الذى هو روح البلاد وعقيدتها .

الثانى : بوطنهم أندونيسيا الذى يحلمون بإنهاضه وازدهاره .

الثالث : دور المثقفين الملتزمين بالإيمان والتقوى ؛ وقالوا إنهم لتحقيق أهدافهم ملتزمون بالعمل الحثيث على تعميق الإيمان والتقوى وإثراء مستوى التفكير والإبداع ، ووقد وقعوا لذلك خطة عمل خلا خمس سنوات من أهم المعلومات التى ألقيت فى اليوم الأول أن القرن القادم سيكون قرن آسيا بامتياز من الناحية الإنتاجية وأشارت الأبحاث كلها إلى أن منطلقاً جديداً للإسلام يظهر من خلال أندونيسيا وماليزيا بما يفتح الباب أمام منظمة إسلامية فى المشرق كمقدمة لنهضة العالم الإسلامى كله علمياً وروحياً فى وقت واحد .



مؤتمـــر الخـلافــة

من الأحداث التى تحتاج إلى الدراسة : مؤتمر الخلافة الإسلامية فى لندن (صحف ١٣ أغسطس ١٩٩٤) الذى وصف أكبر تجمع للإسلاميين وقد أحدث موجة واسعة من ردود الأفعال حيث احتشد ثمانية آلاف مسلم فى إحدى ساحات (حى ونبيلى) وقد نظمته منظمة الوحدة الإسلامية التى تضم عدداً من الجماعات الإسلامية وفى مقدمتها (حزب التحرر الإسلامية) فى بريطانيا المعروف بموقفه المعادى لإسرائيل .

وقد اتسعت الساحة التى عقد فيها المؤتمر لأكثر من ألف مسلم ، وتحدث فى المؤتمر كثيرون فى مقدمتهم الدكتور ملكاوى من الأردن حيث استعرض الصحوة الحالية للأمة الإسلامية ووعد الله تبارك وتعالى لأمة المسلمين بالنصر والقوة الاستراتيجية للأمة الإسلامية .

كما ذكر عدداً من نبوءات التراث الإسلامى حول قرب عودة (خليفة المسلمين) والانتصارات التى ستحققها كما تحدث محمد المسعدى رئيس لجنة الدفاع عن الحقوق الشرعية السعودية .

كذلك الدكتور أسرار أحمد من التنظيم الإسلامى فى باكستان عن الجهاد من أجل عودة الخلافة وركز على شكل الدعوة الإسلامية فى باكستان والحرص على جعلها عالمية لا تعترف بحدود قطرية ، وقال : إن المسلمين لن يهادنوا أو يساوموا إذا تعلق الأمر بإسلامهم ، وتحدث عمر بكرى عن الإسلام وانتشاره فى المجتمع البريطانى، وصدر عن المؤتمر بيان عام : تحت عنوان الدعوة لعودة الخلافة الإسلامية .



الإسلام : عالم بلا حدود

علامات كثيرة ومتعددة توحى بأن المستقبل القريب هو للإسلام ، وهناك ما يؤكد الإقبال على الإسلام وتصاعده فى الغرب فضلاً عن نمائه فى موطنه من المشرق الإسلامى بما يشبه العودة إلى حقيقة الإسلام بوصفه منهج حياة ، وبما يؤكد موقفه من عالم الجهاد لاستخلاص الأرض التى استولى عليها اليهود ، وتمثل كتلة (حماس) تصوراً صحيحاً للمقاومة والتضحية والفداء والاستشهاد .

حيث تمثل حماس حلقة من سلسلة الجهاد ضد الغزو الصهيونى المرتبط جميعاً بالحلقات الأخرى التى يمثلها عز الدين القسام وإخوانه المجاهدون الذين استشهدوا فى النضال الفلسطينى للقدس والإخوان المسلمون فى حرب أكتوبر ١٩٤٨ . [هذا نص البند السابع من عقد تشكيل حماس] .

وإذا كانت محطة الإذاعة البريطانية أطلقت على برنامجها عن الإسلام الذى يذاع صباح يوم الجمعة (عالم بلا حدود) فإن الإسلام فعلاً عالم بلا حدود ولقد أصبح الإسلام هو الشغل الشاغل لكل العالمين وحيث نرى أخباره تتوالى بصورة أو بأخرى مما يؤكد أن عالم الإسلام أصبح الآن بلا حدود (حقًا وصدقًا) فما تطلع الشمس اليوم على صحف أو إذاعات أو أحداث إلا وهى مرتبطة من أطرافها بالإسلام أو المسلمين .

وهذه الفكرة ـ نهاية العقد الثانى من القرن الخامس عشر ـ من حياة الأمة الإسلامية تتمثل فى تصاعد الحركات الإسلامية الرشيدة البعيدة عن الإرهاب أو العنف والتى تحقق مفهوم الوسطية كاملاً ، فأينما وليت وجهك وجدت قوى إسلامية جديدة تتحرك فى إيمان لتحقيق هدفها فى قيام المجتمع الإسلامى الأصيل .

وفى هذه السنوات نجد هذا التطور الذى حققته باكستان بالعودة إلى منهج الله ونجد التطور الذى حققته أفغانستان من أجل إقامة المجتمع الإسلامى وهدم الشيوعية، بل لقد كان عمل مسلمى أفغانستان خلال السنوات العشر الماضية التى قدموا بها أكبر من مليونى مسلم لتدمير النظام الشيوعى نفسه ونجد إلى جانب ذلك تحولات فى أفغانستان تحقق انتصار الاتجاه الإسلامى واندفاعه ، نرى ذلك بالنسبة لمسلمى الفيلبين الذين جاهدوا أكثر من ربع قرن ومن ناحية أخرى نرى حكومة المسلمين الشيشان الذين جاهدوا وقدموا الشهداء لإقامة النظام الإسلامى .

كذلك نجد أندونيسيا وقد تحولت بقوة نحو الإسلام فى سبيل إقامة المجتمع الأصيل ، حيث آمن المسلمون هناك أنه ليس من سبيل إلى حماية وجودهم العسكرى إلا بالتماس منهج الإسلام حصناً لا مفر من الاحتماء به لإنقاذ أنفسهم من الذوبان فى المحيط البشرى الكبير الذى يطوقهم من كل صوب ، سواء من خلال البوذية أو الماركسية ، مما حقق سقوط تلك الدعوة المدعاة فى القضاء على الإسلام فى أندونيسيا قبل نهاية القرن الحالى .

بقى علينا أن ندرس أثر الغزوة الصهيونية فى أرض الإسلام فى كتاب خاص مستقل ، وأنا هنا أستعير عبارة أحد الباحثين الأكرمين : « إن الصحوة الإسلامية هى التى تعاقبت فى العقود الأخيرة فقد توافرت لها أسباب يعلمها ويلمسها كل الدعاة المخلصين هم من أهم هذه الأسباب ، ولكن النتائج التى تراها أكبر من كل هؤلاء الدعاة وأكبر من كل ما أعددناه من أسباب ، فالله تبارك وتعالى هو الذى ألف بين القلوب ، وهو الذى قدر فى هذه المرحلة أن يتم نوره ، فرأينا الناس يعودون إلى دين الله أفواجاً .

وفى هذا الإطار الربانى تنتشر صحوة الإسلام والمسلمين ولو كره الكافرون ، وفى هذا الإطار الربانى ظهر هذا المستوى المذهل من اليقين الإيمانى الذى ولد العمليات الاستشهادية » .

ويقول : « الخطر هو موقف إسرائيل من الاستشهاد الإسلامى ، إن حصول العرب على صواريخ تهدد إسرائيل سيلغى كل أثر لتفوقها العسكرى إذ لا يوجد سلاح مضاد يمنع اختراق الصواريخ للأجواء الإسرائيلية ، إنه لا يوجد سلاح لوقف الاستشهاد فى أرض يتداخل فيها العرب مع اليهود .

إن الجيل الجديد فى إسرائيل (كما هو الشأن فى دول الغرب جميعاً) لا يملك روح القتال والمخاطرة التى ملكها أسلافه ، لذا فإن عجز أسلحتهم الكثيفة عن حماية أفرادهم وطغيانهم يسبب الآن فزعاً غير مسبوق ، إنكم محقون إذا اعتبرتم أن صحوة الإسلام والمسلمين هى الخطر الذى يهددهم وأنى لكم أن تطفئوا نور الله » .



ملاحق الكتاب

العنف سمة مميزة للغرب وليس للإسلام أو للمسلمين
الغربيون شنوا حروباً على مدار ١٧٠٠ عام فى مقابل ٢٤١ عاماً للقوات الإسلامية

رسالة وصلت (جريدة الشعب) على الإنترنت : تؤكد الأبحاث أن النمط الغربى هو النمط (الحضارى) اللصيق بصورة أكبر بالعنف وأن النمط الحضارى الإسلامى هو النمط الأكثر إنسانية ، ويستند إلى موسوعات عريقة حول الحروب وعلى رأسها قاموس الحروب لـ (جى سماكون) ١٩٨٦ وقاموس المعارك القتالية لـ (إيجنبرج) عام ١٩٦٧ (محمد المصرى ـ الولايات المتحدة) .

وخلاصة ما جاء فى هذه الدلالات الإحصائية المقارنة بين الشرق الإسلامى والغرب إنه لا وجه للمقارنة بين مستوى التزييف الدموى والحضارتين فالغرب يتفوق على الشرق الإسلامى وبجدارة فى مجال سفك الدماء ، فقد تبين أن هذه الموسوعات الغربية المتخصصة فى الحروب : إن القوى الإسلامية قد دخلت فى حروب أهلية بين بعضها البعض وحروب دينية وأعمال عنف على مدار ٣٤١ عاماً فى حين دخلت القوى الغربية فى حروب أهلية وحروب دينية وحروب توسعية على مدار ١٧٠٠ عام أى أن حضارة الغرب شنت حروباً بقيادة خمسة أمثال دول العالم الإسلامى بالإضافة إلى قيام الأوروبيين بقتل ما لا يقل عن ٦٠ مليون نسمة فى الحربين العالميتين .



الحروب الداخلية المسيحية فى أوربا

أولاً : ٤٠٠ عام من الحروب الأهلية فى أوربا المسيحية

الحروب الأهلية الرومانية ٦٨ ـ ٣٩٤

الحروب البيزنطية ١٠٩٤ ـ ١٣٥٥

الحروب الإنجليزية ١١٣٨ ـ ١٦٤٦

الحروب الألمانية ١٠٧٧ ـ ١٤١١

الحروب المجرية ١٤٠١ ـ ١٤٢١

الحروب بوهيميا بين الملوك والنبلاء ١٣٩٠ ـ ١٤٧١

حروب روسيا الأهلية ١٤٢٥ ـ ١٤٦٥

حروب سويسرا الأهلية ١٤٣٦ ـ ١٤٥٠

حروب بولندا الأهلية ١٤٥٤ ـ ١٤٦٦

حروب النمسا وهولندا ١٤٧٧ ـ ١٤٩٢

الحروب الإيطالية الأصلية ١٤٩٤ ـ ١٥٣٠

الحروب الفرنسية الدينية والأهلية ١٥٦٢ ـ ١٥٩٨

أوربا الشمالية ١٦٥٥ ـ ١٧٢١

بوهيميا بالصين ١٥٦٢ ـ ١٥٩٨

أيرلندا الشمالية ١٩٦٩ ـ ١٩٩٥

ثانياً : مائة عام من الحروب الأهلية بين مسيحيى أوربا :

الإمبراطورية الرومانية وحرب الباباوات المقدسة ١٠٨١ ـ ١٢٥٠

الحروب الدانماركية ١٧٣٧ ـ ١٧٥٧

حرب القديسين الثمانية ١٣٧٥ ـ ١٣٧٨

حرب العقيدة ١٥٦٢ ـ ١٥٩٨

حرب الثلاثين عاماً بين الكنائس ١٦١٨ ـ ١٦٤٨

ثالثاً : ١٧٠ عاماً من الحروب الصليبية فى الشرق ١٠٩٥ ـ ١٢٧٢ .

رابعاً : ألف عام من الحروب بين الدول المسيحية فى أوربا :

حروب البلغار والبيزنطيين ٧٥٥ ـ ١٢٦٥
غزاة الفايكنج ٧٩٣ ـ ١٠٧٩
حروب فرنسا والنمسا وألمانيا والصين والبروسين والأسبان ٩٧٨ ـ ١٨٨٥
الحرب الاسكندنافية ١٠٢٦ ـ ١٤٧١
الحرب الإنجليزية الاسكتلندية ١٠٢٦ ـ ١٤٧١
الحرب الإنجليزية الفرنسية ١١٠٩ ـ ١٦٢٨
الحروب الروسية الأفغانية اليابانية البولندية السويدية التركية البروسية ١٢٤٠ ـ ١٩٤٠
حرب بوهيميا والمجر ١٢٦٠ ـ ١٤٧٨
حرب المائة عام الأوربية ١٣٣٧ ـ ١٤٥٧
الحرب النمساوية المجرية ١٤٣٩ ـ ١٤٥٧
حرب الدانمارك والسويد ١٤٩٧ ـ ١٦٧٩
الغزو البرتغالى ١٥٠٠ ـ ١٥٤٥
الاستعمار الأسبانى فى أفريقيا ١٥٠٨ ـ ١٨٦٠
حرب الثمانين عاماً ١٥٦٨ ـ ١٦٤٨
الحرب الإنجليزية الأسبانية ١٥٨٧ ـ ١٧٢٩
الحرب البرتغالية الدانماركية عبر الهند الغربية ١٦٠١ ـ ١٦٤١
الحرب الإنجليزية البرتغالية ١٦١٢ ـ ١٦٣٠
حرب النمسا وروسيا ١٧٥٦ ـ ١٧٦٣
الاستعمار الإنجليزى فى أفريقيا ١٩٠٠ ـ ١٩١٥
الحرب العالمية الأولى ١٩١٤ ـ ١٩١٨ (أكثر من ٩ ملايين ماتوا)

خامساً : بعض أهم حروب التحرير لدى القوى الأوربية :

الأرجنتين من بريطانيا ١٨٠٦ ـ ١٨١٦
الجزائر من فرنسا ١٩٥٤ ـ ١٩٦٢ (مات أكثر من مليون شهيد)
أنجولا من البرتغال ١٩٦١ ـ ١٩٧٦

سادساً : ١٣٦ عاماً من الحروب الأهلية الإسلامية :

الحروب الأهلية الإسلامية ٦٥٧ ـ ١١٠٨

حروب المماليك الإسلامية ١١٩٦ ـ ١٢٠٠

الحروب العثمانية ١٤٠٣ ـ ١٥٥٩

الحروب العثمانية المملوكية ١٤٨٥ ـ ١٦٣٥

الحرب الأهلية الأفغانية ١٩٤٨ ـ ١٩٩٥

الحرب الصومالية الأهلية ١٩٨٩ ـ ١٩٩٥

سابعاً : ٢٠٤ سنة من الحروب بين القوى الإسلامية :

الحرب التركية العثمانية ١٤٠٠ ـ ١٤٧٣

الحرب التركية الفارسية ١٤٧٣ ـ ١٧٤٧

الحرب التركية المصرية ١٨٢٣ ـ ١٨٤١

الحرب العراقية الإيرانية ١٩٨٠ ـ ١٩٨٩

★★★

الدرس الذى يقدمه حزب الرفاه
فى داخل تركيا وخارجها

مازال النصر الكبير الذى أحرزه حزب الرفاه فى تركيا فى الانتخابات البلدية فى مارس ١٩٩٤ والانتخابات البرلمانية فى ديسمبر مسجلاً تفوقاً على أحزاب عريقة حكمت البلاد لمدة تزيد عن السبعين سنة ، الشغل الشاغل للقوى السياسية فى داخل البلاد وخارجها .

جميع الأحزاب السياسية العلمانية ، ومعها مراكز التأثير الاقتصادى والسياسى مستنفرة .. هدفها عزل حزب الرفاه ومنعه من تشكيل حكومة جديدة .. لن نخوض فى هذه القضية فمعظم الصحف تتناولها يومياً ، بين مؤيد ومعارض ، ولكننا سنتحدث عن الحقائق التى أوجدها حزب الرفاه ومن قبله حزب السلامة على الساحة التركية .. والتى بدأت تطل برأسها إلى خارج تركيا ، ترقبها الحركات الإسلامية فى أنحاء العالم وتدرس أحوالها عن كثب .. لعل فيها العلاج الشافى لهموم إسلامية ممتدة لأكثر من نصف قرن من الزمان .. فما هى هذه الحقائق ؟ .

الحقيقة الأولى :

إن الرفاه هو حزب صاحب مبدأ ينطلق منه .. ويغطى كافة نواحى الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية .. ففى مقابلة جرت حديثاً بين إحدى القنوات التليفزيونية والسيد رجب طيب أردوغان رئيس بلدية استنبول .. سأل المذيع وأجاب رئيس البلدية فقال : قبل توقيع العقد مع شركة أجنبية تتولى تنفيذ أحد المشاريع .. تبينت أن الشركة خصصت لى ١٠٪ من قيمة العقد أى ١٦ مليون دولار .. فقلت للشركة : ليس لى الحق فى هذا المال .. اخصموه من قيمة العقد .. وعندما استفسرت الشركة عن السبب قال : لأننا فى حزب الرفاه ننطلق من مبدأ وهذا المبدأ يجعل الرشوة حراماً .

وهذا الأمر بالذات هو الذى يوضح حقيقة الخلاف بين جميع الأحزاب وحزب الرفاه .. فالأحزاب الأخرى فى اليمين كانت أو اليسار أو الوسط هى أحزاب انتهازية نفعية لا تنطلق من مبدأ سوى الإثراء على حساب الشعب الكادح .

وكل من يتبع الكوارث الاجتماعية والاقتصادية التى حلت بالشعب التركى

خلال العقود الأخيرة .. يجد الأحزاب الحاكمة على اختلاف أسمائها متورطة فيها.

فالحقيقة الأولى التى أدخلها حزب الرفاه إلى الساحة السياسية التركية هى أنه حزب ينطلق من مبادئه .. لا من مواقف مصلحية متحركة تخدم طبقة محدودة من الناس .

ولقد أتعبت هذه المبادئ حزب الرفاه .. فهو أصولى فى حسابات الغرب والمؤسسات المستغربة فى تركيا .. وهو رجعى فى رأى قادة الأحزاب يريد أن يعود بالبلاد إلى العصور المتخلفة .. وهو معاد للكمالية فى رأى الكثيرين .. وهو عدو المرأة .. وهو عدو الغرب .. وعدو أمريكا .. إذا وصفوه أطنبوا فى وصفه وكل شىء مكلف فى تركيا هذه الأيام إلا الكلام الذى ينطلق بغير حساب .

والحقيقة الثانية :

إن حزب الرفاه اليوم حزب جماهيرى يريده الشعب ويدافع عنه ويمنحه صوته فى الانتخابات .. ويتوقع تحسن الأوضاع الاقتصادية والمعيشية على يديه .. مراسل صحيفة النيويورك تايمز فى أنقرة نقل عن شاب اسمه أردال نرغيز عمره ٢٣ سنة يعمل فى دكان ليعول أمه الأرملة .. قوله : صديقتى مسيحية وأحب السفر إلى أوربا وفى المساء أذهب إلى الملاهى وأشرب الكحول ، كل هذا يعنى أنه يجب أن لا أحب الرفاه ، إلا أننى أعطيتهم صوتى .. لماذا ؟ لأن ٨٠٪ من سكان هذه البلدة فقراء ، وقادة الأحزاب الأخرى لا يقومون بأى شىء من أجلهم ، فالفساد والرشوة هنا تعديا كل الحدود ، صوتى لم يكن للإسلام وإنما لحكومة أنظف وأفضل .

والذى نقله مراسل النيويورك تايمز عن نرغيز ، يقوله معظم أبناء الطبقة المسحوقة فى تركيا .. فسائق التاكسى يردده .. والعامل فى بقالة يقوله .. لقد اشمأز الناس من روائح الفساد التى أزكمت الأنوف .

وإذا كانت معظم الحركات الإسلامية فى داخل تركيا وخارجها .. عبارة عن مجموعات صفوية تدور فى حلقات العلم والتربية .. تستمتع بالمستوى الرفيع ، وتنظر فى أكثر الأحيان للآخرين نظرة شفقة وتدعو لهم بالهداية ..

فإن حزب الرفاه مختلف فحاسوبه (الكومبيوتر) يعرف كل بناية فى كل شارع .. فى كل شقة من فيها وما احتياجاتهم .. يشاركهم الفرحة .. ويؤازرهم فى الحزن .. وهو إلى جانبهم فى الأمل القادم المشرق ، حزب الرفاه اليوم حزب

الجماهير .. الذين منحوا الحزب أصواتهم من المتدينين لا يزيدون على ١٠ ٪ بينما منحته الجماهير العادية أكبر من هذه النسبة ..

والحقيقة الثالثة :

إن حزب الرفاه حزب ديمقراطى .. وليد التجربة العلمانية الديمقراطية فى تركيا .. وإذا كانت التجربة العلمانية التى زرع بذرتها أتاتورك ، وتعهد نشأتها حزب الشعب الجمهورى والمؤسسة العسكرية فيما بعد هى أقرب للديكتاتورية المتحجرة منها الديمقراطية الغربية الليبرالية ، فإن حزب الرفاه هو أقرب للديمقراطية الحقيقية من هؤلاء جميعاً .. يؤمن بالانتخابات .. ويؤمن بالتحالفات .. واشترك فى السلطة مع أحزاب علمانية يمينية ويسارية ، ويؤمن بتداول السلطة .. ويطالب بحقوق الإنسان للجميع .. ويرى أن العلمانية الحقيقية لمصلحة المسلمين فى بلده .. ويناشد الغرب بأن يتخلى عن تعصبه وحقده على المسلمين .. وأن يستبدل ذلك بالحوار واللقاء على المصالح المشتركة .

الآن وبعد أن نسى الأتراك الخوف .. ينظرون فلا يجدون من العلمانية غير النخبوية السياسية والنخبوية الاقتصادية والطبقية والفساد والفقر ، كل هذه الأشياء أفرزتها الطبقة الحاكمة وسياساتها .. وينظرون بالمقابل إلى حزب الرفاه الذى وسموه بعبعاً يخيف الناس .. فإذا به يقدم للناس (عندما استلم معظم البلديات عام ١٩٩٤) أكثر مما كانوا يحلمون به .

إن النخبة التى تضع على وجهها قناع العلمانية .. وتحارب حزب الرفاه وتزعم أنها إنما تحاربه لأنه أصولى معاد للديمقراطية خطر على العلمانية .. فهى إنما تحاربه دفاعاً عن جشعها وفسادها ورغبتها فى استمرار تحكمها بالبلاد والعباد .. وهى أبعد ما تكون عن الديمقراطية .. وترحب بالانقلاب إذا لزم الأمر .. وما تصريح تشيللر بأن الجيش حدقة عيوننا عنا ببعيد .

إن حقيقة أن الرفاه حزب ديمقراطى يتكلم بنفس اللغة وينهج نفس النهج ولا يزيد على ذلك إلا بدفعة من الأخلاق والقيم والأصالة .. عرى القوى العلمانية وأظهر حقيقتها للناس .. فانضم الناس إليه يعطونه أصواتهم ويستنكرون الأصوات الأخرى مهما نادت بالشعارات فلا يرون فيها إلا الفساد .

إن حقيقة أن الرفاه حزب أصولى ديمقراطى أعطى الجماعات الإسلامية

والحركات الإسلامية فى العالم دروساً عملية أبلغ بكثير من النظريات والكتب التى مازالت تتحدث عن جواز الانتخابات أو جواز المشاركة فى الحكم أو جواز الدخول فى الوزارة .. وهل يجوز تداول السلطة .. إلى آخر هذه السفسطة التى أصلها الجهل.. وتجاوزها الزمن .. وعمق مفاهيمها حزب أربكان الأصولى الديمقراطى .

الحقيقة الرابعة :

هى البرغماتية التى يتمتع بها حزب الرفاه ، فزعيمه طاقة علمية وفكرية وسياسية وتربوية من نوع فريد ، فيوم أسس أربكان حزب النظام الوطنى عام ١٩٦٩م كان مثار استغراب الجميع داخل تركيا وخارجها .. فهل يمكن تأسيس حزب أصولى فى قلعة العلمانية النموذج للعالم الشرقى كله ؟

وعندما حلت السلطة الحزب وطاردت أنصاره .. أسس أربكان حزب السلامة ، وبعده حزب الرفاه .. وهو يقول لو حلوا الرفاه فسنؤسس حزباً رابعاً فى غضون أسبوع، هذه العقلية العملية هى التى جعلت الرفاه يستعصى على الجميع .

فيوم أسس أوزال حزب الوطن الأم وضم إليه بعض قيادات حزب السلامة ، إنما أراد (هو والقوى التى جاءت به) أن يجهض التيار الوطنى ـ الإسلامى الذى أوجده أربكان ..

ويوم تفسخ حزب الوطن الأم نتيجة لصراع الأجنحة بين تورجوت أوزال ـ الذى أصبح رئيساً للجمهورية ـ ومسعود يلماظ ـ الذى أصبح رئيساً للوزراء ـ عمل أوزال على تأسيس الحزب الديمقراطى بقيادة إيدن مندريس (نجل عدنان مندريس) وإذا بمندريس يصبح الرجل الثانى فى حزب الرفاه ، ويفوز نائباً عن الرفاه فى مدينة استانبول .

ويوم راهن حزب الطريق القويم وحزب الوطن الأم والمؤسسات الحاكمة فى تركيا على إبراز شخصيات إسلامية لها تأثيرها فى الشارع معادية لأربكان من أمثال شيخ الطريقة النقشبندية أسعد أفندى .. أو شيخ الطريقة النورسية فتح الله جولان أفندى .. أو شيخ مشايخ كوركوت أوزال أفندى .. يومها بدأت قواعد هذه المشيخات تتسلل وتلتحق بقواعد حزب الرفاه .. فلقد فقدت مصداقيتها فى نظر أتباعها .. علموهم أن السياسة بدعة ، وعندما أحبوا أن يشتغلوا بالسياسة كانوا بوقاً للعلمانيين .

والحقيقة الخامسة :

أن حزب الرفاه معني بشكل مباشر بإعادة تركيا إلى سربها الذى غابت عنه فى البلقان والقوقاز وآسيا الوسطى والشرق الأوسط عشرات السنين .. فقد مارست ولمدة طويلة وظيفة محدودة ومريحة كجزء من حلف شمال الأطلسى فى مواجهة الخطر الشيوعى ، ما عادت تركيا ترى فى نفسها أية شرق أوسطية ولا أنها جزء من عالم تركى أم إسلامى .. وما عاد جيرانها الشرق أوسطيون ينظرون إليها كواحدة منهم ، وحين رغبت تركيا فى العودة أو حين وجدت نفسها مضطرة لهذه العودة كانت الهوة بينها وبين جيرانها أوسع وأعمق وأكبر من أن تستطيع مؤسسات متواضعة استيعاب المتغيرات التى طرأت خلال عقود خلت ، وقراءة الحقائق الجديدة ، فتوالت الأخطاء والعثرات ، ومن أهم هذه الأخطاء .. هى أن تركيا لم تر فى الشرق الأوسط دولة تستحق الاهتمام غير إسرائيل ، فمنذ مؤتمر مدريد خريف ١٩٩١م وبعيد اتفاق أوسلو فى أيلول ١٩٩٣م سارعت بصورة لافتة ، وبوتيرة غير اعتيادية الاتصالات واللقاءات بين المسئولين الأتراك والإسرائيليين انتهت بتوقيع الاتفاق الأمنى والتدريب العسكرى بين البلدين فى فبراير من هذا العام ١٩٩٦م .

والحقيقة أن الطبقة الحاكمة فى تركيا مهما حاولت أن تقنع نفسها بأنها جزء من أوربا ، وبالتالى لا يهمها ما يجرى حولها ، فإن ذلك وهم لا يمكن أن يستمر ، فلتركيا أبعاد تركية تمتد على مدى الجمهوريات التركية التى انفصلت عن الاتحاد السوفيتى ، وأبعاد إسلامية تمتد لتشمل بلغاريا والبوسنة والسنجق ومكدونيا ورومانيا وتراقيا وغيرها .. وأبعاد شرق أوسطية تمتد لتشمل كل المناطق التى شاركت تركيا التاريخ والجغرافيا والعقيدة .

إن حزب الرفاه وحده القادر على انتشال تركيا من أوهامها .. ووضعها ضمن سربها لتأخذ مكانها اللائق بها .

والحقيقة السادسة :

هى أن حزب الرفاه هو وحده صوت الإصلاح .. مثله فى ذلك البلديات التى استلمها عظماً بدون لحم ، وحولها إلى بناء وإنتاج ومثل أعلى لكل من يريد أن يتعبد الله بخدمة خلقه ، وإذا كان أمر الحكم أعقد من البلديات وأصعب ، فقد وصل التضخم عام ١٩٩٥ إلى ٨٥٪ والديون الخارجية إلى ٧٣ بليون دولار وتراجع احتياط العملات الصعبة من ١٧ إلى ١٢ بليون دولار فى الأشهر الثلاثة الماضية ،

وتدهور سعر صرف الليرة إزاء الدولار فى شهرين بنسبة ٤٠ ٪ من قيمتها ، هذا فضلاً عن الديون الداخلية التى تقارب الـ٢٥بليون دولار وعجز فى التجارة الخارجية وصل عام ١٩٩٥ إلى ١٢ بليون دولار وعن تراجع فى النمو .

ولكن من سيصلح الأوضاع ، هل تصلحها تشيللر وهى المسؤولة أساساً عن هذا الانهيار الاقتصادى طوال السنوات الأربع الماضية ، أما مسعود يلماظ المتوتر دائماً الذى حصر هدفه بإدانة تشيللر ليبقى فى الحكم ، والذى لا يحسن خطاب الشعب ناهيك عن خدمته ، هذا بالنسبة للاقتصاد .. أما بالنسبة للأمن فالقضية أعقد وأصعب .

فالعديد من الرموز الأمنية التى قادت المواجهات مع الأكراد هم اليوم من كبار مساعدى تشيللر ومن أركان حكومة يلماظ ، ويكفى أن نعلم أن المدير السابق للأمن صار وزيراً للعدل .

إن حزب الرفاه بقيادة أربكان هو وحده القادر على الإصلاح .. قد يأخذ ذلك زمناً ولكن البدائل معدومة فى الوقت الحاضر .

تزعم الأحزاب أنهم سيسقطون الرفاه بعدم مشاركته فى تشكيل الحكومة المرة بعد المرة حتى تتحول عنه الجماهير .. قد يفعلون .. والشيطان صاحب مكر أكبر .. ولكن الخاسر الأوحد فى هذه الحالة هو الشعب الذى يعنيه الإصلاح قبل غيره ، الزعامات امتلأت جيوبها ولكن الشعب يعيش أقصى لحظات حياته .

المحللون السياسيون العقلاء لا يوافقون قادة الأحزاب على موقفهم هذا من حزب الرفاه ، بل يعتبرون ذلك من أكبر أخطائهم ، ويذهب البعض أكثر فيعتبرون ذلك دليلاً على اعوجاج المسار الديمقراطى التركى الذى لم يحسن قراءة أن لتركيا خلفية إسلامية سياسية عريقة امتدت إلى أكثر من أربعة قرون .. وأن فيها تواترات داخلية مزمنة ، لا أقلها مشكلة الأكراد ، وهناك أيضاً انتشار الإسلام السياسى بشقيه : المعتدل والمتطرف ، إضافة إلى المشكلات الاقتصادية المتفاقمة .. كان المفروض أن تحسن الديمقراطية قراءة هذا الواقع ، وتهرع إلى اللقاء مع الرفاه .. وإلا فإن المستقبل كله معرض للاهتزاز والضياع .. ليس بالنسبة لتركيا وحدها .. بل وبالنسبة لهذه الأحزاب كذلك .

مراجعة الباحث العالم : **مصطفى محمد الطحان**

١٩٩٦/٦/١٢م

ولا يزال نجم الإسلام يصعد

يجب أن نكون على ثقة لا تتزعزع بأن الإسلام نجم صاعد فى سماء البشرية منذ فجر تلك اللحظة التى أذن الله تبارك وتعالى بأن يضىء نوره العالمين ليخرج الناس من الظلمات إلى النور .

وأن الإسلام فى كلتا مرحلتيه الأساسيتين : مرحلة الزحف والفتح ثم مرحلة الضعف بعد جولة واسعة ، ذلك أمر طبيعى وتلك سنة الله تبارك وتعالى التى لا تتخلف ، فقد استطاع الإسلام فى خلال أقل من قرن (ثمانون عاماً) أن يبسط رواقه على كوكب الأرض من حدود الصين إلى قلب أوربا فى زحف كاسح تنفتح له أبواب القلوب وتسلم له النفوس حين أخرجها من الوثنية والعبودية وظلم الحضارات والرق ، وحين حررها ثم تركها تقبل دعوته أو تقيم على عقيدتها دون أن يفرض عليها شيئاً .

وحين جاء فتح لها أبواب الحرية ﴿ **لا إكراه فى الدين** ﴾ [البقرة : ٢٥٦] وأعلن أن الناس لآدم وآدم من تراب ، ولا فضل لعربى على عجمى إلا بالتقوى ، وحرر المرأة ورد لها حقها فى مالها ونفسها وأضاء البشرية ألف عام كاملة ، وهو حين دعاها إلى حرية الفكر فتح لها أبواب العلم والبرهان العلمى ﴿ **قل هاتوا برهانكم** ﴾ [البقرة : ١١١] وأنشأ لها من مصدر القرآن : المنهج التجريبى الذى أقام الحضارة والعلم خالصاً ، لولا أن انحرفت به أوربا إلى أهواء النفس والتراجع بالإنسانية إلى عبودية الرومان واليونان (روما سادة وما حولها عبيد) وحين أعاد إحياء الوثنية ممثلة فى علم الأصنام غلف ذلك كله بأغلفة خادعة ، ولكنه اضطر على مر السنوات أن يعلم أن ما أخذه من الإسلام وحجبه وأقام وراءه (مؤامرة الصمت) لم يكن ليخدع أحداً واضطر فى الأخير أن يعترف بفضل الإسلام وعلماء الإسلام ولا يزال العلماء المنصفون يعلنون هذه الحقائق .

ولعل آخرها ما اعترف به علماء الوراثة من سبق علماء المسلمين لنظرية (مالتوس) وسبق علماء المسلمين لكشف الدورة الدموية (ابن النفيس) وكشف الأطباء عن دورة الجنين فى بطن الأم مما أطلق عليه القرآن قبل ذلك بخمسة عشر

قرناً (الظلمات الثلاث) ، وما يجريه اليوم علماء الغرب من الكشف عن فساد نظرية الربا وأثرها الخطير على ما يقاسى المجتمع المعاصر وحضارة الغرب من اضطراب وفساد .

لقد أعطى الإسلام كثيراً وكتب وجوده الخالد ؛ لأنه أصلح البشرية وكشف عنها فساد الوثنية والإباحية .

فالكلام عن مستقبل الإسلام لا يحتاج إلى تأكيد فقد مضى الزمن الذى كان يواجه الخطر ولكنه لا يزال فى حاجة إلى حشد أتباعه وأبنائه والمؤمنين به للدفاع عنه وحمايته من محاذير التبعية ومحاولة الاحتواء وخطر الاختراق فتلك هى أزمته القائمة اليوم ، والتى لا تحتاج إلى عودة المسلمين إلى الوحدة الجامعة ونبذ التحلل الخلقى الذى يحاول أن يتفشى فى مجتمع المسلمين فى محاولة لتدميرهم .

إن غزوة التغريب والغزو الثقافى التى بدأت بعد هزيمة الحروب الصليبية والتى فرضت وجودها على كيان المسلمين بعد ألف عام من المقاومة ، هذه الغزوة اليوم تجمع أطرافها فى محاولة أخيرة لن تكون إلا أشد هزيمة ، فما تزال الصهيونية تواجه المسلمين بمحاولات الغزو وتجعل الدعوة إلى (وحدة الأديان) والحوار فى مقدمة مؤمراتها ، ولكن هزيمتها لم تزل متحققة بعد أن ارتفعت الغشاوة عن عيون المسلمين الذين عرفوا (أبعاد المؤامرة) التى تراد بهم والتى تتمثل فى كثير من محاولات تقليص التاريخ الإسلامى واللغة العربية ، وتوسيع دائرة التحلل والاختلاط والفساد الخلقى ، وتجرى محاولات كثيرة لوضع الإسلام بديلاً للشيوعية التى سقطت ولكن الأمر يختلف كثيراً ، فلم يكن الإسلام يوماً عدوانياً ولا ظالماً ولكنه كان عطاء الخير والضياء والنور للعالمين .

وسيثبت الإسلام فى موقعه ولن يتراجع أو يتقهقر حتى يجمع قواه ويمتلك إرادته ويقيم مجتمعه الربانى ، ويستأنف حضارته التى تحمل السلام الاجتماعى والأمن النفسى للبشرية جميعاً .

فالمؤكد أن الإسلام لن ينهزم فى وجه المتغيرات الدولية ولكنه سوف يقدم لها ضياء القرآن كما قدمه من قبل .

والسؤال هو : هل استطاع مشروع التغريب والغزو الثقافى الذى بدأه الغرب بعد الحروب الصليبية وأقامه خلال قرنين كاملين ثم جاءت بعده الحملة الفرنسية ، هل استطاع أن يحقق الهدف الذى طمع الغرب فيه أساساً وهو تحويل الإسلام إلى دين لاهوتى ؟ وتفريغه من منهج الحياة ونظام المجتمع ؟ أو فرض فكرة العلمانية المسمومة عليه للفصل بين الدين والدولة ، وإلغاء نظام المعاملات السياسية والاقتصادية والاجتماعية وثبات أخلاق المجتمع على العكس تماماً ، لقد تقدم المجتمع الإسلامى خطوة إلى الأمام فأضاف إلى دساتيره : أن الشريعة الإسلامية هى مصدر القوانين ، كذلك فقد اتسع الفهم الصحيح للإسلام بوصفه منهجاً جامعاً ، وعرفت المرأة المسلمة حقيقة مهمتها ، ونشأت المصارف الإسلامية وتكاثرت الهيئات العاملة للخدمة العامة ببناء المساجد والمدارس والمستوصفات .

وعندما حاولت القوى التغريبية فرض مفاهيم عن السكان وتحديد النسل تخالف الإسلام : أعلن موقفه الواضح الذى يقوم على أساس التوحيد الخالص وكشف عن أنه لا يمكن لأى قوة أن تغير القيم الثابتة للمجتمع المسلم أو ضوابطه الأصيلة أو أعرافه الأصيلة المستمدة من القرآن والسنة الشريفة .

وهكذا يتضح أن المجتمع الإسلامى قد أصبح يقظاً واعياً لكل محاولات التأثير فيه بالرغم من قصور المناهج الدراسية عن استيعاب الثقافة الإسلامية ، ولقد قطع الإسلام مرحلة طويلة فى الدفاع ورد الشبهات وكشف مؤمرات الاستشراق والتبشير والغزو الثقافى ولم تتوقف القوى الشعبية عن كشف حقائق المنهج الإسلامى فضلاً عن الدور الذى قام به علماء القانون المسلمين من تقنين الشريعة الإسلامية وتلك خطوة بدأت منذ عقدت المؤتمرات فى الغرب تدرس عظمة الشريعة الإسلامية واستقلاليتها وقدرتها على العطاء ليس على مستوى المسلمين ولكن على مستوى العالم كله .

كذلك فقد انتقل الفكر الإسلامى منذ نكسة ١٩٦٧ من مرحلة الدفاع والرد على شبهات المستشرقين والمبشرين إلى التأصيل وإقامة البدائل تحت عنوان عريض هو [**أسلمة العلوم والمناهج والمعرفة والثقافة**] وجرى مراجعة المصطلحات الوافدة وكشف حقائقها وتقديم (البدائل الإسلامية الأصيلة) كما بدأ الكشف عن

ضوابط أساسية لإحياء التراث الإسلامى والكشف عن أنه يختلف اختلافاً عميقاً عن التراث الغربى ، لأن التراث الإسلامى مرتبط بالميراث الإسلامى الأصيل : القرآن والسنة .

ولقد تحققت عدة عوامل تؤكد أصالة التراث الإسلامى منها ما كشف عنه بوكاى وأطباء الجنين ومنهج العلم التجريبى والنظريات الإسلامية التى قامت عليها الحضارة المعاصرة فى مجالات الفلك والبحار والكيمياء وذلك قبل أن يحولها أصحابها إلى الاتجاه الوثنى المادى وربطها بالفلسفة اليونانية التى هى علم الأصنام .

وكان الجهاد الإسلامى فى فلسطين والجزائر وأفغانستان والعاشر من رمضان علامات مضيئة على فهم هذه الأمة للمرابطة فى الثغور ، وجاءت الظاهرة الثالثة فى كتابات علماء الغرب عن الإسلام سواء منهم من أسلم : (ليوبولدفايس ـ بوكاى ـ جارودى ـ عبد الكريم جرمانوس ، إتيان دينية ، محمد أسد ، مراد هوفمان) ، ومن لم يسلم (كارليل ، جوستاف لوبون ، سجريد هونكه)هذا فضلاً عما كشف عنه علماء الغرب من ملاحظات ، وأخطاء وزيوف فى المذاهب الغربية مما يتعارض مع الفطرة الإنسانية ، وما يدخل فى دائرة التمويه وخدمة أهداف النفوذ الغربى والأديان المختلفة ، وكان أكبر آثار هذا الفهم والتحول : سقوط الشيوعية فى السنوات الأخيرة مما كشف عن فساد المنهج الغربى كله والفلسفة المادية عامة على النحو الذى كان معروفاً فى فساد الليبرالية وتطلع أهل الغرب إلى منهج يعطى النفس أماناً ويعطى الروح سلاماً ، وقد رشح عشرات من العلماء الإسلام وحدة لتحقيق هذه الغاية اليوم لقد سقط الفكر الماركسى ولكن أتباعه تحولوا إلى خدمة أهداف الماسونية والمادية .

كل هذا يؤكد تلك الحقيقة الأساسية : **لا يزال نجم الإسلام يصعد** ولعل أهم الحقائق التى تكشف فساد الفلسفة المادية وتؤكد مفاهيم القرآن هزيمة نظريات دارون وفرويد وماركس ودور كايم وهى كبرى أسس الفكر الغربى الحديث ، أما حقائق القرآن التى سجلها القرآن الكريم منذ أربعة عشر قرناً فهى تتكشف اليوم بين أيدى علماء التجريب خاصة فى مجال خلق الإنسان وفى قوانين قيام الأمم والمجتمعات وسقوطها . وفى نشأة عشرات العلوم ولقد جاء عشرات العلماء والمفكرين والغربيين ليسجلوا عظمة الإسلام وعطاءه الوافر ، وتصديقهم لحقائقه وإيمانهم بكل ما جاء به

ومنذ وقت طويل أعلنوا تقديرهم للشريعة الإسلامية وتميزها عن القانون الرومانى الغربى .

ولم يعد يقف فى وجه الإسلام ويحمل عليه اليوم إلا أعداء الإنسانية وأصحاب المطامع من المتطلعين إلى السيطرة ولا يزال الإسلام قادراً على أن يقدم نفسه للبشرية فى هذه المرحلة من التاريخ الإنسانى كما قدمها من قبل بوصفه محررها ومنقذها من الخطوب والأزمات التى تتصاعد وتتعقد فى أفق العالم المعاصر ، وهو حين يقدم نفسه اليوم لا يتطلع إلى السيطرة أو العدوان ولكنه يرغب فى إشاعة روح الأمن والإيمان بعد أن قاست البشرية كثيراً من عوامل الرعب والفساد والاضطراب الذى يجتاحها وهو لا يعرض نفسه ، ولكن يتطلع إلى أن تتاح له فرصة إقامة مجتمعه وتقديم نموذجه لا يفرضه على أحد ولا يلتمس لتحقيقه أى إرهاب أو تطرف ولا أى نوع من أنواع الإلزام : ﴿ **ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة** ﴾ [النحل : ١٢٥] ليكون واقعاً ماثلاً إلى جوار المجتمعات والأيديولوجيات القائمة ، ليس بديلاً عنها ولكن متعاوناً معها إلى الحد الممكن المستطاع ، وماذا على الغرب أن يفسح للمسلمين تحقيق منهجهم وإقامة مجتمعهم واستئناف حضارتهم من جديد بعد أن توقفت منذ فرض نفوذه قبل قرنين من الزمان ، وحجب شريعتهم ، مازالوا منذ ذلك الوقت يجاهدون فى سبيل استعادة حقهم الضائع .

وذلك بعد أن عجز المنهج الغربى الذى فرض على المسلمين عن تحقيق أشواقهم النفسية ولا استطاع أن يملأ قلوبهم بالأمن ولا أن يمكنهم من إقامة الشورى والعدل الاجتماعى والاقتصاد المتحرر من الربا . وقد عجزت كل محاولات الغرب فى احتواء المسلمين في إطار الحضارة الغربية أو الفكر الليبرالى والعلمانية أو الاشتراكية دون جدوى ، ذلك أن الوجدان الذى شكله الإسلام خلال أربعة عشر قرناً لم يكن من اليسير أن يسقط أو يحتوى أو ينهار .

وفى أشد أوقات الأزمات والظلمات ومراحل الضعف لم يكن من المستطاع أن يستسلم المسلمون أو يخضعوا ، فقد أعطاهم دينهم القدرة على الصمود والإصرار فى وجه الأحداث وأعطاهم القدرة على الانبعاث من الداخل مرة أخرى بعد أن أصابتهم سنة التخلف لقد عرف الغرب بما لا سبيل إلى تجاهله أن المسلمين صامدون فى

وجه محاولة احتوائهم أو السيطرة عليهم وعلى الغرب أن يعيد النظر فى موقفه منهم وعلى الغرب أن يفهم أن وجهة المسلمين كريمة وسامية وليست عدوانية أو طامعة فى السيطرة أو راغبة فى أكثر من إقامة مجتمعهم الأصيل المسالم الراغب فى التعاون مع كل ما يناسبه من جوانب الحضارة الغربية ، وإن كل ما تدعيه بعض الدوائر الكارهة للإسلام والحاقدة عليه من دعاوى فهو باطل أو زائف .

لقد عاش الإسلام قائداً للبشرية أكثر من ألف عام دون أن يعتدى على أحد بل كان حصناً لمن يلوذ به وسوف يظل الإسلام قادراً على أداء هذا الدور ، أن العلم هو طلبنا من الغرب وليس العلوم الإنسانية ، ولقد كان العلم والتكنولوجيا هو ما نتطلع إليه ولكن الغرب خلال أكثر من مائة عام لايزال مُصِراً على أن يجعلنا مصدراً للمواد الخام وسوقاً لبيع منتجاته وقد تغيرت الأمور .

فعلى الغرب أن يفهم وجهة المسلمين ويتنازل عن تصوره القديم فقد تحولت أمور كثيرة والدنيا متغيرة وليكن موقناً بأن الأمة الإسلامية لا تعرف البغى والعدوان ولا حتى انتقاماً مما قاسته من الظالمين .

لقد وصلت الحضارة الغربية إلى أبعد الغايات فى العنف والإباحة وإطلاق حرية الفن والاغتصاب والكشف والتحلل وأصبح عليها اليوم أن تعيد النظر فى مسارها وتحاول أن تقدم النماذج التى وصل إليها المجتمع الغربى نتيجة الحرية غير المنضبطة وأن تعود إلى الفطرة وإلى الأصالة .

إن البلاد الإسلامية التى قلدت الغرب وخطت وراء خطواته ، قد أحست اليوم بالندم وهى تحاول أن تعيد نفسها إلى الأصالة وأن تعود إلى منهج الله تبارك وتعالى ، فإن دينه الحق وحده القادر على إسعادها .

لقد شقى الغرب بتجربته المطلقة وتحرره من القيم الأخلاقية فكان الانتحار والعدمية والانهيار الاجتماعى للأسرة والمجتمع نذيراً بالفناء والتدمير .

إن الحملات التى تشنها صحف الغرب على المسلمين ليست منضبطة لأنها تصور جانباً صغيراً من الصورة ، وهو الجانب السلبى بينما تتجاهل الجانب الأرحب وهو الجانب الإيجابى الأصيل فى هذه الحملات التى يراد بها انتقاص الإسلام

وحربه وتقديمه للغرب فى صورة مزرية ، وتنطلق هذه الكتابات من خصومات وأحقاد يراد بها تشويه الصورة الصحيحة والحيلولة دون تقبل الغرب لإيجابيات الإسلام وتتضافر قوى كثيرة كالصهيونية والتبشير والاستشراق والتغريب على تقديم هذه الصورة المثيرة بأقلام بعيدة عن الإنصاف مشبعة بالأحقاد القديمة مما يجب أن تزول الآن ويحل بدلاً منها التقدير الصحيح للدور الذى يقوم به الإسلام والذى يحتاج العالم إليه والذى يتطلع إليه كبار مثقفى الغرب وعلمائه كمخرج للإنسانية من أزمتها وكمنطلق لتصور صحيح منصف يلتقى فيه الشرق والغرب ، ويعطى للمجتمع الإسلامى حقه الشرعى والقانونى فى تبليغ الرسالة وإقامة نظامه الربانى العادل الرحيم على البشرية كلها .

أنور الجندى



تعريف بالمؤلف

كانت حياة هادئة ناعمة لولا أن واجهها التحدى فحولها إلى حياة ذات أغوار : أمران أساسيان هما الذين شكلا هذه الحياة وأدخلا إليها الالتزام والحذر والعمل على تجاوز الأحداث :

أولهما : ذلك الكتاب الذى أصدره خمسة من المستشرقين حول الإسلام ، والذى قص فيه رائدهم (هاملتون جب) تلك القضية الخطيرة ، قضية ذلك العمل الذى مضى سنوات حتى وصل إلى المرحلة التى يمكن أن تستغل فيه الخطة التى قام بها الاستشراق من أجل (احتواء الإسلام) ليكون ديناً عبادياً منحصراً فى الصلاة والعقائد ، منفصلاً تماماً عن قضايا المجتمع والسياسة والاقتصاد ، وهو ما قدمه المستشرقون الخمسة للأقطار الإسلامية من المغرب إلى أندونيسيا وما هو الحد الذى وصل إليه العمل وما هى الخطة التى ستحقق إتمام هذه المؤامرة الجريمة ، هذه الدراسة أطلق عليها بعد ترجمتها إلى العربية : وجهة الإسلام .

وذلك هو التحدى الذى أذهلنى ودفعنى إلى معرفة أبعاد هذا الخطر ، وما القضية كلها أساساً وما الدور الذى يمكن لكتاب الإسلام أن يقوموا به فى سبيل تحطيم هذه الخطة وتغيير وجهتها .

غير أن هذا العمل الذى شغلنى قد سد على كل منافذ حياتى ، وقد اعترتنى غيرة محمومة لكى أعمل مع العاملين فى اقتحام هذه المؤامرة ، ولكن كيف أعمل وأنا لا أملك إلا ثقافة متواضعة يسيرة ، فكان لا بد أن أعرف كيف أعمل فى مواجهة ذلك التحدى .

هذه هى القضية التى شغلتنى تماماً حتى لم يعد لى أى مجال لعمل آخر ، وأحسست بالأمانة والمسئولية والخطر الزاحف على أمة الإسلام ، وبدأت أعيد النظر فى كل مقومات الفكر الإسلامى وخططه وتاريخه وتاريخ هذه الأمة وما واجهته من حروب وتحديات ، وأخذت أنطلق من نقطة البدء ، وهى القرآن الكريم والإسلام وسنة الرسول ﷺ وسيرته العطرة .

ثانياً : كان موضوعاً لكاتب مسلم أعرفه تحت عنوان (كيف صححت إسلامى) .. فقد كشف لى عن أن الإسلام ليس ديناً عبادياً وإنما هو منهج حياة

ونظام مجتمع كامل والعقيدة والعبادة جزء منه ولكنها ليست هو كله .

وقد تبين لى أن مفهوم الدين عند أغلب المسلمين هو هذا المفهوم القاصر الذى عمل النفوذ الغربى والاستشراق والتبشير على إذاعته ونشره فى محاولة لقصر الإسلام على الصلاة والمسجد ، وفصل كل قضايا الاقتصاد والاجتماع والسياسة والتربية عنه .

وتلك هى الأطروحة الخطيرة التى عمل النفوذ الغربى على ترويجها والتى بدأت منذ نهاية الحروب الصليبية ، عندما دعا القديس لويس إلى ما يسمى (حرب الكلمة) وذلك بتزييف مفهوم الإسلام وتحويله إلى دين لاهوتى مشابه لبعض الأديان المحرفة والبشرية .

ومنذ ذلك اليوم الذى بدأ النفوذ السياسى الغربى يسيطر على بلاد الإسلام وقد تشكلت هذه (الخطة / المؤامرة) التى حشد الاستشراق لها خمسة من كبار رجاله (هاملتون جب وزملائه) لدراسة ما أطلق عليه (WHATRE ASLAM) وجهة الإسلام وذلك فى سبيل تثبيت قواعد الاقتصاد خارج الإسلام والتربية والسياسة جميعاً ، وكان لها إعلاناً لمفهوم العلمانية والفلسفة المادية .

ومنذ ذلك اليوم الموافق عام ١٩٤٠ تقريباً وقد أخذت أبحث عن هذه المخططات (الاستشراق والتبشير والغزو الثقافى) والتغريب والدخول فى قضية كبرى هى « تصحيح المفاهيم » وأمضيت عشر سنوات كاملة بين أضابير دار الكتب ودورياته ، فقد كان ضرورياً أن أعرف جذور العملية ممثلة فى الصحافة التى كانت تعايش ذلك العصر منذ الاحتلال البريطانى عام ١٨٨٢ وإلى ذلك اليوم .

كانت أعمالى قائمة أساساً على التعريف بعظمة الإسلام وتاريخه وتراثه وتقديم صورة للأمة الإسلامية فى مجال عظمة تاريخها وأمجادها .

وهذا باب اقتضى منى البحث عن تلك الصور الرائعة التى تمثلت فى كتب صدرت : (الشرق فى فجر النهضة) (الإسلام تاريخ وحضارة) (صور مضيئة من التراث) (نوابغ الإسلام) هذا الجزء يمثل أعلام الفكر الإسلامى منذ العصر الأول وامتد هذا العمل إلى الأعلام وتراجم الأعلام وقد قطعت فى إعدادها شوطاً طويلاً ممثلاً فى دراسة شبه كاملة عن أعلام الإسلام فى الأمة الإسلامية كلها فى العصر الحديث ، تحت عنوان (أعلام القرن الرابع عشر الهجرى) فى أربعة مجلدات هى :

أعلام الدعوة والفكر ، تراجم الأعلام المعاصرون، أعلام وأصحاب أقلام ، أما

المجلد الرابع (أعيان البيان واللغة) فإنه جاهز ومعد من خلال بعض كتب التراجم الفرعية ، ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل قد أعدت دراسات موسعة لبعض الأعلام (حسن البنا ، عبد العزيز جاويش ، عبد العزيز الثعالبى ، فريد وجدى ، أحمد زكى شيخ العروبة) .

ولم يتوقف العمل فى التراجم عند هذا الحد فقد أصدرت فى الأخير :

(مصابيح التراث والعصر) ولايزال فى الجعبة الكثير مما نسأل الله تبارك وتعالى لنا القدرة على إنجازه .

وكان هذا العمل ضرورياً فى مواجهة الحملة الخطيرة على التراث الإسلامى وأعلام الإسلام والتاريخ والثقافة الإسلامية ليعطى المسلم ثقة عميقة فى سلامة المنهج وعظمة العطاء الإسلامى الأصيل .

ولكن لم يكن ميدان التراجم وحده هو الذى يحتاج إلى خدمة واسعة بل كان الإسلام نفسه بوصفه (أغرودة الحياة ونور الوجود) كله والعطاء الربانى الكبير الذى انتشر سناه فى الأرض كلها وعطر الأرجاء وتلك كانت مهمة خطيرة ما نزال نعمل لها مع إخوتنا الصادقين ولم تصل بعد إلى مرحلة ترضى عنها قلوب المؤمنين .

والحقيقة أننى توجهت إلى هذه المسئولية المنوعة الواسعة الممتدة فى أعماق تاريخ الإسلام إلى يوم أن ظهرت فرق الباطنية والتصوف الفلسفى والحلول وما تزال تتجدد على أيدى المستشرقين والمبشرين ودعاة العلمانية والتنوير والتغريب ، توجهت إليها بصدر رحب وعزيمة قوية وما زلت أسأل الله تبارك وتعالى أن يجعل لى من عافيته سلاحاً لإتمام المشروع ، وقد جعلت عملى كله حسبة لله تبارك وتعالى ، وبيعة له ووددت لو أننى توضأت دائماً قبل أن أكتب وأعيش على طهارة الصلاة ، لا مطمع لى ولا غاية إلا تبليغ رسالة ربى .

ولقد كانت أخطر التحديات فى هذا المجال هو : تصحيح المفاهيم والكشف عن الشبهات التى قد وضعت بخداع ومكر بين النصوص والتعرف على مخططات التبشير والاستشراق والتغريب .

وهذا هو العمل الذى بذلت فيه كل ما أمكن من أجل الكشف عنه ، وكان من الضرورى لذلك دراسة الحروب الصليبية وحملات الفرنجة على المشرق والمغرب ودعوة لويس مما سماه حرب الكلمة .

وكان لابد من جمع المعارك الأدبية والمسجلات التى دارت بين العلمانيين خصوم الإسلام وبين رجال الإسلام وتقصى السموم المدفونة فى مجالات الفكر الإسلامى الزاخرة والتى بدأت فى العصر الحديث من خلال إحياء تراث علم الأصنام الذى أشاعه المشاءون الذين احتضنوا الفكر اليونانى والفكر الغنوصى خاصة تلك الجماعة التى هاجرت إلى المشرق : إلى فارس والتى احتضنها المأمون جماعة المعتزلة ودعاة خلق القرآن وهم المسيحيون الذين كان يقودهم (حنين بن إسحاق) ويعمل فى مكر خطير لإدخال مفاهيم المسيحية الغربية على الفلسفة اليونانية ويكتب رقاعة على ورق غليظ لأنه كان يحصل على مكافأته بوزن هذا الورق بالذهب .

لقد كانت تجربة الفلسفة اليونانية فى اقتحام الفكر الإسلامى خطيرة واحتوت الكثيرين وأثارت جواً مظلماً من الشبهات حتى تصدى لها أعلام الإسلام : الأئمة أحمد بن حنبل ، والغزالى ، وابن تيمية ، وعشرات غيرهم .

وامتد ذلك حتى سقطت فكرة التصوف الفلسفى وغيرها وسقطت الفلسفة اليونانية وكان الغزالى هو الذى حطم هذا التيار ولا يزال دعاة التغريب والغزو الثقافى من أمثال (عاطف العراقى) يحملون عليه وينقمون منه وكان مرافعة الإمام ابن تيمية وإنشاء كتابه (عن المنطق) خاتمة عاد الفكر الإسلامى بعدها إلى الحق ، فلما جاء النفوذ الأجنبى يحمل لواء (حرب الكلمة) بدأت المعركة من منطلق إحياء تراث الفلسفة اليونانية المادية وفرضها على الجامعات هى واللغة اليونانية على يد الدكتور طه حسين الذى أحيا تراث شعر الغلمة والإباحة وأدخله كلية الآداب .

وهكذا بدأت معركة التغريب من قلب معركة الفكر اليونانى القديم وكان على رأسها طه حسين ومحمود عزمى وعلى عبد الرازق وسلامة موسى ولويس عوض ، فى محاولة لتدمير الفكر الإسلامى وتزييف منهج الإسلام وتاريخه ، ومن هنا كانت الخطة المركزة فى الكشف عن :

١ ـ زيف المعارك الأدبية وكيف حطمها مفكرو الإسلام .
٢ ـ الكشف عن جيل العمالقة والقمم والشوامخ .
٣ ـ الكشف عن الصحافة والأقلام المسمومة .

وكيف استطاع جيل المغربين العلمانيين من السيطرة على الساحة ، وقد كان

فى مقدمة من يحتاج الأمر إلى تحليل واسع : عميد التغريب كله طه حسين فقد صدر عنه كتابان (طه حسين فى ميزان الإسلام) و (محاكمة فكر طه حسين) شاملاً على جميع القضايا التى أثارها والرد عليها ، كما تناولت الكتب (جيل العمالقة ، إعادة النظر فى كتابات التغريبيين) مختلف القضايا التغريبية المثارة .

وكان من الضرورى بعد ذلك إعداد دراسة عامة لمختلف الشبهات والأخطاء الشائعة فى موسوعة شاملة لشبهات الأدب والثقافة والتاريخ والسياسة والاجتماع وتراجم الأعلام والمؤلفات تضم أكثر من مائتى مصطلح ، ثم جاءت موسوعة معالم الأدب العربى المعاصر حيث يضم :

أعلام الشعر ـ النثر ، القصة ، الترجمة ، أدب المرأة ، فضلاً عن (خصائص الأدب العربى) .

وفى مجال الاستشراق والتغريب والغزو الفكرى صدر :

الإسلام والدعوات الهدامة ، أخطاء المنهج الغربى الوافد ، الإسلام والفلسفات القديمة ، التبشير والاستشراق ، الإسلام والغرب .

ثم صدرت موسوعة مقدمات العلوم والمناهج فى عشرة مجلدات :

الفكر الإسلامى ، تاريخ الإسلام ، العالم الإسلامى ، اللغة والأدب والثقافة ، التبشير والاستشراق ، المجتمع الإسلامى ، العلوم والحضارة ، الإسلام وموقعه من الفلسفات والأديان ، المنهج الغربى : أخطاؤه وشبهاته ، حركة اليقظة الإسلامية .

ثم صدرت (معلمة الإسلام) عن مائة مصطلح عصرى فى ضوء الإسلام .

هذا بالإضافة إلى الرسائل الصغيرة (رسائل الجيب) :

١ ـ دائرة الضوء وتقع فى ٥٠ حلقة .

٢ ـ على طريق الأصالة وتقع فى ٥٠ حلقة .

هذا بالإضافة إلى رسائل كثيرة متفرقة فى مجال الصحافة الإسلامية ، مجلتى المنار والفتح .

وقد كان من الضرورى أن يمتد عمل الباحث الإسلامى إلى ميدان الصحافة الإسلامية وقد كتبت فى عدد من الصحف ، وفى مقدمتها مجلة « الاعتصام »

٢ ـ مجلة منار الإسلام (أبو ظبى) من ١٩٧٥ ـ ١٩٩٥ .

٣ ـ مجلة منبر الإسلام (القاهرة) ١٩٦٢ ـ ١٩٧٢ .

٤ ـ الملحق الدينى لجريدة الجمهورية (القاهرة) .
٥ ـ دعوة الحق فى الرباط (المغرب) .
٦ ـ حضارة الإسلام (دمشق ـ سوريا) .
٧ ـ رابطة العالم الإسلامى ١٩٧٢ .
٨ ـ لواء الإسلام (القاهرة) .

كذلك فقد حضرت واشتركت وقدمت أبحاثاً لعدد من المؤتمرات الإسلامية الجامعة فى :

١ ـ الجزائر ٢ ـ الرباط (المغرب) ٣ ـ مكة المكرمة
٤ ـ الخرطوم ٥ ـ عمان (الأردن) ٦ ـ جاكرتا (أندونيسيا)
٧ ـ جامعة العين (أبو ظبى) ٨ ـ الرياض (جامعة الإمام محمد بن سعود

كانت الخطة طوال هذه السنوات قائمة على قاعدة الرد على الشبهات وتكثيف خطط المقاومة وتزييف الشبهات المثارة حتى جاء الوقت الذى تكشفت فيه الأحداث عن نكسة ١٩٦٧ التى كانت الهزيمة الكبرى التى سقطت فيها (القدس) بين يدى الصهيونية العالمية وأجزاء من مصر وسوريا والأردن ولبنان ، وتبين للمسلمين الهزيمة الفكرية الكبرى التى كانت تتمثل فى أن الغرب هو المثل الأعلى وأن امتلاك المسلمين لإرادتهم يمكن أن يتم وفق المفاهيم الغربية .

ولكن هذه الأزمة كشفت الحقيقة وتبين أنه ليس من سبيل أمام المسلمين لتحقيق منهجهم أو تأكيد وجودهم ، أو امتلاك إرادتهم إلا عن طريق واحد : هو طريق الإسلام بكل قيمه ومقاييسه ومفاهيمه ، ومن هنا بدأت تدخل الأمة الإسلامية فى خطر جديد لعله وصل إلى منطلقه الحقيقى فى أول القرن الخامس عشر الهجرى ، حيث أخذت الصحوة الإسلامية طريقها الصحيح ، وكان عام ١٤٠١ الموافق ١٩٨٠م علامة فارقة على هذا التحول من خطر الرد على الشبهات إلى إنشاء المناهج الجديدة التى أطلق عليها (البدائل الإسلامية) متمثلة فى أسلمة المناهج والعلوم والمصطلحات وصولاً إلى تحقيق « التأصيل الإسلامى » .

وكان هذا الأمر هو الأساس الجديد للصحوة ، وقد لقى كثيراً من الحملات من التغريبيين الذين أحسوا بأن المسلمين يعودون إلى المنابع وإلى الأصالة ويلتمسون مفاهيم القرآن والسنة فى علومهم ، وقد أضيف إلى ذلك أمر آخر هو « الإعجاز

العلمى فى القرآن » وما أحدثه من ضجة شديدة ودخل عدد كبير من أعلام علماء التغريب إلى الإسلام .

لقد كان التأصيل الإسلامى هو لب لباب الصحوة الإسلامية ، لذلك فقد كان علينا أن نكشف هذه الحقائق وأن نسجلها وأن نركز على أسلمة العلوم والمناهج ، وقد حفلت هذه السنوات الخمسة عشر الأولى من القرن الخامس عشر الهجرى بجهد كبير فى هذا المنطلق :

فصدر (من سقوط الخلافة إلى مولد الصحوة)

وصدر (تيارات وافدة ونظريات هدامة معاصرة)

وصدر (كسر طوق الحصار حول الإسلام)

وكما تدور حول أسلمة العلوم والمناهج والمصطلحات ، ومن خلال هذه الدراسات يتبين كيف مرت المراحل الثلاث :

١ ـ مرحلة التغريب التى كانت أول القضايا التى تناولتها عام ١٩٤٥ .

٢ ـ مرحلة الغزو الفكرى .

٣ ـ مرحلة المذاهب الماركسية والعلمانية والملحدة .

وهذه المرحلة الجديدة : مرحاة التأصيل الإسلامى وتحرير الفكر الإسلامى من التبعية والحصار .

وتظل قضية الصهيونية والغزو الماسونى وبروتوكولات صهيون فى مقدمة القضايا التى تواجه الفكر الإسلامى وتتطلب العمل للمقاومة .

ونسأل الله تبارك وتعالى أن يمكننا من متابعة هذه التطورات والقضايا حتى تتكشف الحقائق للشباب المسلم والله ولى التوفيق(*) .

أنور الجندى

غرة ربيع الأول ١٤١٧

(*)بقى أن نتحدث عن الدعوة الإسلامية وهى القاسم المشترك الأعظم على كل هذه الأعمال وكانت قضية الشريعة الإسلامية هى أكبر هذه القضايا وما يتصل بها من شأن القانون الوضعى ، ودراسة العقبات التى تقف أمام تطبيق الشريعة فى العالم الإسلامى بعد أن دخلت بعض الأقطار العربية والإسلامية فى مجال المنهج الإسلامى ، أمثال السودان والأردن والكويت وباكستان وإيران هذا وبالله التوفيق .

ملخص
ترجمة حياة الأستاذ أنور الجندى

من مواليد عام ١٩١٧ بمدينة ديروط حيث كانت تقيم أسرته ومنها اتجه إلى الالتحاق بالعمل ببنك مصر خلال عشر سنين ثم انتقل بعد ذلك إلى الصحافة وفى خلال هذه الفترة كان قد درس فى مجال التعليم التجارى والصحافى واتصل بعدد من الجامعات المصرية والأجنبية ، غير أنه كان حريصاً على أن يعمل فى الصحافة الإسلامية وقد تحقق ذلك منذ عام ١٩٤٦ حيث كتب فصولاً عن الدعوة الإسلامية والتاريخ الإسلامى فى مختلف المجلات الإسلامية .

كما اشترك فى عدد من المؤتمرات الإسلامية التى عقدت فى الرياض ، الجزائر، المغرب ، جاكرتا ، مكة المكرمة ، الأردن ، الخرطوم ، وقد دعى إلى الزيارة والمحاضرة فى جامعات الإمام محمد بن سعود ، وجامعة العين بالإمارات ، والمجمع اللغوى بالأردن.

ومنذ بدأ عمله فى مجال الصحافة ، رسم مخططاً يرمى إلى تقديم خطة كاملة لمقاومة التغريب والغزو الثقافى ، ثم اتجه بعد ذلك إلى العمل فى مجال أسلمة العلوم والمناهج وتأصيل الفكر الإسلامى ، وبناء البدائل وهى ما يواصل عمله اليوم بها ، هذا وبالله التوفيق .

كتب هذا عام ١٤١٧ هـ ـ ١٩٧٧م .



فهرس الكتاب

الموضــــوع	الصفحة
مدخل إلى البحث	٥
الباب الأول : الإسلام المعاصر	١٥
الباب الثانى : تأكيد منهج الله وتصحيح المفهوم الإسلامى	٢٢
بداية الغزوة الاستعمارية للعالم الإسلامى	٢٣
نعود من جديد إلى دولة الخلافة	٢٦
الباب الثالث : عالمية الدعوة الإسلامية	٣٢
الباب الرابع : تجربة إيران	٤١
تقويم لما حققته الصحوة فى إيران	٤٧
تصحيح الطريق بين المذهبين السنى والاثنا عشرى	٤٨
الباب الخامس : تجربة الباكستان	٥٨
أسلمة الاقتصاد فى الباكستان	٦٥
نظام التعليم الإسلامى وقانون الشريعة فى باكستان	٦٧
تقرير عن المرحلة التاريخية الأولى حتى (٩ / ١٩٩١)	٦٨
الباب السادس : صحوة الإسلام فى تركيا	٧٠
بعد سبعين عاماً تندحر العلمانية فى تركيا أمام المد الإسلامى	٧٣
تركيا الإسلامية فى وجه الصهيونية والاستعمار	٧٩
التحول الخطير	٨٤
خطوات التحول	٨٧
حينما تنبثق الصحوة الإسلامية من رحم القسوة العلمانية	٩١
فتح استانبول	٩٣
الباب السابع : تجربة الجزائر	٩٧
التصور الإسلامى لجبهة الإنقاذ الإسلامية	١٠٤
السياسة الاقتصادية	١٠٨
رابطة الدعوة الإسلامية	١١٢

الموضــــــــــوع	الصـفـحـة

الصحوة فى تونس ١١٤
الباب الثامن : تجربة السودان ١١٩
الباب التاسع : المسلمون الجدد فى الغرب ١٢٧
الإسلام : عالم بلا حدود ١٢٧
تزايد تعداد المسلمين فى العالم ١٩٨١ .... ١٢٩
فى إيطاليا أوربا تقبل على الإسلام ١٣٠
مسلم جديد : يوسف إسلام بدلاً من كات ستيفنس المغنى ١٣٤
كيف ينظر الغرب إلى الإسلام ١٣٨
الباحث عن الحقيقة فى الغرب ١٣٩
الزعيم الزنجى المسلم لويس فرقان قائد المسيرة المليونية ١٤١
حوار مع إنجليزى مسلم ١٤٥
الحضارة الغربية خلت من المضامين الروحية ١٤٧
أمريكا فى طريق العودة إلى الله ١٥٠
العمل الإسلامى فى أنحاء العالم ١٥٧
مستقبل الإسلام فى أوربا الغربية ١٥٨
الله أكبر فى كنيسة الجامعة ١٦١
مصير ٨٠ مليون مسلم بالاتحاد السوفييتى ١٦٤
عودة الإسلام إلى الأندلس ١٦٧
المجتمع الأسبانى ١٦٩
مسلمو الأندلس المعاصرون ١٧٠
واقع المسلمين فى أسبانيا ١٧٣
الإسلام فى أسبانيا ١٧٤
الباب العاشر : رسالة الإسلام إلى قلب أوربا ١٧٩
وثيقة البوسنة ١٨٢
العودة إلى الأصالة ١٨٣

الموضـــــوع | الصفحة

الإنسان والحضارة الغربية ١٩٢
الباب الحادى عشر : المجتمع الإسلامى الجديد فى الغرب ١٩٦
المجتمع الإسلامى فى أمريكا ١٩٦
مؤسسة أمة الإسلام ١٩٩
الإمام وارث الدين محمد زعيم أمة الإسلام فى أمريكا ٢٠٢
تركيا الإسلامية ٢٠٣
فى تركيا : العلمانية تندحر أمام المد الإسلامى ٢٠٩
كيف يفهمون الإسلام ٢١٢
أولاً : مسلم أوربى : على عزت بيجوفيتش ٢١٢
الدولة الإسلامية فى البوسنة ٢١٦
دورة الحضارة وعلى عزت بيجوفيتش ٢١٧
البوسنة بوابة الفتح الإسلامى لأوربا ٢٢٠
ثانياً : الكاتبة الأمريكية المسلمة مريم جميلة ٢٢٢
ثالثاً : مراد هوفمان الدبلوماسى الألمانى المسلم ٢٢٦
الأوربيون يعودون إلى الدين ٢٢٨
رابعاً : الأمير تشارلز : الإسلام والعالم الغربى ٢٢٩
خامساً : السيدة أنا مارى شيمل ٢٣٦
إسقاط حكومة كابول الماركسية (يوليو ١٩٨٨) ٢٥٠
الصحوة فى أفغانستان (مايو ١٩٨٦) ٢٥١
صحوة المسلمين فى الشيشان ٢٥٢
الصحوة فى الفلبين ٢٥٤
الصحوة فى أندونيسيا ٢٥٤
مؤتمر الخلافة ٢٥٦
الإسلام عالم بلا حدود ٢٥٧
ملاحق الكتاب ٢٥٩

الموضــــــــوع	الصفحة
العنف سمة مميزة للغرب	٢٥٩
الحروب الداخلية المسيحية فى أوربا	٢٦٠
الدرس الذى يقدمه حزب الرفاه	٢٦٣
ولا يزال نجم الإسلام يصعد	٢٦٩
تعريف بالمؤلف	٢٧٧
ملخص ترجمة حياة الأستاذ أنور الجندى	٢٨٤
فهرس الكتاب	٢٨٥

* * *

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ١٩٩٨/١٠٨٦٤

دار النصر للطباعة الإسلامية
٢ - شارع نشاطى شبرا القاهرة
الرقم البريدى - ١١٢٣١